



أُقرِضُ مَا تضيقُ به الصدورُ ... إلى من لا تغالبه الأمورُ

حسبي الله وجلّ في محل علم النحو وأرباب واهل وضع في النحو واهل مسائل ... ثم ابو الاسود

... ابن عمر بن ... وتعالى عنه ... عبد الله ... ابو عمر ...

ثم الخليل ... واحمد ... سعد ... وبكر بن ... ابو عمر ...

عليهما المبرد ... المازني المبرد لانه كان يبرد الى المعاني ... الرد ...

الزجاج وابو بكر محمد بن السراج وابو بكر بن ... وقرا على ابي بكر ... ابو علي الفارسي ...

الرماني ... الصفار ... السراج وقرا على ابي علي ...

الربعي ... الاسكري ... بحمد الله ومنه ... الصلوات ...

بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد الامين وعلى آله ... الحمد لله الذي ...

[illegible]

قال الامام القرض مشتق من القطع لما كان المقرض يقطع قطعة من ماله للمستقرض ...

صلى الله عليه وآله عن قرض الاطفاء ... كذا في الانتصار وهو من القرب المؤكدة ...

عند الضرورة الشديدة وفيه كشف كربه وقد قال صلى الله عليه من كشف

عن مسلم كربة من كرب الدنيا كشف الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن ابن عباس وابن مسعود ...

لان اقرض مرتين احب الينا من ان نتصدق مرة وفي بعض الآثار ان القرض افضل من الصدقة

... لان الصدقة قد تصادف الحاجة وقد لا تصادف والانسان لا يسال القرض الا ...

... عنه صلى الله عليه من اقرض اخاه المسلم قرضا كتب له بكل مثقال ذرة كل يوم ...

من اقرض من اخيه المسلم قرضا فله بكل مثقال ذرة من قرضه كل يوم عند الله ...

... ان يستقرض وان كان غنيا عنه ليعزم على قضائه ويمشي به الى الغريم ...

... من استقرض قرضا ... [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله

هذا الكتاب المسمى التذكرة من كتب الخزانة ... عمرها الله بالعلم واهله ولم اجد فيها ذكر الوقف ولعله قد ذهب ... من طول الزمان فهي موقوفة للانتفاع ... الواقف عليه ... الفقير الى الله ... من كان ... وهو طالب ... على هذا ... والصلاة على محمد وآله

[illegible]

السيد ... كان ... احمد ... سنة ... والف ...

قال الامام ... على ... الاسن ... عشر ... بعد ... العام ...

... العصر

[illegible]

الجزء الاول من الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل تصنيف جار الله الامام العلامة فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري رضوان الله عليه ورحمته وبركاته

الحمد لله

لعله لا توجد الجزية من العرب لانهم لم يشرع الا بعد الفتح وقد دخلت العرب في [illegible]
وتوجه النبي صلى الله عليه واله وسلم لحرب الروم في غزوة تبوك اخر غزواته [illegible]
[illegible] اليوم [illegible] بعموم الاسلام لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف [illegible]
المرتدين من غيرهم [illegible] كثير [illegible] صحيح للعرب [illegible]
[illegible] وقد سبى النبي صلى الله عليه واله وسلم
لبني المصطلق [illegible]
الا [illegible] هوازن [illegible] العرب اهل الكتاب كخيبر
[illegible] وعلى الجملة فهي [illegible]
الصحابة رضي الله عنهم استفتحوا بلاد فارس والروم [illegible]
[illegible] والسبي والعراق ولم يفتشوا على العربي [illegible]
[illegible] على جميع من استولوا [illegible]
[illegible] المقبل على الكتب في [illegible] حتى يعطوا الجزية [illegible]

آخر الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أعن ولا تعسر برحمتك

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات وما هي إلا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم أنشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء وأوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة والمضارة وإلقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة أولا والسيف آخرا فلم يعارضوا إلا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حده فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من أوحي إليه حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ذي اللواء المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل وعلى آله الأطهار وخلفائه من الأختان والأصهار وعلى المهاجرين والأنصار اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة وإنما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترقى إلى أن عد ألف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم وإلا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم وإطلاقهم ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وإن برز

على الأقران في علم الفتاوى والأحكام والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع إليه ورد ورد عليه فارسا في علم الإعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وإن لطف شأنها منتبها على الرمزة وإن خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع إلى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك حتى اجتمعوا إلي مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه علي واجبة لأن الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلا أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ما هم عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى متطلعين إلى إيناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول الله أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم أعطش الناس كبدا وألهبهم حشى وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفى الحيل وعيت العلل ورأيتني قد أخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من

العابد والعجم عن الشرائع وقول الله ويشد به فهو ع منه في مقدار مده خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
وكان يقدّر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت علي من
بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سبباً ينجيني ونوراً لي على الصراط يسعى
من بين يدي وبيميني ونعم المسؤول **سورة فاتحة الكتاب مكية** وقيل مكية ومدنية
لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة مرة أخرى وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن
من الثناء على الله بما هو أهله ومن التعبد بالأمر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك
وسورة الحمد والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها وسورة
الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد أنعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه
على العكس **بسم الله الرحمن الرحيم** قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن
التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما يبدأ بها في كل
أمر ذي بال وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة
وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها
السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس
من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله فإن قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره
بسم الله أقرأ أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال بسم الله والبركات
كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمراً ما جعل التسمية
مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات إلى فرعون وقومه أي اذهب في تسع
آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الأعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست أو
نكحت ومنه قوله فقلت إلى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما فإن قلت لم قدرت المحذوف
متأخراً قلت لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات
باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل
كما فعل في قوله إياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم إرادة الاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها
فإن قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر
بالقراءة أهم فإن قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة
في قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتداً به في الشرع واقعاً على السنة حتى يصدر
بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر وإلا كان فعلاً كلا فعل جعل فعله
مفعولاً باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات في قوله تنبت بالدهن على
معنى متبركاً باسم الله أقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبساً بالرفاء والبنين وهذا

الوجه أعرب وأحسن فإن قلت فكيف قال الله تعالى متبركاً باسم الله أقرأ قلت هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل
الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم
عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فإن قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف
واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك
فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها
لازمة للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا
همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل
لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء ومنهم من
لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الأسماء
المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه
بالمسمى وإشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الأعلى
فإن قلت فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي
عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا أطولت الباء تعويضاً من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال
لكاتبه طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الإله قال معاذ الإله أن تكون كظبية ونظيره
الناس أصله الأناس قال إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك
قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا إله والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو
باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط
والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره
ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فإن قلت
أاسم هو أم صفة قلت بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول
إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضاً فإن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها
صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فإن قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق
أن ينتظم الصيغتين فصاعداً معنى واحد وصيغة قولهم أله إذا تحير ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى
التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل
وقل النظر الصحيح فإن قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم
عليه دليل أنهم ورثوه كابراً عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم
فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة
ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضباً ومما طن على

أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق
فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف
قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة
كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما أن الله من الأسماء الغالبة وأما قول بني
حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه ✽ وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا ✽ فباب من
تعنتهم في كفرهم فإن قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا قلت أقيسه على أخواته من بابه أعني نحو
عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه فإن قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان
فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك أن يكون له
مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فإذا لا عبرة بامتناع التأنيث
للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فإن قلت ما معنى
وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن
إنعامه على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه كما أنه إذا
أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فإن قلت فلم قدم ما هو أبلغ من
الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل
وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف
ليتناول ما دق منها ولطف الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها
تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب
واللسان والجوارح قال ✽ أفادتكم النعماء مني ثلاثة ✽ يدي ولساني والضمير المحجبا ✽ والحمد باللسان وحده فهو
إحدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وإنما جعله رأس الشكر
لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء
عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل
مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو
لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي ينصبها العرب بأفعال مضمرة
في معنى الإخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها
منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة
المنسوخة والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى
قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية أحسن من تحيتهم
لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل إياك

كيف

نعبد وإياك نستعين لأنه بيان لحمدهم له كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد فإن قلت ما معنى التعريف
فيه قلت هو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن
الحمد ما هو والعراك ما هو من بين أجناس الأفعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم
منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لإتباعها اللام وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الحمد لله بضم
اللام لإتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والإتباع إنما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل
ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين وأشف القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل
الحركة البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لأبي سفيان
لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم
فهو نم ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده وهو في
غيره على التقييد بالإضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع إلى ربك إنه ربي أحسن مثواي وقرأ زيد
بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد الله رب العالمين
العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الأجسام والأعراض فإن قلت لم جمع
قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فإن قلت فهو اسم غير صفة وإنما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما
في حكمها من الأعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم ملك يوم الدين قرئ
ملك ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ أبو حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ أبو هريرة
رضي الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك
هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولأن الملك يعم والملك يخص
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ✽ ولم يبق سوى العدوان دناهم
كما دانوا ✽ فإن قلت ما هذه الإضافة قلت هي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع مجرى
مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الأمر كله في يوم الدين
كقوله لمن الملك اليوم فإن قلت فإضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف
فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت إنما تكون غير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان في
تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا فأما إذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده أمس
أو زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الإضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك
يوم الدين ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف والدليل
عليه قراءة أبي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين
لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق
ومن كونه مالكا للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق في قوله

الحمد لله دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله. إيّا ضمير منفصل
واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك إياك وإياه وإياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم
ولا محل لها من الإعراب كما لا محل للكاف في أرأيتك وليست بأسماء مضمرة وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون
وأما ما حكاه الخليل عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم
المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل أفغير الله تأمروني أعبد قل أغير الله أبغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة
ونخصك بطلب المعونة. وقرئ إياك بتخفيف الياء وأياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء
قال طفيل الغنوي: فهياك والأمر الذي إن تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره. والعبادة أقصى غاية
الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع
لله لأنه مولي أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع. فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب قلت
هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم
كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى وقد التفت
امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات: تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الأرمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته عن أبي الأسود وذلك على عادة افتنانهم في
الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع
وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع
أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية
الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نخص
بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز
الذي لا تحق العبادة إلا به. فإن قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى
ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته. فإن قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لأن تقديم
الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها. فإن قلت لم أطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان
فيه والأحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من
المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه
بحجزة بعض. وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون. هدى أصله أن يتعدى باللام أو بإلى كقوله تعالى إن هذا
القرآن يهدي للتي هي أقوم وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى
طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الألطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا. وعن علي وأبي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا. وصيغة الأمر والدعاء واحدة لأن كل واحد منهما
طلب وإنما يتفاوتان في الرتبة. وقرأ عبد الله أرشدنا. السراط الجادة من سرط الشيء إذا ابتلعه لأنه يسترط
السابلة إذا سلكوه كما سمي لقما لأنه يلتقمهم. والصراط من قلب السين صادا لأجل الطاء كقوله مصيطر في مسيطر

وقد تشم الصاد صوت الزاي. وقرئ بهن جميعا. وفصحاهن إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام ويجمع
سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام. صراط الذين أنعمت
عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت
عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم. فإن قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم قلت
فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين
ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس
وأفضلهم فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك
ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا وإيضاحا للأكرم الأفضل فجعلته علما في الكرم والفضل
فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع
والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق
نعمة إلا أصابته واشتملت عليه. وعن ابن عباس هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا وقيل هم الأنبياء. وقرأ ابن مسعود
صراط من أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا
من غضب الله والضلال أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله
والضلال. فإن قلت كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف قلت الذين
أنعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني. ولأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم
عليهم فليس في غير إذن الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرف. وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير. وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت. وقيل المغضوب عليهم هم اليهود
لقوله من لعنه الله وغضب عليه. والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل. فإن قلت ما معنى غضب الله قلت هو
إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله
من غضبه ونسأله رضاه ورحمته. فإن قلت أي فرق بين عليهم الأولى وعليهم الثانية قلت الأولى محلها النصب على المفعولية
والثانية محلها الرفع على الفاعلية. فإن قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كأنه
قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول أنا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك أنا زيدا مثل ضارب لأنه بمنزلة
قولك أنا زيدا لا ضارب. وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين. وقرأ أيوب السختياني
ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن. وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم شأبة ودأبة. آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد وحيهل
وهلم أصوات سميت بها الأفعال التي هي أمهل وأسرع وأقبل. وعن ابن عباس سألت رسول الله عن معنى آمين فقال
افعل. وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال: ويرحم الله عبدا قال آمينا. وقال: أمين فزاد الله ما بيننا بعدا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب
وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف. وعن الحسن لا يقولها الإمام لأنه الداعي. وعن أبي حنيفة رحمه الله

مسألة والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه و
وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر أن النبي صلى الله عليه كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ر
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التورية والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى
الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبي عليه السلام ق
إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه
تعالى فيرفع الله عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها
الحروف المبسوطة منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب إذا تهجيته وكذلك را با اسمان
لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهي حروف وحدان
والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا
المسمى صدر كل اسم منها كما ترى إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا ساكنا وما
يضاهيها في إيداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل
أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد فيقال ألف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة فإذا وليتها
العوامل أدركها الإعراب كقولك هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت إلى ألف وهكذا كل اسم عمدت إلى
تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك أن تلفظ به موقوفا ألا ترى أنك إذا
أردت أن تلقي على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الإعراب فتقول
دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا فإن قلت لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية وهلا زعمت
أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت أن قولهم
خليق بأن يصرف إلى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا تقدح إشكالا في اسميتها
كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك أن قولك ألف دلالته على أوسط حروف
قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فضل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف ما دل على
معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك
يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والإسناد والإضافة وجميع ما للأسماء المتصرفة
ثم إني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون إذا أردتم
أن تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا
بالحرف وقال أقول كه به وذكر أبو علي في كتاب الحجة في يس وإمالة يا أنهم قالوا يا زيد في النداء فأمالوا
وإن كان حرفا قال فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فلأن يميلوا الاسم الذي هو يس أجدر
ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها فإن قلت من أي قبيل هي من الأسماء أمعربة أم مبنية قلت بل هي
أسماء معربة وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه وموجبه

والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء أنها لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون
مجموعا فيها بين الساكنين فإن قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره ألف منها مقصورا فلما أعرب مد فقال هذه با
وتا وها وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك لا مقصورة فإذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا
التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الإعراب أن حال التهجي
خليقة بالأخف الأوجز واستعمالها فيه أكثر فإن قلت قد تبين أنها أسماء حروف المعجم وأنها من قبيل المعربة وأن
سكون أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه أوجه احدها
وعليه إطباق الأكثر أنها أسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف
باب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الإعراب
وهو إما أن يكون اسما مفردا كصاد وقاف ونون أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فإنها موازنة
لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم مضمومة إلى طاسين فيجعلا اسما
واحدا كدارابجرد فالنوع الأول محكي ليس إلا وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران الإعراب والحكاية
قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى العبسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم
فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما أعرب من أخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما
العلمية والتأنيث والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الأولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت
بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها قال وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار وقال ذو
الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال آخر تنادوا بالرحيل غدا
وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول أهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال
سيبويه سمعت من العرب لا من أين يا فتى فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات
قلت الوجه أن يقال ذاك نصب وليس بفتح وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها
بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى أبو سعيد السيرافي
أن بعضهم قرأ ياسين ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فإن قلت هلا زعمت
أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم نعم الله لأفعلن وأي الله لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال فعل
القسم وقال ذو الرمة ألا رب من قلبي له الله ناصح وقال آخر فذاك أمانة الله الثريد قلت إن القرآن
والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا
ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن الواوين الأخريين
ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والأولى
بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى فقال إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء

ولو كان اتفق قسم بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاما آخر ويكون كقولك بالله لأفعلن بالله لأخرجن
اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك وحق زيد لأفعلن والواو الآخرة واو قسم لا يجوز إلا مستكرها قال
وتقول وحياتي ثم حياتك لأفعلن فثم ها هنا بمنزلة الواو هذا ولا تستقل فيما نحن بصدده إلى أن يجعل
الواو للعطف لمخالفة الثاني الأول في الإعراب فإن قلت فقدرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها
فقد جاء عنهم الله لأفعلن مجرورا ونظيره لاه أبوك غير أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة
واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه قلت هذا لا تبعد عن الصواب ولكن
ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال أقسم الله بهذه الحروف فإن قلت فما وجه قراءة بعضهم صادِ وقافِ
بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك أن الوقف
استمر بهذه الأسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن
وأخرى معاملة هؤلاء فإن قلت هل تسوغ في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من إرادة معنى القسم قلت
لا عليك في ذلك وأن تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه
السورة وبالكتاب المبين إنا جعلناه وأما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له بالجر
والنصب جميعا على حذف الجار وإضماره فإن قلت فما معنى تسمية السور بهذه الألفاظ خاصة قلت كأن
المعنى في ذلك الإشعار بأن الفرقان ليس إلا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ كما قال
عز من قائل قرآنا عربيا فإن قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف أنفسها لا على صور
أساميها قلت لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل
للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك الشاكلة
المألوفة في كتابة هذه الفواتح وأيضا فإن شهرة أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها وأن اللافظ
بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع
اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء
ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا
تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان
لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما
أسقطه والوجه الثاني أن تكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ
وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد
عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا
أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم

أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في
القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق
ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر وأنه
كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل ولمناصره على الأول أن يقول
إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوبا في أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين
ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة والقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج إلى ما ليس في لغة
العرب ويؤدي أيضا إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فإن اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه
الدهر وأنه لا سبيل إلى رده أجابك بأن له محملا سوى ما ذهب إليه وأنه نظير قول الناس فلان يروي
قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في
أولادكم والله نور السموات والأرض وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد والسور والآي وإنما تعني رواية
القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة والآي التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد
التسمية واستفاد منها ما يستفيده من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراض
على الوجه الأول أن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن إذا
جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فأما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لأنها من باب
التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق أو بيت شعر
وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة
قاطعة على صحة ذلك وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لأنها تسمية مؤلف
بمفرد والمؤلف غير المفرد ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين إليه كقولهم صاد
فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث
أن ترد السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بوجه من الإغراب وتقدمة
من دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميون منهم وأهل
الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم
منهم وكان مستغربا مستبعدا من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال الله عز وجل
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون فكان النطق بذلك مع اشتهار أنه لم
يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء
من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن
يسمعها من أحد واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف

لسامي حروف المعجم اربعة عشر سوا وهي الالف واللام والميم والصاد والرا والكاف والها واليا
والعين والطا والسين والحا والقاف والنون في تسع وعشرين سوره على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت
في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها
الصاد والكاف والها والسين والحا ومن المجهوره نصفها الالف واللام والميم والرا والعين والطا والقاف
والياء والنون ومن الشديده نصفها الالف والكاف والطا والقاف ومن الرخوه نصفها اللام والميم والرا
والصاد والها والعين والسين والحا والياء والنون ومن المطبقه نصفها الصاد والطا ومن المنفتحه نصفها
الالف واللام والميم والرا والكاف والها والعين والسين والحا والقاف والياء والنون ومن المستعليه نصفها القاف
والصاد والطا ومن المنخفضه نصفها الالف واللام والميم والرا والكاف والها والياء والعين والسين والحا والنون
ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطا ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها
من هذه الاجناس المعدوده مكثورة بالمذكوره منها فسبحان الذي دقت في كل شي حكمته وقد علمت ان معظم الشي
وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطايف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ
التي منها تراكيب كلامهم اشاره الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر
من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاتا في معظم هذه
الفواتح مكررتين وهي فواتح سوره البقره وال عمران والروم والعنكبوت ولقمن والسجده والاعراف
ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القران وما لها جات مفرقة
على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مولف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل
الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مره وكذلك مذهب كل تكرير جا في القران فمطلوب به
تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جات على وتيره واحده ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون
على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على
اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم
على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسه احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح
ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سوره بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه
والمبادي كلها في تاديه هذا الغرض سوا لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى
الرجل بعض اولاده زيدا والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو
حاصل اية سلك ولذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام
ولنقيضه القعود فان قلت فما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح اية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال

للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فاية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص اية والمر لم تعد
اية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها
كلها وحم عسق ايتان وكهيعص اية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد اية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم
لم يعدوا شيا منها اية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحده اية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان
وحدها ايتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على
معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسما للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها
اخبار ابتدا محذوف كقوله عز قايلا الم الله اي هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه
الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسما للسور لانها عنده كساير الاسما الاعلام فان قلت ما محلها
قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتدا واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله
والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسما للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداة وللمفردات
المعدوده فان قلت لم صحت الاشاره بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشاره الى الم بعد ما سبق الكلام به وتقضى
والمقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك
كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل
الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب
الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشاره والمشار اليه مونث وهو السوره قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب
خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجرا حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم
من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشاره مشار به الى الجنس الواقع صفة له
تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبيت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب
الزاري فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسوره ففي التاليف وجوه ان
يكون الم مبتدا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه ان ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل
كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل
في الرجوليه الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد
وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم
ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت
الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل
والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب الكامل
او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر

عبد الله بن مسعود

والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي
كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان
وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشي فان قلت
كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب
ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان
يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها
غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما
كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه
كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل
ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثا لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة
ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا
ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل
الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل
وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال
مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله
الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون
مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت
فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى
متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض
وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم
على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة
فبقي ان يكون هدى لهولاء فلو جي بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر
الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى

الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر اوليا الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل
من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها ضلع
من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شي يولمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به
العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل
يطلق على الرجل اسم المومن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل
هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه
ويجوز ان ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه
المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه
ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جي بها متناسقة
هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متاخية اخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها
وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان
شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض
العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى
للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل
واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى
الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على
الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز
في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يومنون
اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يومنون او هم الذين
يومنون واما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتدا مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين
حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع
المتقين تفيد غير ما افادته ام جاءت على سبيل المدح والثنا كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على
طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد
انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلاة والصدقة لان هاتين اما العبادات
البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل
بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة فلما
كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا

استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم يتوقف اخواته ان يقترن به مع ما في
من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك فكذلك الاترى الى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ان لا يكون بيانا للمتقين ويكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان
يكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكاة بالذكر اظهارا لانافتها
على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال
آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما
حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمأنينة وكلا
الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون
في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب
ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر
محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية فان قلت فما المراد
بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك
غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا
وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع
الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل في قيّل والمراد به الخفي
الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان
يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب
والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد
الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر
ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلاة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها
وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وعلا الذين هم على صلاتهم
دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس
فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها
وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن
وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه
بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع والسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من
المسبحين والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك

الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفّر اليهودي اذا طأطأ رأسه وانحنى عند
تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع
والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل ان يضاف الى الله ويسمى
رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة
على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه باخت
الزكاة وشقيقتها وهي الصلوة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول
كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء
فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تأملت فان قلت والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون
وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا
بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من
قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون
وزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة
مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في
الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف
على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة
المتقين ام لا قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الفريقين من
مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون
بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك ان عني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت
ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال
الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت
فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى
نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن
سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كلما خطب فلان فهو فصيح وما تكلم الا وهو نادر ولا تريد بهذا
الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب

بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض بأهل الكتاب
وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل
إليك وما أنزل من قبلك والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي
هو نقيض الأول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه
خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام كقوله دابة الأرض وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز
جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان إلي مؤسى وجعدة
إذ أضاءهما الوقود أولئك على هدى الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها
ونظم الكلام على الوجهين أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك أنه
لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع
قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم
التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم
أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا
الكرب عن وجهه أولئك أهل المحبة وإن جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين
بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس
بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث
كقولك قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وتارة بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم
أهل لذلك منك فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فإن قلت هل يجوز
أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره قلت نعم على أن يجعل اختصاصهم
بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم
ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الإشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه
من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله
فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم
من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق
وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى
هدى من ربهم أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على
أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره
كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا وقال الهذلي فلا وأبي الطير المربة
بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد

وورش في روايته والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون إلا أبا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان
وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين
في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فإن قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق
بينه وبين قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل
العاطف بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة
الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة
والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر
أولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك
أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين
إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول
لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام إن زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص
المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل
بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع
الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا
في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه
والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك
أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى لما ذكر أولياءه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده
وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا
ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته فإن قلت لم
قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت
ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية
لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فإن قلت
هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر
في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف
وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري
عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة
وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث
عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا

الى كلمة سوا بيننا وبينكم في اربعة ايام سوا للسائلين بمعنى مستويه وارتفاعه على انه خبر لان وانذرتهم ام
لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعليه كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا
مختصم اخوه وابن عمه او يكون ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتدا وسوا خبرا مقدما بمعنى سوا عليهم الانذار
وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من
جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني
ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان
ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستوا وقد انسلخ عنهما
معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى
الاستوا استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه
فكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرى ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانيه بين بين
وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانيه بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقا حركته
على الساكن قبله كما قرى قد افلح فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانيه الفا قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب
خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما
نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطا طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان
تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر
عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان يكون جملة موكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض
الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشي بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه
والغشاوة الغطا فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البنا لما يشتمل على الشي كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم
على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون
من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها
من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغا اليه وتعاف
استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي ايات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين
المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا
بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشيا ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية
وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام
بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده
اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه

بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله
لا يامر بالفحشا ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما
اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشي الخلقي غير العرضي
الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك
وقد وردت الايه ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان
تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقا اذا اطال
الغيبة وليس للوادي ولا للعنقا عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال
من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقا فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي
عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب
البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق
ونبوها عن قبوله وهو متعال عنه ويجوز ان تستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى
اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر
والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشيا على طريق المجاز المسمى استعارة
وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول
به عيشة راضية وما دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذايل وفي الزمان نهاره صائم
وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة
ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله
سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم
لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمنون ولا تغني عنهم الايات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان
اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر
والالجا واذا لم تبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف
عبر عن ترك القسر والالجا بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد
لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجا وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال
والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة
في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في
دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم

تعديه واحده وحين استجد للاسماع تعديه على حده كان ادل على شده الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في
قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يومن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع
رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي
اذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هلا
منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلا وهو الصاد قلت لان الرا المكسورة تغلب
المستعلية لما فيها من التكرير فكان فيها كسرتين وذلك اعون شي على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور
العين وهو ما يبصر به الراي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران
لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرى غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم
والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين
غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بنا ومعنى لانك تقول اعذب عن الشي اذا امسك عنه
كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه
نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا
وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير
والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث
جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير
ما يتعارفه الناس وهو غطا التعامي عن ايات الله ولهم من بين الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا
الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله
وواطات فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا
وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين امنوا بافواههم ولم تومن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم
الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هولا ولا الى هولا وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم
اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزا وخداعا ولذلك انزل فيهم ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في ايتين وحال الذين نافقوا في ثلث عشرة اية نعى
عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم
وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة
الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة ومن الناس اصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها
مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم
وانهم يونسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصل
الا تراك تقول في وزن قه فعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسما الجمع كرخال واما

نويس فمن المصغر الاتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون
للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هولا من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن
كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني
والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المومنين رجال ان جعلت
اللام للعهد وان جعلتها للجنس موصولة كقوله ومنهم الذين يوذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون
غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي
هذا الجنس مغايرا للنوع الاخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزا لا يخرجهم من
ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تتنوع بمغايرات تقع بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تاتي
بالنوعية ولا تابى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر قلت
اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله
ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم امنا بالله
وباليوم الاخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم
فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزا بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان
الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه
واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله واخره وفي تكرير البا انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة
والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمومنين قولهم امنا بالله وباليوم الاخر والاول في ذكر شان
الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريقا
ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة
من طوائف المومنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة
فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في
الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا
من الايمان في شي لا من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت فما المراد باليوم الاخر قلت يجوز
ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من
النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع ان يوهم
صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه
ثم خرج من باب اخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمومنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع
والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمومنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله

واستمطروا من قرن كل مخرج وقول ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلبه فقد جا البغي بالاخداع ولهم بالجرع
قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع
الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل
الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا
احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه
الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح
فلم يبعد من مثله ان يكون الله في ظنه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده
ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه
مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله
ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله
والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص
ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر لذلك ان الذين
يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه
لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل
للاقتصار بخادع على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة
في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا
مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخادعون
بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما نفعهم فيه فقيل يخادعون فان قلت لم
كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما
كانوا يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم
الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على
اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم قلت لم يظهر عليهم
لما احاط به علما من المصالح لو اظهر عليهم لانقلبت خافية واستنبعا الملبس ودريته وهنا ذكرتهم وما هم عليه
من اغوا المناصبين ويلقيهم النفاق لشر من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله
وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان
ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرر راجعة اليه وغير
متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما
يحدثونها به والشيطان يمنيهم ويخدعهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما

يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله
والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك
بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة
نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وهو غير فلان يؤامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رايان
وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعيي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان
الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى
بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم
ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك
بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة
ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى
المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما
استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحنق
والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله
قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان
من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد
اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل
قلوبهم من الجبن والضعف والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا
ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها الياس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على
الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة
المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقال رسول الله صلى الله عليه نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم
مرضا انه كلما انزل الله على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما
ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او
كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت
قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا او يحمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو
في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله
تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد
بما كانوا يكذبون بكذبهم وقولهم آمنا بالله وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخيل ان العذاب الاليم لاحق
بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا

وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه
عن انبائها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به
انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي
مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو للمبالغة
في كذب كما في صدق فعل صدق وبين بمعنى بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهائم
وبركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره
ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة
واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا
كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو
الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء
الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل ايجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين
في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن
فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تفعل ما يؤدي بك الى الهلكة ولا تلق نفسك في النار
اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب
ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد الا
مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد
تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به
القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك
رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما
في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسط الفصل لا يشعرون اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما
تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم لطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام
ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما
يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم
هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما آمن يجوز ان تكون
كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس
معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس
كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق
والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا

قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم
عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم
لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن
الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رئاسة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال
كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما
غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل
والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت فلم فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان امر
الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما
النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا
عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه
قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا فالله اعلم وهذه الاية بخلاف ما سيقت له اول قصة
المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين
من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطارهم صدقوهم
ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله فقال عبد الله انظروا
كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
والباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني
هاشم ما خلا رسول الله فقال علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله
مهلا ابا الحسن الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم ثم افترقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا
عليه خيرا وقوله تعالى لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي ومقابل وقرأ ابو حنيفة رحمه الله
واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى ومنه خلاك ذم اي عداك ومضى
عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا
انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا
الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها
قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة
ومن اسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة
الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في
ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم

لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد
واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين
والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المومنين ربنا امنا واما مخاطبة اخوانهم فهم
اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور
وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق
قوله انما نحن مستهزءون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن
مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض
الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم
انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية
والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على المكان عن بعض العرب
مشيت فلغبت فظننت لاهزان على مكاني وناقته تهزا به اي تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال
عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما
معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرمي اليه هو طلب الخفة والزراية ممن
يهزا به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة
والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك منها
الضاحكون ويجوز ان يراد بما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بالادخار
ما اراد بهم من العذاب وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية
الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء
ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما
للمومنين ولا يحوج المومنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل ان الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما
نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم
وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك
استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان تنزل عليهم سورة
تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده
والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما
بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه
فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون

المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام
كاملى له فان قلت كيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم
في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت
قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المومنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله لانه
مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه
بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع
اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسندوا الى الشياطين
ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر
كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به
التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل وقصد ما قاله
الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هولاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في
العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي
نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته نفوسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء
منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم
يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكرنا اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة
ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة
في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير
والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا راي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا
منار بها ومعنى اشتروا الضلالة بالهدى اختارها عليه واستبدلها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء
بدل واخذ اخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما
اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون
الدنيا بعمل الاخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه
لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس
عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص
نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده
على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها
تبيع نفسها وقرا ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي
وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت
جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رايت اسدا وان لم تعلم حال المراد له

لربح ؞ فإن قلت هب أن شرا الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبا
على الحقيقة ؞ قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى
لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العر
كأن أذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما
ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ؞ ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكر
جاش له صدري ؞ لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قو
بعض فتاكهم في أمه ؞ وما أم الردين وإن أدلت بعالمة بأخلاق الكرام ؞ إذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه
أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهد
إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفيق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر
الشرى اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فإن قلت فما
قوله وما كانوا مهتدين قلت معناه أن الذي تطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والر
وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم
الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا
يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون
ويخسر ؞ لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الأمثال واست
العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيئات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخ
صورة المتحقق ؞ والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة
الأبي ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الأنبيا
والحكماء قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والم
في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقو
الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قو
غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير ؞ فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نا
وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه ؞ قلت قد استعير المثل استعا
الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن
الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العج
ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التور
صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صف
الشأن ؞ فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خا
والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحد

أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق
بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين
والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذاك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ
الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على أن المنافقين
وذواتهم لم يشبهوا بذوات المستوقدين حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه
قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت
ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل في الجبل إذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء
حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة
واضطرابا والنور مشتق منها والإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في
الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن
وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل إشراق ضوء
النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه
للدوران والإطافة وقيل للعام حول لأنه يدور فإن قلت أين جواب لما قلت فيه وجهان أحدهما أن جوابه ذهب الله
بنورهم والثاني أنه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس
للدال عليه وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد
بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على
فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النار ؞ فإن قلت فإذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما
بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل
البيان ؞ فإن قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه إلى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد
لأنه في معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى فإن
قلت فما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر
فقد أطفأها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا
يرضاها الله ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها
قليلة البقاء ألا ترى إلى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وإما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا
بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فأطفأها الله وخيب أمانيهم ؞ فإن قلت كيف صح في
النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره ؞ فإن قلت هلا
قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت قلت ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم
لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى كيف ذكر عقيبه

وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما بعدها

لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم

انها ظلمة مبهمة لا يرى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والعرفج [illegible] ذهب ان معنى

مولدهم تقحموا ولوح الضلالة عقيبه ثم تخفت

اداله وجعله ذاهبا به ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به

اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهب الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له

الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله

على يبسر كان بمعنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله

في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واستعمالها

قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام

وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره

بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون فان قلت

فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في

حال المنافق وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاؤوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة

على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد

ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة

النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة

بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها

وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة

ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم

جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا

ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله

واصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقه عند علماء البيان قلت طريقه قد حاءت الاستعارة في

هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء

والصفات والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صماء عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت

هل يسمى ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم

المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد

المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد

اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو

تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء ولبعضهم لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر

منسلك ولسنا نبالي ان نقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق

به نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون

الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا

جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤوا منه ثم ثنى الله سبحانه

في شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز

ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال

وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور

ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش

بالوشي اكرعه اذاك ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره

الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق

وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار

بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام

بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت

هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات

ولا المسيء وفي قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا

فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج

ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين

جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب

الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس

وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى

مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله

بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر

بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة

بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف

وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من

طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان

قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قوله او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في

المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لما كنت متعنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية

المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحياة

الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا
قول لبيد وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وإنما شبه وجودهم
في الدنيا وسرعة زوالهم وفناءهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فإن قلت أي التمثيلين
أبلغ قلت الثاني لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ
فإن قلت لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت أو في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها
فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان في استصواب أن تجالس
أيهما شئت ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله أو كصيب معناه أن
كيفية المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل
فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب أي ينزل من صاب يصوب ويقال للسحاب صيب
أيضا قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل
الأول وقرئ كصائب والصيب أبلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف فإن قلت قوله من السماء ما الفائدة في
ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء قلت الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق
لأن كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله وأوحى في كل سماء أمرها والدليل عليه قوله ومن بعد أرض
بيننا وسماء والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء
والتنكير أمد ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من
البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فإن قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده
على موصوف **والرعد** الصوت الذي يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتقض إذا أخذتها الريح فتصوت
ذلك من الإرعاد **والبرق** الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا إذا لمع فإن قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات
فلا يخلو من أن يراد به السحاب أو المطر فأيهما أريد فما ظلماته قلت أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم مطبقا فظلمتا سحمته
وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة إظلال
غمامه مع ظلمة الليل فإن قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب قلت إذا كانا في أعلاه
ومصبه وملتبسين في الجملة فهما فيه ألا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه إلا في حيز يشغله جرمه فإن قلت هلا
جمع الرعد والبرق أخذا بالأبلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده قلت
فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الأصل يقال رعدت السماء رعدا
وبرقت برقا روعي حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع والثاني أن يراد الحدثان كأنه قيل وإرعاد
وإبراق وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف
وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون إلى أصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال
هم بالمحذوف لأن المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه ألا ترى إلى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لأن المعنى ماء بردى

ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف
حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف
أبصارهم فإن قلت رأس الأصبع هو الذي يجعل في الأذن فهلا قيل أناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا
يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذي هو إلى
المرفق والذي إلى الرسغ وأيضا ففي ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل فإن قلت فالأصبع التي
تسد بها الأذن أصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى
بآداب القرآن ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فإن قلت فهلا
ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وإنما أحدثوها بعد وقوله
من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة
قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء
إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال
صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق ومنه قوله تعالى وخر
موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لأن كلا البناءين سواء في التصرف وإذا استويا كان كل
واحد بناء على حياله ألا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره
جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد
والتاء مبالغة كما في الراوية أو مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن أبي ليلى **حذار الموت** وانتصب على
أنه مفعول له كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه إحساس
معاقب للحياة **وإحاطة الله بالكافرين** مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط حقيقة وهذه الجملة
اعتراض لا محل لها والخطف الأخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى وعن ابن مسعود
يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء وأصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على إتباع الياء الخاء وعن زيد بن
علي يخطف من خطف وعن أبي رضي الله عنه يتخطف من قوله يتخطف الناس من حولهم **كلما أضاء لهم** استئناف ثالث كأنه جواب
لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على
أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف
أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن
الحركة **ولو شاء الله** لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق وأضاء إما متعد بمعنى كلما نور لهم
ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف وإما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى
ضوئه ويعضده قراءة ابن أبي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعي فإذا ازداد
فهو عدو فإن قلت كيف قال مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا قلت لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من
إمكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس وأظلم يحتمل أن يكون غير

أظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر
حبيب بن أوس هما أظلما حاليّ ثمت أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره
في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك
لوثوقهم بروايته وإتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول
شاء محذوف لأن الجواب عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف
في شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت أن أبكي دما لبكيته
لو أردنا أن نتخذ لهوا لو أراد الله أن يتخذ ولدا ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم
بوميض البرق وقرأ ابن أبي عبلة لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بأيديكم والشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه
قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم من العربية وإنما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى أن الشيء يقع
على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى والشيء مذكر وهو أعم العام كما أن الله أخص الخاص يجري على
الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالأشياء أي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فإن قلت
كيف قيل على كل شيء قدير وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر
أن لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم
قدير ونظيره فلان أمير على الناس أي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس وأما الفعل
بين قادرين فمختلف فيه فإن قلت مم اشتقاق القدير قلت من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته
وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم
ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب
وهو من الالتفات المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من
السامع كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه
ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على
جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة
استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا
الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول
وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني
يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه
وأما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد فإذا نودي به
القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فإن قلت فما بال الداعي يقول

أي ما أسمعه وأبصره

جؤاره يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها
من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط
التهالك على استجابة دعوته والأذن لندائه وابتهاله وأي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذي
وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه فلا بد
أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أي والاسم
التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج
من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف
النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الإضافة فإن قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه
الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره
ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور
عظام وخطوب جسام ومعان واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال
أن ينادوا بالآكد الأبلغ فإن قلت لا يخلو الأمر بالعبادة من أن يكون متوجها إلى المؤمنين والكافرين جميعا أو إلى كفار مكة
خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به وهل هو إلا كقول القائل
للواقف قف ولمن هو قائم أن يقوم وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد
بعبادة المؤمنين ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الإقرار
كما يشترط على المأمور بالصلاة والزكاة شرائطهما من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت
الأمر به وإن لم يذكر حيث لم ينفعل إلا به وكان من لوازمه على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله فإن قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الأمر بالعبادة والأمر بازديادها
قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئين مختلفين فإن قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله
وربوبية آلهتهم فإن خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السماوات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أربابا
وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم
صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة إلا أن الأول أوضح وأصح
والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالإدغام وفي قراءة
أبي السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها أن يقال
أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيما الثاني بين الأول وما أضيف
إليه وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في لا أبا لك ولعل للترجي أو الإشفاق تقول لعل زيدا
يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب ألا ترى إلى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد
جاء على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة
لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال إن لعل بمعنى كي حقا ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن

الحقيقة ما الفسـ ذا إليك وإنما هو من ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعدهم التي يوطنون
أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو
النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد
كلام مالك الملك ذي العز والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا
إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم فإن قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها
قلت ليست مما ذكرنا في شيء لأن قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لأن الرجاء لا يجوز على
عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين ليس بسديد أيضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة
لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة في أقدارهم
وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم
أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لا يفعل
ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار
بناء أمرهم على الاختيار فإن قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره
عليهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا فإن قلت فهلا
قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر
النظم وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة
كان أبعث على العبادة وأشد إلزاما لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني
إلا لجر الأثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع ثم شفعه من موجبات عبادته وملزمات
حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولا لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر
وغيرهما ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه
ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين
المقلة والمظلة من إنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار
رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها
بلازم الشكر ويتفكروا في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر
على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون
أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته إما أن يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم أو على المدح
والتعظيم وإما أن يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا
ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه
وبساطه ومهاده فإن قلت هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه إلا أن الناس
يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع

لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات
الطول والعرض أسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا وأبنية العرب أخبيتهم ومنه
بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فإن قلت ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت
بقدرته ومشيئته قلت المعنى أنه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن
ينشئ الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا
لها من حال إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار
من عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكونا إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في إنشائها
بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا
به ثمرات ولأن المنكرين أعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وأنزلنا
من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من السماء
الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت
من الدراهم ألفا فإن قلت بم انتصب رزقا قلت إن كانت من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة
كان مفعولا لأخرج فإن قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان
أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة
الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وإنما هي مدر متلاحق والثاني أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض
لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على
التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم فإن قلت
بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها
التوحيد وأن لا تجعل لله ندا ولا شريكا أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع في قوله عز وجل لعلي أبلغ الأسباب
أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى في رواية حفص عن عاصم أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه
أو بالذي جعل لكم إذا رفعته على الابتداء أي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة
بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ قال جرير أتيما تجعلون إلي ندا وما
تيم لذي حسب نديد ونادَدت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد
مسده ونفي ما ينافيه فإن قلت كانوا يسمون أصنامهم بأسمائه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها
تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله
قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع
شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه أربا واحدا
أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فإن قلت ما معنى وأنتم تعلمون قلت معناه وحالكم
وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال والإصابة في التدابير والدهاء

والفطنة بمنزلة لا يدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في
استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة
والتوبيخ فيه اكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية
الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان تقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او
تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما اثبت الوحدانية
وتحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك
فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد
صلى الله عليه وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند
نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم
قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه
لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا
نجوما سورة بعد سورة وايات غب ايات على حسب النوازل وعند حدوث الحوادث على سنن ما نرى عليه اهل الخطابة
والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات
السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله
هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي
انزل هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر
السور او ايات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته
والسورة الطائفة من القران المترجمة التي اقلها ثلاث ايات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسور المدينة وهو حائطها لانها
طائفة من القران محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء
سور المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس
غرابها بمطار لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او
لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القران كالسؤرة
التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة
ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور
وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع
واصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب
ثم اخذ في اخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر
اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزا القراء القران
اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها

لها فاتحة

لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران
جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها
لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة
من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك
المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله
من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثري
للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان
والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله
فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان القران جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب
والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط
به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما
يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا
قرانا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في
التحدي من ان يقال لهم ليات واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني
الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان
احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال
والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما
في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق
اي اذا تجاوزت وقاية الله فلم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم
فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا
الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي
قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته
غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم
بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد
وفرسان المقاولة والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة
بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز
وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق

مدارة القوم زعماؤهم والمتكلمون عنهم

كما تقول للعاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند
الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا
صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي
والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم
من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كلا من شهدائكم واستظهروا به
من الجن والانس الا الله لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت
الانس والجن الاية فلما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته
وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح
الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون
المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا
جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم
وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام
والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو
يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال
تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن
طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا
فتقول بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل
لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله فان قلت **لن تفعلوا** ما محلها قلت لا محل لها
لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا
تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى
الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب
لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتسامع
الناس به فيتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فلما
علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله
قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم
يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع **فاتقوا النار** موضعه لان
اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول
الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط
وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد

بانابة اتقاء النار منابه واتباعه في صورة متشبعة ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها **والوقود** ما ترفع
به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا قال
والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده
ويجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط اي ليست حيوته الا به فكأن نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي
والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم
لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا
وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة
قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه
اولا فان قلت ما معنى قوله **وقودها الناس والحجارة** قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد
الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقودها ثم طرح فيها ما
يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط
حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة
بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار توقد بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة
يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن
وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها
اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه
الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها
ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون
المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم
ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث
يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل
وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل **اعدت** هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ
عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة من عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة
بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم
بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها
من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المامور بقوله **وبشر** قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه
وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يامر بذلك واحدا
بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق

بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه
قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو
جملة ثواب المومنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر
عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم
وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبُشِّر على لفظ المبني للمفعول عطفا
على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان
فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني
عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما
فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه
كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة
في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل
ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام الجنس داخلة على
المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان
يراد بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد
لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه
فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المومن
في مواجب التكليف **والجنة** البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير
تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة
التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة
لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى
آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها
فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على
حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب
بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة
وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن
يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه ما يفسده ويذهب
بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن
اشركت ليحبطن عملك وقال للمومنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان
اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري **الانهار من تحتها**

قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطي الانهار الجارية وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود
وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري
من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شي واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس
ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا
وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من
تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نَهَر بفتح الهاء ومدار
التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد
عليه يومان فان قلت لم نكر الجنات وعرف الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد
الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او
يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار الى الانهار المذكورة
في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الاية وقوله **كلما رزقوا** لا يخلو من ان يكون صفة ثانية
لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه ان ثمار تلك الجنات اشباه
ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها
وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع **من ثمرة** قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان
شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او
رمانها او عنبها او غير ذلك **رزقا قالوا** ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ
من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله منزلة ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من
بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدا من ضمير
الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة
الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج
قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف
قيل **هذا الذي رزقنا من قبل** وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا
مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله **واتوا به متشابها** وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه
كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا
الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني
والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض
يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل واذا
راى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشي من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف وراى فيه مزية

ظاهرة وتفصلة بينة وتفاوتاً بين ما عهد بليغاً أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه
وتبين كنه النعمة وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنساً لم يعهد وإن كان فائقاً حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا
كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل
عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون
نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب
في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا
ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها
دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي
يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان ✱ عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها
أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعاً
ويجوز أن يرجع الضمير في أتوا به إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانساً نحو
في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك
كل فاللون واحد والطعم مختلف ✱ وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما
هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة الأولى قالوا ذلك والتفسير الأول هو هو
فإن قلت كيف موقع قوله وأتوا به متشابهاً من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا
وكان صواباً ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة
للتقرير والمراد **بتطهير الأزواج** أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس
ويجوز لمجيئه مطلقاً أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن
ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن
فإن قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما في الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل
والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة ✱ وإذا العذارى بالدخان تقنعت ✱ واستعجلت نصب القدور فملت
والمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطّهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب
ما أحوجني إلى بيت الله فأطّهّر به أطّهُرة أي فأتطهر به تطهرة فإن قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن
ليست في طاهرة وهي الإشعار بأن مطهراً طهرهن وليس ذلك إلا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية
فيما أعد لهم **والخلد** الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم
الخالدون ✱ وقال امرؤ القيس ✱ ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي ✱ وهل ينعمن من كان في العصر الخالي ✱ وهل ينعمن إلا
سعيد مخلد ✱ قليل الهموم ما يبيت بأوجال ✱ سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل
العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروباً بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب
من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من المشاهد

فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب
به المثل إذاً إلا أمراً تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى إلى
الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت
حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن
وجعلت أقل من الذباب وأخس قدراً وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلاً لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل
استحي من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكمه
ويستدعيه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل
إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن
الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق
إلا أن حب الرياسة وهوى الإلف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوا عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان
وقابلوه بالإنكار وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك
وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم
مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد
من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفني
مخ البعوض ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود
والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغبى استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج
المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة
بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معولاً وعن الحسن وقتادة لما
ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله
فأنزل الله هذه الآية **والحياء** تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة
يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير
منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء
وذاب حياء وجمد في مكانه خجلاً فإن قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم
وذلك في حديث سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفراً
حتى يضع فيهما خيراً قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفراً من عطائه لكرمه
بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه وكذلك معنى قوله **إن الله لا يستحيي** أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة
ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب
والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول
أبي تمام ✱ من مبلغ أفناء يعرب كلها ✱ أني بنيت الجار قبل المنزل ✱ وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة

تعالى الرحل انها الجعد عنى تعالى الله ملاذك وقل سهادته فالذي سوغ بنا الحائر وجعد السهاده هو مراعاة المشا
ولولا بنا الدار لم يصح بنا الحائر وسوطه السهام لا يصح جعيدها ولله در امر العرب واحاطته بفنون البلا
وسعها لا تكاد تستعرب منها فانا لا تعثر عليه فيه على قوم مناهجه واسرار مدارجه وقد استعير الحيا فيما لا
يصح فيه اذا ما استحيت الما يعرض نفسه كرغو نشئت في ايام الورد وقرا ابن كثير في رواية ابن شبل يستحي
بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هاهنا وضرب
المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله خاتما من ذهب وما هذه ابهامية
وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان
او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصب بعوضة
فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي
احسن ووجه اخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله عز وجل لاصنامهم
بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا
يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله ان يمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو مثل
بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدرك لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا
في العدد ولقد الطف قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ
العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن فلا تذهب في هذه القراءة الا الى
هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة
عليه او انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال
بعضه البعوض وانشد لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه
والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش **فما فوقها** فيه معنيان احدهما فما تجاوزها
وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق
ذاك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه
من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول للضاحك وقد ذكر من عرضه تسخ بادي
فقال فلان يغضب بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يجعل نصف دينار فما فوقه تريد كما فوقه ما يخل به وهو الدرهم
والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما رويناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود
قال دخل شبان من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب
فسطاط فكادت عنقه او عينه ان يذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه قال ما من مسلم
يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في الالم
وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
وهي عضها او ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب

المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت لم يستنكر ذلك لان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد
ضربه رسول الله مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها فمما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة
دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت
عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها
ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض
ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول
واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت
توكيد ذاك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال
سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط
ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المومنين واعتداد
بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء **والحق** الثابت الذي لا
يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج **وماذا** فيه وجهان
ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة
فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده
لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال
وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خير اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي
رايت خيرا وفي قوله تعالى ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين **والارادة** نقيض الكراهة
وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا
لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا
التي هي القصد وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير
ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ما
ذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا **ومثلا**
نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا
او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله **يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا** جار مجرى التفسير والبيان للجملتين
المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب
الهدى الذي ازداد به المومنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في
ظلمائهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل
مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس

الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا، ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا، واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب
به المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم، وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه
وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل
فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على حلقك، وقرأ زيد بن علي يضل به كثير ويهدى به كثير وما يضل به الا
الفاسقون **والفسق** الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا، والفاسق في الشريعة الخارج عن
امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر، وقالوا ان اول من حد له هذا
الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن اشياعه، وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث
ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته
وان لا تقبل له شهادة، ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزئ خلفه، ويقال للخلفاء المردة من الكفار
الفسقة، وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز بالالقاب
ان المنافقين هم الفاسقون، **النقض** الفسخ وفك التركيب، فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت
من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة
يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك، وهذا
من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة
على مكانه، ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا
الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش، **والعهد** الموثق، وعهد اليه في كذا اذا
وصاه به ووثقه عليه، واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه، والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود
المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا، فان قلت فما المراد بعهد الله، قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه
امر وصاهم به ووثقه عليهم، وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى، او اخذ الميثاق عليهم بانه اذا
بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم، وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه ساُنزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل
وما اريته اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم
وصنيعه للذين آمنوا ... واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه
ونقضوا عهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليهما من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا
وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم، وقيل عهود
الله الى خلقه ثلاثة عهود، العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك
وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم، وعهد
خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه، والضمير في ميثاقه للعهد وهو

ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم، ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة
ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله، ومعنى
قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين، وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد
والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض، فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي
هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر
كانه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده، **هم الخاسرون** لانهم
استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها، معنى الهمزة التي في **كيف** مثله في
قولك **اتكفرون بالله** ومعكم ما يصرفكم عن الكفر ويدعوكم الى الايمان وهو الانكار والتعجب، ونظيره قولك اتطير بغير
جناح وكيف تطير بغير جناح، فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير
مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء، قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى
الايمان، فان قلت فهذا من انكار الكفر وانه لانكار الفعل والانكار المستحيل في نفسه او لقوة الصارف عنه فما
تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم، قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع
ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق
الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ، وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم
ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده
على الطريق البرهاني، والواو في قوله **وكنتم امواتا** للحال، فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت
وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد، قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا
الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم
فجعلكم احياء **ثم يميتكم** بعد هذه الحياة **ثم يحييكم** بعد الموت ثم يحاسبكم، فان قلت بعض القصة ماض وبعضه
مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه
فما الحاضر الذي وقع حالا، قلت العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها وآخرها
فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته، قلت قد ذكرنا
ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما
اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه، فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يتصل بالاحياء
الثاني والرجوع، قلت قد تمكنوا من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا
ثم عاندوا، **والاموات** جمع ميت كالاقوال في جمع قيل، فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت
فيما يصح فيه الحياة من البنى، قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز
ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس، فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني، قلت يجوز ان يراد به الاحياء في
القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء، فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب

ثم قلت لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت إلى البقاء بغير تراخ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء، والإحياء الثاني كذلك
متراخ عن الموت إن أريد به النشور تراخيا ظاهرا، وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء
أيضا متراخ عن النشور. فإن قلت من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها؟ قلت لأنها مشتملة على آيات بينات
تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر. قلت تحتمل الأمرين جميعا لأن ما عدده آيات وهي مع
كونها آيات من أعظم النعم. لكم لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم، أما الانتفاع الدنيوي فظاهر، وأما
الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدال على الصانع القادر الحكيم، وما فيه من التذكير بالآخرة وثوابها
وعقابها لاشتماله على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر
الحسنة البهية، وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأفاعي والسموم
والغموم والمخاوف. وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات
في العقل خلقت في الأصل مباحة مطلقا لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها. فإن قيل هل لقول من زعم أن المعنى
خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة؟ قلت إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء ويراد
الجهات العلوية جاز ذلك فإن الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية. وجميعا نصب على الحال من الموصول
الثاني. ثم استوى الاستواء الاعتدال والاستقامة، يقال استوى العود وغيره إذا قام واعتدل، ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل
إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء، ومنه استعير قوله ثم استوى إلى السماء أي قصد إليها بإرادته
ومشيئته بعد خلق ما في الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر، والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم
استوى إلى فوق. والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سماوات تفسيره كقولهم ربه رجلا، وقيل الضمير راجع
إلى السماء والسماء في معنى الجنس، وقيل جمع سماءة، والوجه العربي هو الأول. ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه
وإخلاؤه من العوج والفطور، أو إتمام خلقهن. وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير
تفاوت مع خلق ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم. فإن قلت ما فسرت به معنى الاستواء
إلى السماء يناقضه ثم لإعطائه معنى التراخي والمهلة. قلت ثم ها هنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق
السماوات على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا، على أنه لو كان بمعنى التراخي في الوقت
لم يلزم ما اعترضت به لأن المعنى أنه حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أي في تضاعيف القصد إليها خلقا
آخر. فإن قلت أما يناقض هذا قوله والأرض بعد ذلك دحاها؟ قلت لا لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء
وأما دحوها فمتأخر. وعن الحسن خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم
أصعد الدخان وخلق منه السماوات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله كانتا رتقا
وهو الالتزاق. وإذ نصب بإضمار اذكر، ويجوز أن ينتصب بقالوا. والملائكة جمع ملأك على الأصل كالشمائل في جمع شمأل
وإلحاق التاء لتأنيث الجمع. وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر، وهما قوله في الأرض خليفة
فكانا مفعوليه، ومعناه مصير في الأرض خليفة، والخليفة من يخلف غيره، والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان
الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته. فإن قلت فهلا قيل خلائف أو خلفاء؟ قلت أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن

ذكر بنيه

ذكر بنيه كما تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم، أو أريد من يخلفكم أو خلقا يخلفكم فوحد لذلك
وقرئ خليقة بالقاف. ويجوز أن يريد خليفة مني لأن آدم كان خليفة الله في أرضه، وكذلك كل نبي إنا جعلناك خليفة في الأرض
فإن قلت لأي غرض أخبرهم بذلك؟ قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم
صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم. وقيل ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها
على ثقاتهم ونصحائهم وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة. أتجعل فيها تعجب من أن يستخلف مكان
أهل الطاعة أهل المعصية، وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير. فإن قلت من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا
منه وإنما هو غيب؟ قلت عرفوه بإخبار من الله أو من جهة اللوح، أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون
وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم، أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى
الملائكة. وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفّك من أسفك وسفّك. والواو في ونحن للحال كما تقول أتحسن إلى
فلان وأنا أحق منه بالإحسان. والتسبيح تبعيد الله من السوء، وكذلك التقديس، من سبح في الأرض والماء وقدس في الأرض
إذا ذهب فيها وأبعد. بحمدك في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق
واللطف لم نتمكن من عبادتك. أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم. فإن قلت هلا بين لهم تلك
المصالح؟ قلت كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة، على أنه قد بين
لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله وعلم آدم الأسماء كلها. واشتقاقهم آدم من الأدمة ومن أديم الأرض نحو اشتقاقهم
يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس، وما آدم إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر
وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك. الأسماء كلها أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما
مدلولا عليه بذكر الأسماء لأن الاسم لا بد له من مسمى، وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس. فإن قلت هلا
زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأن الأصل وعلم آدم مسميات الأسماء؟ قلت لأن التعليم وجب تعليقه
بالأسماء لا بالمسميات لقوله أنبئوني بأسماء هؤلاء، أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم، فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات
ولم يقل أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم، وجب تعليق التعليم بها. فإن قلت فما معنى تعليمه أسماء المسميات؟ قلت أراه الأجناس التي
خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا، وعلمه أحوالها وما يتعلق بها
من المنافع الدينية والدنيوية. ثم عرضهم أي عرض المسميات، وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم، وإنما استنبأهم
وقد علم عجزهم على سبيل التبكيت. إن كنتم صادقين يعني في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء
إرادة للرد عليهم وأن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا
فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله إني أعلم ما لا تعلمون، وقوله ألم أقل لكم إني أعلم
غيب السماوات والأرض استحضار لقوله لهم إني أعلم ما لا تعلمون إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح. وقرئ
وعلم آدم على البناء للمفعول. وقرأ عبد الله عرضهن، وقرأ أبي عرضها، والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها لأن العرض
لا يصح في الأسماء. وقرئ أنبيهم بقلب الهمزة ياء، وأنبهم بحذفها، والهاء مكسورة فيهما. السجود لله تعالى على سبيل العبادة
ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وأبو يوسف وإخوته له، ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه. وقرأ أبو جعفر

للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم
الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله
فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة
الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث
والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها حيث
للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم
يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين
اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة سنبلة الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا هذي الشجرة بالياء وهذي والشجرة
بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء عن ابي عمرو انه كرههما وقال يقرا بها برابر مكة وسودانها من الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي فازلهما الشيطان عنها عن الشجرة اي حملهما
الشيطان على الزلة بسببها وحقيقته فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقرا
حمزة عن اكل عن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك
اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا ويقرا فازالهما فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير
للشجرة في عنها وهو اعداء الله ووسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدر بوسوسته
عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخوله
على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل كان يدنو
من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت
وهم لا يشعرون وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لادم وحواء والمراد هما
وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها
جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس
من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار
ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد به يوم القيامة وقيل الى الموت فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هي
قلت قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله تعالى ما قاله ابونا ادم حين اقترف الخطيئة
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا
انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم
تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى
الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القران

والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم
كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول
قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه
اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء
بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال
الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من
الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت ان تلك الخطيئة التي اهبط بها ادم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء
وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى
الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص
والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها
وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة
واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح يا بني اسرائيل هو يعقوب
عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابرهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية
والعجمة وقرئ اسرائل واسرال اذكروا نعمتي ان لا تخلوا بشكرها وتعتدوا بها وتستعظموها وتطيعوا مانحها
واراد بها ما انعم به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ
العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التورية والانجيل
والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا تقول اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله
واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي
كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم
بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو
اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله
خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز
ويدل عليه قوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او
ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان
يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه القران
والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس
كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني
من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك

يعطوها

لا كفاء له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به ولا تشتروا استعارة للاستبدال كقوله
اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا وقوله فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا
والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله
فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير
وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم
وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا الباء التي في
الباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما
ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي
في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل
تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان
الحق كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا
لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما
ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو
عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح
لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود
لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها
بالسجود وان يكون امرا بان يصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين
اتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه
قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا
يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة
اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف الى
غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون
التوراة وفيها نعت محمد او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى
افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان
العقول تأباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم الى الله
بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب
وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار
العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان
رسول الله صلى الله عليه اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع
وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة

وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان
يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان
يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة
من قولك كبر علي هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه
مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون
على حسب ذلك واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه
كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة
ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن
ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته واني فضلتكم
نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين
يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث
في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا
من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من
الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين
العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي تروحي اجدر ان تقيلي
اي ما اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير
كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء
وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة
للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء
الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان
قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او
ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين
يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت
بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي
عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير
بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس آل فرعون اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله
باولي الخطر والشأن كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام فرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر

ملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاء
الموسى الكلوة فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرى انجيتكم وانجيناكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه
ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا
طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل
يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره ويذبحون بيان
لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك
قطع الثياب وقطعها وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون
على يده هلاكه كما انذروا نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير
بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجا فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم
وقرى فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط
فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق
بين الشيئين بما توسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه
ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين
اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم
السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم
وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب
ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين
لان الشهور غررها بالليالي وقرى واعدنا لان الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور
من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم ان تشكروا النعمة
في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة
كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون
الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق
بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل
الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر
قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل
ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله
فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم وياخذ الذين
لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل
فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت

ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم فكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب
لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله جعل
توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة
متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم
واما ان يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم
فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة
العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة والصور المتباينة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة
البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة وامثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره
بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها
بعبادة من لا يقدر على شيء منها قيل القائلون هم السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة الاف منهم جهرة عيانا وهي
مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها
على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة
وقرى جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى راددهم
القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة
الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط
عليهم الصاعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم
اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسيسها فخروا
صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق
والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وعن علي رضي الله عنه [illegible] الصعقة لعلكم تشكرون
نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعدما كفرتموها اذ رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا
وجعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار
يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع
الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا
على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما
ظلمونا عليه القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل
هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب
شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ

لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين عا اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة
وهي خبر مبتدا محذوف اي مسالتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت
لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلا والاصل صبرا عا اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب عا الاصل
وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراة من
نصبها بقولوا عا معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر
بقولوا وقرى نغفر لكم على البنا للمفعول بالياء والتا وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا
في زيادة ثوابه ومن كان مسيا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني
انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاوا بلفظ اخر لانهم لو جاوا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا
به لم يواخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك
وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمرا استهزا منهم بما قيل لهم
وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم
وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جا في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار الرجز العذاب
وقرى بضم الرا وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى
عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم
فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه ينبع من كل وجه ثلاث اعين لكل
سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر
ميلا وقيل اهبطه ادم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي
وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك
فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشي الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه
قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل
حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه
متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا
في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل ان العصا كان من اس الجنة طوله عشرة اذرع عا طول موسى
وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل عا حمار فانفجرت الفا متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت
او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فصيحة لا تقع الا في كلام
بليغ وقرى عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها
كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم الله من الطعام وهو المن والسلوى ومن ما العيون وقيل الما
ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يوكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد
في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجتووا ما كانوا فيه

حاسة اطنه حذف قلت او سقط سوال معناه فان قلت ما ارادوا بالواحد في قوله لن نصبر على طعام واحد
عا طعام واحد اذا ادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على

وطلبت انفسهم الشفا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل
الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف
ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا
ما الفناه وضرينا به من الاشيا المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل
ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها
وقرى وقثايها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراة ابن مسعود وثومها وهو
للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو
داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرا
زهير الفرقبي ادنا بالهمز من الدناة اهبطوا مصرا وقرى اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي
اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل
ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا
وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله
وقراة الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت
الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما
يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلا اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم
وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل
به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقا بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة
والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبيا وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم
فان قلت قتل الانبيا لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم
يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا
من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرا علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك
تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شي مع كفرهم بايات الله
وقتلهم الانبيا وقيل هو اعتداوهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبيا على معنى ان ذلك بسبب
عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبيا
او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين
هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع
نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال كنصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم
نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة من امن من هولا الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا

الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من امن قلت الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته
بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفا لتضمن من معنى الشرط
وقرا علي رضي الله عنه تعلمون بالتشديد **واذ اخذنا ميثاقكم** بالعمل على ما في التورية **ورفعنا** فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم
الميثاق وذلك ان موسى جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر
جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا **خذوا**
على ارادة القول **ما اتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة **واذكروا** ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا
تغفلوا عنه **لعلكم تتقون** رجاء منكم ان تكونوا متقين او وقلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا **ثم توليتم** ثم اعرضتم عن
الميثاق والوفاء به **فلولا فضل الله** عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما اتيناكم وتذكروا واذكروا **السبت**
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه
واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى
كما قال اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا
اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم **قردة**
خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد **فجعلناها** يعني المسخة **نكالا** عبرة
تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد **لما بين يديها** لما قبلها **وما خلفها** وما بعدها من الامم والقرون
لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الاخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها
من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تاخر منها **وموعظة للمتقين** الذين
نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه
على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله **قالوا**
اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا او الهزو نفسه لفرط الاستهزاء **من الجاهلين** لان
الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفؤا وقرا حفص
هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا **والعياذ** واللياذ من واد واحد وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك **ما هي**
سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة
الشان الخارجة عما عليه البقر **والفارض** المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت
ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت اخرها
والبكر الفتية **والعوان** النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا
فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان
قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر
وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت
وقد ذكرت له افعالا وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذاك وقد جرى الضمير مجرى اسم الاشارة
في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق

ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك ويلك والذي حسن
منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى
الجمع **ما تؤمرون** اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول
بالمصدر كضرب الامير **الفقوع** اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود
حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك
رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فكيف يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من
سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي
فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد الصفرة صفرتها فهو
من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها **والسرور**
لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله **تسر الناظرين** وعن
الحسن سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه
فسر قوله جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب **ما هي** مرة
ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا
ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب
الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر
سألتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضائن ام ماعز فان بينت لك
قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس
جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسالته **ان البقر تشابه علينا** اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة
كثير فاشتبه علينا وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه
وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر تشابه بالياء والتشديد ... وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر
الابد **لمهتدون** الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل
لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى
عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين
صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث
هي كقولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تسقي
بضم التاء من اسقى **مسلمة** سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او معبر الظهر ينبي
عن وليته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من
الالوان **لا شية** فيها لا لمعة في نقبتها من لون اخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في
الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه ثور موشي القوائم **الان جئت بالحق**

أي جمعهم وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها فذبحوها أي فحصّلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها
وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما
كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم وقيل ما كادوا يذبحونها
لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة
وقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر وكان برًّا بوالديه فشبّت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها
اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة
أربعين سنة فإن قلت كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون
وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الأمر الأول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة والنسخ
قبل الفعل جائز على أن الخطاب كان لإبهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح
عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص وإذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة
لوجود القتل فيهم فادّارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفعه ويزحمه
أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح أو لأن الطرح في نفسه دفع أو
دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما
فإن قلت كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر
في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادّارأتم فقلنا
والضمير في اضربوه إما أن يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان وإما إلى القتيل لما دل عليه
من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى
وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الأذن وقيل الأذن وقيل البضعة بين الكتفين
فحيي [illegible] قوله كذلك يحيي الله الموتى روي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دما
وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى
إما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته
ودلائله على أنه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وأن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر
على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث وإما أن يكون خطابا للمنكرين في زمن
رسول الله فإن قلت هلا أحياه ابتداء ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الأسباب
والشروط حكم وفوائد وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكليف واكتساب الثواب
والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد
والمسارعة إلى امتثال أوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة
الرابحة والدلالة على بركة البر بالأبوين والشفقة على الأولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه
ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق في اختيار ما يتقرب به وأن يختاره فتيّ

السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريئا من العيوب يونق من ينظر إليه وأن يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه
أنه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن الزيادة في الخطاب نسخ له وأن النسخ جائز وإن لم يخرج وقت الفعل وأمكنه
لأدائه إلى البداء وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب لأن الموتين
الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن يتولد منهما حياة فإن قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها أن يقدم
ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها
قلت كلما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من
الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين فالأولى
لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما
تبعه من الآية العظيمة وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة
ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت
بالأولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين أنهما قصتان فيما
يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع
إلى البقرة معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون
وصف القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها وذلك إشارة إلى إحياء
القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة أو أشد قسوة منها
وأشد معطوف على الكاف إما على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة وإما على أو هي في أنفسها أشد قسوة والمعنى أن من عرف
حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من
الحجارة فإن قلت لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه أبين وأدل
على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة
الحجارة وقلوبهم أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو
أكرم وقوله وإن من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة وقرئ وإن
بالتخفيف وهي إن المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وإن كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة
والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الأعمش والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق
منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا يهبط يتردى من أعلى
الجبل وقرئ يهبط بالضم والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد
ولا تفعل ما أمرت به وقرئ تعملون بالتاء والياء وهو وعيد أفتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين أن يؤمنوا لكم
أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم
يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل كان قوم من

السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان
تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه
بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في
ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم
الى بعض الذين لم ينافقوا الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في كتابكم
فيما يقولون المؤمنين ويسالون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم
به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا
بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون
الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله
يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من ان النار لا
تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب
في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله اول ليله
والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد
كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان
ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد
والظن وهو متمكن من العلم يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة
ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشا اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل
وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف
متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين
كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي
وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة
من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ
خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن عن الخطيئة فقال
سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها واخبرك
انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له
كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره
قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا
اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم
كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى

ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبد وان تكون ان مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق
كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو
حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم
عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض
عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل
به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم
بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون
اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء
والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني
انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي
خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذي وقرئ تظاهرون بحذف التاء
وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم
واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء
وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق
يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه
فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل
حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل ذلك منهم الى اشد العذاب
لان عصيانه اشد وقرئ يردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد
بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة الكتاب التوراة آتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو
ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى
وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارمياء وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا
ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية [illegible]
التي كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان
فعيلا لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي
آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق
ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب
ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم
الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق

استكبرتم عن الايمان به توسط بين الفا وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم
ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفا لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين
ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم
بعد لانكم تحومون حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت
اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل
اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله
ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم
الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم
وللمومنين فقليلا ما يومنون فايمانا قليلا يومنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم
وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية العلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو
قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القران مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال
فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله
من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون
على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون
يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين
في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا
على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام
للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى
بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم
وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي
على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا
عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم
بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كتاب قالوا نومن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك
والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا
كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة
لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة في غير موضعها وان
يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع
ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق

قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا
ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب
وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما
يامركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب
اصلوتك تامرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مومنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له
خالصة نصب على الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان
صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه
من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين
بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين
فقال يا بني لا يبالي ابوك اسقط على الموت ام سقط عليه الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما
احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الان الاقي الاحبة محمدا
وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي ولن يتمنوه ابدا بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وبما جاء به
وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب
وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل
سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس
منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا
قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة
التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت
في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من
اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ولا
محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه
مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان
فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم
ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم
احرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت
القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس
فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد
واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يومنون بعاقبة

وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو
مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم
انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا
يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا
كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا
مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن
يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر
موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق
الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر
الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن روى ان عبد الله بن صوريا من احبار
فدك حاج رسول الله وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لامنا بك وقد عادانا
مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع
عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل
امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على
مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم
لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى اثاره في كتابكم ثم سألوه
عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب
والسلم فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو
لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما كان عدوا
للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه
لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل بوزن قنديل وجبريل بحذف الياء
وجبرئل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرئل بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل ومنع الصرف للتعريف
والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة
لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك
اي حفظه اياك وفهمك باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت
جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف
استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه
لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم
ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن

ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسأت اليه
افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ
ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل
قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم
لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم
عاداه الله وعاقبه اشد العقاب الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في
نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كبيرة وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه ما جئتنا
بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب
اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا وقرأ ابو السمال بسكون
الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا
كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن ابائهم
فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام
ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا
من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما
معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله لا
يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه
مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرءونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان
ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا
ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمن اي على عهد ملكه وفي زمانه
وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب
يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمن حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمن وما تم لسليمن ملكه الا
بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمن تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمن من
اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون
به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي
واتبعوا ما تتلوا وما انزل هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس
من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرف الشر لا
للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام
على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان من احد حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة
اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس

من الملكين **ما يفرقون به بين المرء وزوجه** أي علم السحر الذي يكون سببًا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** لأنه ربما أحدث الله عنده فعلًا من أفعاله وربما لم يحدث **ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم** لأنهم يقصدون به الشر وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية **ولقد علموا** هؤلاء اليهود **لمن اشتراه** أي استبدل ما تتلو الشياطين على كتاب الله **ما له في الآخرة من خلاق** من نصيب **ولبئس ما شروا به أنفسهم** أي باعوها وقرأ الحسن الشياطون وقد ذكر وجهه فيما بعد وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقرأ الزهري هاروتُ وماروتُ بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يُعلِمان من أعلم وقرئ بين المُرء بضم الميم وكسره مع الهمز والمَرّ بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرجّ واجرى الوصل مجرى الوقف وقرأ الأعمش وما هم بضاري به بطرح النون والإضافة إلى أحد والفصل بينهما بالظرف فإن قلت كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءًا من المجرور فإن قلت كيف أثبت لهم العلم أولًا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا **يعلمون** قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه **ولو أنهم آمنوا** برسول الله والقرآن **واتقوا** الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين **لمثوبة من عند الله خير** وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة **لو كانوا يعلمون** أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهّلهم لترك العمل بالعلم فإن قلت كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع في سلام عليكم لذلك فإن قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز أن يكون قوله ولو أنهم آمنوا تمنيًا لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله إذا ألقى عليهم شيئًا من العلم **راعنا** يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا وتأنّ بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو **انظرنا** من نظره إذا انتظره وقرأ أبي أنظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنًا بالتنوين من الرعن وهو الهوج أي لا تقولوا قولًا راعنًا منسوبًا إلى الرعن بمعنى رعنيًّا كدارع ولابن لأنه لما أشبه قولهم راعينا وكان سببًا في السب اتصف بالرعن **واسمعوا** وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتم عنه تأكيدًا عليهم ترك تلك الكلمة وروي أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت **وللكافرين** ولليهود الذين تهاونوا برسول الله وسبّوه **عذاب أليم** من للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين

والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله أهم يقسمون رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن **ينزل عليكم** شيء من الوحي **والله يختص برحمته من يشاء** يعني أنه لا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة **والله ذو الفضل العظيم** إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله إن فضله كان عليك كبيرًا وروي أنهم طعنوا في النسخ فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولًا ويرجع عنه غدًا فنزلت وقرئ **ما ننسخ من آية** وما نُنسخ من أنسخ أو ننسأها وقرئ ننسها وننسّها بالتشديد وننسكها وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية أو ننسكها ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها الأمر بنسخها وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها وإذهابها لا إلى بدل وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى أن كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معًا أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل **نأت بخير منها** للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب **أو مثلها** في ذلك **ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير** فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير **له ملك السماوات والأرض** فهو يملك أموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله **ألم تعلم** أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالًا عليهم كقولهم اجعل لنا إلهًا أرنا الله جهرة وغير ذلك **ومن يتبدل الكفر** بالإيمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها **فقد ضل سواء السبيل** روي أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرًا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلًا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربًا وبمحمد نبيًا وبالإسلام دينًا وبالقرآن إمامًا وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانًا ثم أتيا رسول الله وأخبراه فقال أصبتما خيرًا وأفلحتما فنزلت فإن قلت بم يتعلق قوله من عند أنفسهم قلت فيه وجهان أن يتعلق بودّ على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق وإما أن يتعلق بحسدًا أي حسدًا متبالغًا منبعثًا من أصل نفوسهم **بعد ما تبين لهم** الحق **فاعفوا واصفحوا** فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة **حتى يأتي الله بأمره** الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم **إن الله على كل شيء قدير** فهو يقدر على الانتقام منهم **من خير** من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما **تجدوه عند الله** تجدوا ثوابه عنده **إن الله بما تعملون بصير** عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير في **وقالوا** لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة **إلا من كان هودًا** وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله وأمنًا من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودًا أو نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل فإن قلت كيف قيل كان هودًا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ

على

من والجمع معناه كعوذ الحسن الا من هو قالوا الحجيم وقوله فان له نار جهنم خالدين ومن التي ... كان الامر كان يهودا او
نصارى فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا
ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم الا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم
وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال
تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية
افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
في دعواكم وهذا اهدم شي لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة ها
في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو
محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من
اسلم كلاما مبتدأ او يكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف
اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء على شيء يصح ويعتد به
وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك
الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك
وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله وامن به الا يكفر
بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها
بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام
والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك
من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت
اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة
فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله
بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان
وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة
ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى
كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا
التوراة وقتلوا وسبوا او بل منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل
مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس ان يجيء الحكم عاما
وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى الصالحين وكما قال الله ويل لكل همزة ... مع العموم
والمراد به الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم
والمنزلة (?)

ما كان لهم ان يدخلوها
مساجد الله ولا اثرا الذين سعوا ابا عيابهم من اوليك النصارى والمشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها
اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم
فضلا عن ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم
وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين
وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا
انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن
بالبيت عريان وقد اعز الله الاسلام وهو مثل نصيبه وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم
يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم و
كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية
ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا
ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما
كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام
او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية
ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد
التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت
وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا
للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا
وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد
بل له ما في السماوات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا
يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس
الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السماوات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله
ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم
مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الشيء فهو بزيع وبديع السماوات من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها اي بديع سماواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي
السميع بمعنى المسمع وفيه نظر فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل
ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالتا اتينا طائعين وانما المعنى ان ما قضاه من الامور
واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل

قسطنطينية

لا توقف ولا تمنع ولا يكون منه الإباء أكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة
لأحوال الأجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجروراً على أنه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح
وقال الذين لا يعلمون وقالت الجهلة من المشركين وقيل من أهل الكتاب ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به **لولا يكلمنا**
الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكباراً منهم وعتواً **أو تأتينا آية** جحوداً لأن يكون ما أتاهم من آيات الله
آيات واستهانة بها **تشابهت** قلوبهم أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله أتواصوا به **قد بينا الآيات** لقوم ينصفون
فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها **إنا أرسلناك** لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على
الإيمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لأنه كان يغتم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر **ولا**
تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت جهدك في دعوتهم كقوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب
وقرئ ولا تسأل على النهي روي أنه قال ليت شعري ما فعل أبواي فنهي عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله
وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلاً عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه
ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر
لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الأولى قراءة عبد الله ولن تسأل
وقراءة أبي وما تسأل **ولن ترضى عنك** كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا **حتى تتبع ملتنا** إقناطاً منهم لرسول الله
عن دخولهم في الإسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال **قل إن هدى الله هو الهدى** على طريقة إجابتهم عن قولهم
يعني أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي يصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى
وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله **ولئن اتبعت أهواءهم** أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع
بعد الذي جاءك من العلم أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة **الذين آتيناهم الكتاب** هم مؤمنو أهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله **أولئك يؤمنون به** بكتابهم دون المحرفين **ومن**
يكفر به من المحرفين **فأولئك هم الخاسرون** حيث اشتروا الضلالة بالهدى **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات** اختبره بأوامر ونواه
واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه
حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رحمه الله وهي قراءة ابن عباس إبراهيم ربه رفع إبراهيم ونصب ربه والمعنى
أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا فإن قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل
في التقدير فتعلق الضمير به إضمار قبل الذكر قلت الإضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى إبراهيم ربه
أو ابتلى إبراهيم ربه فليس واحد منهما بإضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكراً
ظاهراً وأما الثاني فإبراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه إبراهيم فإن الضمير فيه قد تقدم لفظاً
ومعنى فلا سبيل إلى صحته والمستكن في **فأتمهن** في إحدى القراءتين لإبراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن
أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وإبراهيم الذي وفى وفي الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص
منه شيئاً ويعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد آمناً
واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولاً منهم ربنا تقبل منا فإن قلت ما العامل في إذ قلت إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى

اى كشف

أو وإذ ابتلاه كان كيت وكيت وإما **قال إني جاعلك** فإن قلت ما موقع قال قلت هو على الأول استئناف كأنه قيل فماذا
قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل قال إني جاعلك للناس إماماً وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز أن
يكون بياناً لقوله ابتلى وتفسيراً له فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام قبل
ذلك في قوله إذ قال له ربه أسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة
والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقيل ابتلاه بثلاثين سهماً من
شرائع الإسلام عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات
وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف
والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه
والنار والهجرة **والإمام** اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالإزار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم **ومن ذريتي**
عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيداً **لا ينال عهدي الظالمين**
وقرئ الظالمون أي من كان ظالماً من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة وإنما ينال من كان
عادلاً بريئاً من الظلم وقالوا في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته
ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن علي
رضوان الله عليه وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه
وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك
وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا
يكون الظالم إماماً قط وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالماً
في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم **والبيت** اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا **مثابة للناس** مباءة
ومرجعاً للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين يزورونه أو أمثالهم **وأمناً**
وموضع أمن كقوله حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ
مثابات لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد **واتخذوا** على إرادة القول
أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي
صلى الله عليه أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلاة
فيه تبركاً به وتيمناً بموطئ قدمي إبراهيم فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله أن
رسول الله استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى **ومقام إبراهيم** الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي
كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام إبراهيم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل المطلب
بن أبي وداعة هل تدري أين كان موضعه الأول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة
والجمار لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام إبراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي

عطفاً على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون
إليها **وعهدنا** أمرناهما **أن طهرا بيتي** بأن طهراه أو أي طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب
والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم **والعاكفين** المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا
لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين
والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لأن القيام والركوع والسجود هيئات المصلي أي اجعل هذا البلد أو هذا
المكان **بلداً آمناً** ذا أمن كقوله في عيشة راضية أو آمناً من فيه كقولك ليل نائم **ومن آمن منهم** بدل من أهله
يعني **وارزق** المؤمنين من أهله خاصة **ومن كفر** عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك قال ولما
خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الإمامة فنبه على الفرق بينهما لأن الاستخلاف
استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وأبعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجاً للمرزوق وإلزاماً للحجة
والمعنى وأرزق من كفر **فأمتعه** ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمناً معنى الشرط وقوله فأمتعه جواباً للشرط
أي ومن كفر فأنا أمتعه وقرئ فأمتعه ثم أضطره أي ألزه إلى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما
اضطر إليه وقرئ فنمتعه قليلاً ثم نضطره وقرأ أبي بن كعب فنمتعه ثم نضطره وقرأ ابن عباس فأمتعه قليلاً ثم
اضطره على لفظ الأمر والمراد الدعاء من إبراهيم دعا ربه بذلك فإن قلت فكيف يقدر الكلام على هذه القراءة
قلت في قال ضمير إبراهيم أي قال إبراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره وقرأ
ابن محيصن فاطّره بإدغام الضاد في الطاء كما قالوا اطّجع وهي لغة مرذولة لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم
فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر **يرفع** حكاية حال ماضية **والقواعد** جمع قاعدة
وهي الأساس والأصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعّدك الله أي أسأل الله أن يقعدك
أي يثبتك ورفع الأساس البناء عليها لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع
وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع
فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لأنه إذا وضع سافاً فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز أن يكون
المعنى وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت أي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء
وروي أنه كان حين بناه إبراهيم مبني على الأساس المنخفضة وروي أن الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت
الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم
من أرض الهند إليه ماشياً وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام
وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى
السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة أظلته
ونودي أن ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي
وأسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في أيام الطوفان
وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان إبراهيم يبني وإسمعيل يناوله الحجارة **ربنا**

أي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين **ربنا تقبل منا إنك**
أنت السميع لدعائنا **العليم** بضمائرنا ونياتنا فإن قلت هلا قيل قواعد البيت وأي فرق بين العبارتين قلت في إبهام
القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس في إضافتها لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين **مسلمين لك**
مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله أو مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم إذا خضع وأذعن
والمعنى زدنا إخلاصاً وإذعاناً لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم
الجمع لأنها منه **ومن ذريتنا** واجعل من ذريتنا **أمة مسلمة لك** ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا
منكم فإن قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ولأن
أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وتابعوهم على الخير ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا
على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه **وأرنا** منقول من رأى
بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين أي بصرنا متعبداتنا في الحج أو عرفناها وقيل مذابحنا
وقرئ وأرنا بسكون الراء قياساً على فخذ وكبد وقد استرذلت لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل
عليها فإسقاطها إجحاف وقرأ أبو عمرو بإشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم **وتب علينا** ما فرط منا
٥ من الصغائر أو استتابا لذريتهما **وابعث فيهم** في الأمة المسلمة **رسولاً منهم** من أنفسهم وروي أنه قيل له قد استجيب لك
وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمداً صلى الله عليه قال عليه السلم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي **يتلو**
عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك **ويعلمهم الكتاب** القرآن **والحكمة**
الشريعة وبيان الأحكام **ويزكيهم** ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
ومن يرغب إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم **ومن سفه** في محل
الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لأن من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد إلا زيد **سفه نفسه**
امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم
رأسه ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا أجب الظهر ليس له سنام وقيل
معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم أي في ظني والوجه هو الأول وكفى شاهداً له ما جاء في الحديث
الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وذلك أنه إذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في إذالة نفسه
وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة **ولقد اصطفيناه** بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لأن من جمع الكرامة عند الله في
الدارين بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهوداً له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن أحد أولى بالرغبة
في طريقته منه **إذ قال** ظرف لاصطفيناه أي اخترناه في ذلك الوقت أو انتصب بإضمار اذكر استشهاداً على ما ذكر من حاله
كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له **أسلم** أخطر بباله
النظر في الدلائل المؤدية إلى المعرفة والإسلام قال **أسلمت** أي فنظر وعرف وقيل أسلم أي أذعن وأطع وروي أن عبد الله
بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة إني باعث من ولد إسمعيل
نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فنزلت **ووصى**

وفي مصاحف أهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير
في قوله وجعلها كلمة باقية إلى قوله إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على أن التأنيث على تأويل
الكلمة ويعقوب عطف على إبراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضاً وقرئ ويعقوب بالنصب عطفاً
على بنيه ومعناه ووصى بها إبراهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على إضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى
لأنه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة أخبرانا إنا رأينا رجلاً عرياناً بكسر الهمزة فهو بتقدير القول
عندنا وعندهم يتعلق بفعل الإخبار وفي قراءة أبي وابن مسعود أن يا بني اصطفى لكم الدين أعطاكم الدين الذي هو صفوة
الأديان وهو دين الإسلام ووفقكم للأخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على
الإسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع فلا تنهاه عن
الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته فإن قلت فأي نكتة في إدخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها
قلت النكتة فيه إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة فكأنه قال أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة
ألا ترى إلى قوله عليه السلام لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد فإنه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل إلا في المسجد
وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه وأنه ليس بموت السعداء وأن
من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم وتقول في الأمر أيضاً مت وأنت شهيد وليس مرادك الأمر بالموت ولكن بالكون على
صفة الشهداء إذا مات وإنما أمرته بالموت اعتداداً بما يموت به وإظهاراً لفضلها على غيرها وأنها حقيقة بأن
يحث عليها أم كنتم شهداء أم هي المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم
حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وإنما حصل
لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا على اليهودية إلا أنهم لو شهدوه
وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الإسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية
لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف كأنه قيل أتدعون
على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد
بنيه على التوحيد وملة الإسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد
وهي لغة ما تعبدون أي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلاً قول العلماء من لما يعقل
ولو قيل من تعبدون لم يعم إلا أولي العلم وحدهم ويجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد
تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق عطف بيان لآبائك وجعل إسماعيل وهو عمه
من جملة آبائه لأن العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل
صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي أبي فإني
أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ أبي وإله إبراهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان
أن يكون واحداً وإبراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعاً بالواو والنون قال وفديننا بالأبينا إلهاً واحداً
بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي نريد بإله آبائك إلهاً واحداً ونحن له مسلمون

أسلم عروة واستأذن الرسول عليه السلام في الرجوع إلى قومه فخرج منهم فرجع إلى قومه ودعاهم فقتلوه

حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء إليه في له ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد وأن تكون جملة اعتراضية
مؤكدة أي ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون تلك إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب
وبنوهما الموحدون والمعنى أن أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدماً كان أو متأخراً فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا
فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك أنهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه يا بني هاشم لا يأتيني
الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم بل
ملة إبراهيم بل نكون ملة إبراهيم أي أهل ملته كقول عدي بن حاتم إني من دين أي من أهل دين وقيل بل نتبع
ملة إبراهيم وقرئ ملة إبراهيم بالرفع أي ملته ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته بمعنى أهل ملته حنيفاً حال من المضاف
إليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق والحنف الميل في القدمين
وتحنف إذا مال وأنشد ولكنا خلقنا إذ خلقنا حنيفاً ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض بأهل
الكتاب وغيرهم لأن كلاً منهم يدعي اتباع إبراهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز أن يكون خطاباً
للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة إبراهيم يجوز أن يكون على بل اتبعوا ملة
إبراهيم أو كونوا أهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله والأسباط حفدة يعقوب
ذراري أبنائه الاثني عشر لا نفرق بين أحد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد
في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين
الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه فلا يوجد إذن دين كدين الإسلام في كونه حقاً حتى إن آمنوا
بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أي فإن حصلوا ديناً
آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له
غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب
فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه
على أن ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم
أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبي بالذي
آمنتم به وإن تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم إلا في شقاق أي في مناوأة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب
الحق في شيء أو وإن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لإظهار رسول الله عليهم
وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين وهو السميع
العليم وعيد لهم أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه أو وعد لرسول الله بمعنى
يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك صبغة الله
مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي
الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم
في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانياً حقاً فأمر المسلمون

بأن يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون
صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الأشجار
اغرس كما يغرس فلان تريد رجلاً يصطنع الكرام ومن أحسن من الله صبغة يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم
من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف
يرد قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم او نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج
الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام [...]
[...] أتحاجوننا [...] اليهود والمعنى أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل
الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعاً في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته
وكرامته من يشاء من عباده فهم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي إذا كان أهلاً للكرامة ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم
يعني أن العمل هو أساس الأمر وبه العبرة وكما أن لكم أعمالاً لا يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم
قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة أي ونحن له موحدون نخلصه بالإيمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه
للكرامة بالنبوة وكانوا يقولون نحن أحق بأن تكون النبوة فينا لأنا أهل كتاب والعرب عبدة أوثان أم يقولون يحتمل فيمن
أن تكون أم معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على
الأنبياء والمراد بالاستفهام عنهما إنكارهما معاً وأن تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للإنكار أيضاً وفيمن قرأ
بالياء لا تكون إلا منقطعة أأنتم أعلم أم الله يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن
كان حنيفاً مسلماً ومن أظلم ممن كتم شهادة أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية ويحتمل
معنيين أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني أنا لو كتمنا هذه الشهادة
لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله من
الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان إذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء الخفاف
الأحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء
وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم فإن قلت أي فائدة في الإخبار بقولهم قبل
وقوعه قلت فائدته أن مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس
وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم
وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها يهدي من يشاء من أهلها إلى الصراط المستقيم وهو
ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة إلى بيت المقدس وأخرى إلى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك
العجيب جعلناكم أمة وسطاً خياراً وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ونحوه قوله عليه السلام أنطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفاً بالثبج وهو وسط الظهر إلا أنه ألحق تاء التأنيث
مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار والأوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا والضمير في كانت لعمورية وقد اكتري عليه حمل أعرابي الحج
فقال أعطني من سطا تهنه أراد من خيار الدنانير أو عدولاً لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض لتكونوا
شهداء على الناس روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى
بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه
الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً فإن قلت فهلا قيل لكم شهيداً وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن
على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله والله على كل شيء شهيد كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد
وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ويكون الرسول عليكم شهيداً
يزكيكم ويعلم بعدالتكم فإن قلت لم أخرت صلة الشهادة أولاً وقدمت آخراً قلت لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم
على الأمم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة إنما هي ثاني مفعولي
جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى الكعبة
ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفاً لليهود ثم حول إلى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب أن
تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولاً بمكة يعني وما رددناك إليها إلا امتحاناً للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام
الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا الآية
ويجوز أن يكون بياناً للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وأن استقبالك بيت المقدس
كان أمراً عارضاً لغرض وإنما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر
من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل
الكعبة بينه وبينه فإن قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالماً بذلك قلت معناه لنعلمه علماً يتعلق به الجزاء وهو أن نعلمه موجوداً
حاصلاً ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وإنما أسند علمهم إلى
ذاته لأنهم خواصه وأهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم
موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز وإن كانت لكبيرة هي إن المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت
لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة أو التحويلة أو الجعلة ويجوز أن يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة
إلا على الذين هدى الله إلا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلاً للطف وما كان الله ليضيع
إيمانكم أي ثباتكم على الإيمان وأنكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم ويجوز أن يراد
وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة وإضاعة لإيمانكم وقيل من كان صلى إلى بيت المقدس قبل التحويل
فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله إلى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا فنزلت إن الله بالناس لرؤوف رحيم
لا يضيع أجورهم ولا يترك ما يصلحهم وحكي عن الحجاج أنه قال للحسن ما رأيك في أبي تراب فقرأ قوله إلا على الذين
هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته وأقرب الناس إليه وأحبهم وقرئ إلا ليعلم على
البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز أن تكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقاً عنها العلم كقوله [...] أزكى

الدار أم عمرو وقرأ ابن أبي إسحاق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها أن تكون كان مزيدة
كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والأصل وإن هي لكبيرة كقولك إن زيد لمنطلق ثم وإن كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد
قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد أترك القرن مصفرا أنامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك
في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأدعى للعرب إلى
الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك
فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلي سمتها
دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل إليها لأغراض صحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر
المسجد الحرام نحوه قال وأظعن بالقوم شطر الملوك وقرأ أبي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل
قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل
الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد الحرام
نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم
على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون أنه الحق أن
التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم أنه يصلي إلى القبلتين يعملون وقرئ بالتاء والياء ولئن
جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان وحجة على أن التوجه إلى الكعبة هو الحق
ما تبعوا قبلتك لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة وإنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم
بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق وما أنت بتابع قبلتهم حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا
لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الإضافة وما بعضهم
بتابع قبلة بعض يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك
وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه
وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده
وقوله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على
سبيل الفرض والتقدير يعني ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر إنك إذا لمن
الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته
وتهييج وإلهاب للثبات على الحق فإن قيل كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
قلنا القبلتان باطلتان مخالفتان للحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله
عليه السلام معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون أبناءهم لا تشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء
غيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم به مني بابني قال ولم قال لأني لست أشك

في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه
ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علما معلوما بغير إعلام وقيل الضمير للعلم
أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فإن قلت لم اختص الأبناء قلت
لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وقال فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين
قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني الحق من ربك يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق
مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله أو إلى الحق الذي
في قوله ليكتمون الحق أي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وأن تكون للجنس على معنى أن الحق من الله لا من غيره يعني أن
الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل فإن قلت إذا جعلت
الحق مبتدأ فما محل من ربك قلت يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الإبدال
من الأول أي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم أو في أنه من ربك ولكل من
أهل الأديان المختلفة وجهة قبلة وقد قرئ به أي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله
تعالى أي الله موليها إياه وقرئ ولكل وجهة على الإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها أهلها فزيدت اللام لتقدم
المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى
لكل أمة قبلة تتوجه إليها منكم ومن غيركم فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء
من موافق ومخالف لا تعجزونه ويحتمل أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة
وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة
وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن أي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام إذا صليت
وإنه وإن هذا المأمور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان
الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى الفصل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولأنه
نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها إلا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لأحد من اليهود
إلا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء
فلأي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين فإنهم كانوا يقولون ماله لا
يحول إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فإن قيل كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لأنهم يسوقونه
مساق الحجة ويجوز أن يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم
وإسماعيل أبي العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى
دينهم وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه ألا الذين ظلموا منهم على أنها للتنبيه ثم استأنف منبها فلا تخشوهم
فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فإنهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا أمري وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف
معناه ولإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أمرتكم بذلك أو يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشوني
لأحفظكم ولأتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة

الموت علی الاسلام كما ارسلنا اما ان تعلق بما قبله ای ولاتم نعمتی علیكم فی الآخرة بالثواب كما اتممتها علیكم فی الدنیا بارسال
الرسول او بما بعده ای كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكرونی بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لی ما انعمت علیكم
ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائی اموات بل احیاء هم اموات بل هم احیاء ولكن لا تشعرون كیف حالهم فی حیاتهم وعن الحسن ان الشهداء
احیاء عند الله تعرض ارزاقهم علی ارواحهم فیصل الیهم الروح والفرح كما تعرض النار علی ارواح آل فرعون غدوا وعشیا
فیصل الیهم الوجع وعن مجاهد یرزقون من ثمر الجنة ویجدون ریحها ولیسوا فیها وقالوا یجوز ان یجمع الله من اجزاء الشهید جملة
فیحییها ویوصل الیها النعیم وان كانت فی حجم الذرة وقیل نزلت فی شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم ولنصیبنكم
بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون علی ما انتم علیه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه
ام لا بشیء بقلیل من كل واحد من هذه البلایا وطرف منه وبشر الصابرین المسترجعین عند البلاء لان الاسترجاع
تسلیم واذعان وعن النبی صلی الله علیه وسلم من استرجع عند المصیبة جبر الله مصیبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا
یرضاه وروی انه طفی سراج رسول الله فقال انا لله وانا الیه راجعون فقیل امصیبة هی قال نعم كل شیء یؤذی المؤمن
فهو له مصیبة وانما قلل فی قوله بشیء لیؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما یقل الیه ولیخفف علیهم ویریهم
رحمته معهم فی كل حال لا تزایلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه لیوطنوا علیه نفوسهم ونقص عطف علی شیء او علی
الخوف بمعنی وشیء من نقص الاموال والخطاب فی وبشر الصابرین لرسول الله او لكل من یتأتی منه البشارة وعن
الشافعی رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صیام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس
الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبی صلی الله علیه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالی للملائكة اقبضتم ولد عبدی
فیقولون نعم فیقول اقبضتم ثمرة قلبه فیقولون نعم فیقول الله تعالی ماذا قال عبدی فیقولون حمدك واسترجع فیقول
الله ابنوا لعبدی بیتا فی الجنة وسموه بیت الحمد والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بینها
وبین الرحمة كقوله تعالی رأفة ورحمة رءوف رحیم والمعنی علیهم رأفة بعد رأفة ورحمة ای رحمة واولئك هم
المهتدون لطریق الصواب حیث استرجعوا وسلموا لامر الله ان الصفا والمروة علمان للجبلین كالصمان والمقطم والشعائر
جمع شعیرة وهی العلامة ای من اعلام مناسكه ومتعبداته فمن حج البیت او اعتمر الحج القصد والاعتمار الزیارة فغلبا علی قصد
البیت وزیارته للنسكین المعروفین وهما فی المعانی كالنجم والبیت فی الاعیان واصل یطوف یتطوف فادغم وقرئ ان یطوف
من طاف فان قلت كیف قیل انهما من شعائر الله ثم قیل لا جناح علیه ان یطوف بهما قلت كان علی الصفا اساف وعلی المروة
نائلة وهما صنمان یروی انهما كانا رجلا وامرأة زنیا فی الكعبة فمسخا حجرین فوضعا علیهما لیعتبر بهما فلما طالت المدة
عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلیة اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف
بینهما لاجل فعل الجاهلیة وان لا یكون علیهم جناح فی ذلك فرفع عنهم الجناح واحل فی السعی فمن قال هو تطوع بنی علی
رفع الجناح وما فیه من التخییر بین الفعل والترك كقوله فلا جناح علیهما ان یتراجعا وغیر ذلك وبقوله ومن تطوع
خیرا كقوله فمن تطوع خیرا فهو خیر له ویروی ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبیر ویعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح علیه
ان لا یطوف بهما وعن ابی حنیفة انه واجب ولیس بركن وعلی تاركه دم وعند الاولین لا شیء علیه وعند مالك والشافعی

هو ركن لقوله علیه السلام اسعوا فان الله كتب علیكم السعی ومن تطوع خیرا ومن تطوع بمعنی ومن یتطوع فادغم وفی قراءة عبد الله
ومن یتطوع بخیر ان الذین یكتمون ما انزلنا من البینات من الآیات الشاهدة علی
امر محمد صلی الله علیه وسلم والهدی والهدایة بوصفه الی اتباعه والایمان به من بعد ما بیناه ولخصناه للناس فی الكتاب
فی التوراة لم ندع فیه موضع اشكال ولا اشتباه علی احد منهم فعمدوا الی ذلك المبین الملخص فكتموه ولبسوا علی الناس
اولئك یلعنهم الله ویلعنهم اللاعنون الذین یتأتی منهم اللعن علیهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلین الا الذین تابوا عن الكتمان واصلحوا ما
افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبینوا ما بینه الله فی كتابهم فكتموه او بینوا للناس ما احدثوه من توبتهم
لیمحوا سمة الكفر عنهم ویعرفوا بضد ما كانوا یعرفون به ویقتدی بهم غیرهم من المفسدین ان الذین كفروا یعنی
الذین ماتوا من هؤلاء الكاتمین ولم یتوبوا ذكر لعنتهم احیاء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون
بالرفع عطفا علی محل اسم الله لانه فاعل فی التقدیر كقولك عجبت من ضرب زید وعمرو وتریده من ان ضرب زید وعمرو
كانه قیل اولئك علیهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنی قوله والناس اجمعین وفی الناس المسلم
والكافر قلت اراد بالناس من یعتد بلعنه وهم المؤمنون وقیل یوم القیامة یلعن بعضهم بعضا خالدین فیها فی اللعنة
وقیل فی النار الا انها اضمرت تفخیما لشأنها وتهویلا ولا هم ینظرون من الانظار ای لا یمهلون ولا یؤجلون
او لا ینتظرون لیعتذروا او لا ینظر الیهم نظر رحمة والهكم اله واحد فرد فی الالهیة لا شریك له فیها ولا یصح ان یسمی غیره
الها لا اله الا هو تقریر للوحدانیة بنفی غیره واثباته الرحمن الرحیم المولی لجمیع النعم اصولها
وفروعها ولا شیء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم علیه وقیل كان للمشركین حول الكعبة ثلثمائة
وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآیة تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآیة نعرف بها صدقك فنزلت ان فی خلق السموات
والارض واختلاف اللیل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما یعقب الآخر كقوله جعل اللیل والنهار خلفة
بما ینفع الناس بالذی ینفعهم مما تحمل فیها او بنفع الناس فان قلت قوله وبث فیها عطف علی انزل ام احیا قلت
الظاهر انه عطف علی انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحیا به الارض عطف علی انزل فاتصل به وصارا
جمیعا كالشیء الواحد فكانه قیل وما انزل فی الارض من ماء وبث فیها من كل دابة ویجوز عطفه علی احیا علی معنی
فاحیا بالمطر الارض وبث فیها من كل دابة لانهم ینمون بالخصب ویعیشون بالحیا وتصریف الریاح فی مهابها
قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفی احوالها حارة وباردة وعاصفة ولینة وعقیما ولواقح وقیل تارة بالرحمة
وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للریاح تقلبه فی الجو بمشیئة الله یمطر حیث شاء لآیات لقوم یعقلون
ینظرون بعیون عقولهم ویعتبرون لانها دلائل علی عظیم القدرة وباهر الحكمة وعن النبی صلی الله علیه وسلم ویل لمن قرأ
هذه الآیة فمج بها ای لم یتفكر فیها ولم یعتبر بها وقرئ والفلك بضمتین وتصریف الریح علی الافراد اندادا امثالا
من الاصنام وقیل من الرؤساء الذین كانوا یتبعونهم ویطیعونهم فینزلون علی اوامرهم ونواهیهم واستدل بقوله اذ
تبرأ الذین اتبعوا من الذین اتبعوا ومعنی یحبونهم یعظمونهم ویخضعون لهم تعظیم المحبوب كحب الله كتعظیم الله والخضوع
له ای كما یحب الله تعالی علی انه مصدر من المبنی للمفعول وانما استغنی عن ذكر من یحبه لانه غیر ملبس وقیل كحبهم
الله ای یسوون بینه وبینهم فی محبتهم لانهم كانوا یقرون بالله ویتقربون الیه فاذا ركبوا فی الفلك دعوا الله مخلصین له الدین

كحب الله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن انداد هم الى الله عند الشدائد ويفزعون الى الله
ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
او يأكلونه كما اكلت باهلة الاهها من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء
الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون انداد هم ويعلمون
شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع
العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ
ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ
في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب اي اذ تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرئ
مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب الواو للحال اي
في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد من الا
والجنات والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو ... ولذلك احسن الفا الذي خارج
فلو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ... كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات
ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين
من النار ... الاحماص حلالا
كلوا مما في الارض حلالا طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة
او تحريم حلال او تحليل حرام ... في الارض ليس كل ما في الارض ... وقرئ خطوات بضمتين
بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة
وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة
اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان
يظهر الموالاة لمن يغويه ... انما يأمركم بالسوء والفحشاء
وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على
الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه
فان قلت كيف كان للشيطان امر وقد قال ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر
كما يقول الرجل امرتني نفسي بكذا او تحت زجرا الى انكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه
ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء
... لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت واذا قيل لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة
الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا
يقولون وقيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا

ما انهم كانوا اخيرا اهل وا علم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان
اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين
ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا
كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت
من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت
بها وزجرها ولا تفقه شيئا اخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ
الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم
في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم
على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق
بالغنم الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعده لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعق التصويت يقال نعق
المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا
واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون من حيث انهم لا يدركون كلاما
اي بالفعل للاخلال بالنظر ... يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم
ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم
واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق
ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرمت بوزن كرم
والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله
اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى فمن اضطر غير باغ على مضطر اخر
بالاستئثار عليه ولا عاد سد الجوعة فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور رحيم فان قلت في الميتة ما حل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل
فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف
قالوا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان سماه الله لحما في قوله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا
... ذكر الخنزير دون غيره ... احل ... ذكر اللحم لكونه ... وصفه ... ولهم عذاب اليم
اولئك ما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما تلبس
بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال
اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر وقال اذا انا لم اكل الدماء ... فسماه اكلا لما ملابسة تكون به
ولا يكلمهم الله يوم القيامة تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل
نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن
بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ... فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم
... لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر
على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا او صبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي

رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله
عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة احتكم الى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في
فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله اي ذلك بسبب الكتب فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس
كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم
او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القران بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه لولا انهم جحدوا ولم يتشاقوا لما جسروا على ان يكفروا والبر اسم للخير ولكل
اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لولا ذلك لما ... الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى
فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب وعن كل واحد من الفريقين
قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين
ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه
وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر
صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وقرئ
ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد
ولكن البر من امن على حذف المضاف اي بر من امن او بتاويل البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار
وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرا ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف
والكتاب جنس كتب الله او القران على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حبه
وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على
المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واليتامى
ذوي القربى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له
كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما قيل للص القاطع ابن الطريق
وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء
على فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك
الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذا الوجه ثم قفاه بايتاء الزكاة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى
الزكاة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الاية ويحتمل ان يكون ذلك بيان
مصارف الزكاة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في
المال حق سوى الزكاة والموفون عطف على من امن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا
لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر
والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين ...
...

ابتغى قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما
فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله
النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم
وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب
دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد
فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة
اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفي
لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه
به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر
ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفي يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى
بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها
فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية
كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به
قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم
عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب
الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن
مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع
لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار
بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط
القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا
يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم
اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل
التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية
وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما
شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله
فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية
لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حياة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان
القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لان

المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل
مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما
جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة اي حياة او نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل
لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من
القود فكان القصاص سبب حياة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في القصص حياة اي فيما قص عليكم من حكم القتل
والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حياة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة **يا اولي الالباب**
اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس **لعلكم تتقون** تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة
على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة **اذا حضر احدكم الموت** اذا حضر اسبابه وظهر اماراته
خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربع مائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا
واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا
وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله
تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال **الوصية** فاعل كتب وتذكير فعلها للفاصل او لانها بمعنى ان يوصي
ولذلك ذكر الراجع في قوله **فمن بدله بعد ما سمعه** والوصية للوالدين كان في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام
ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه بالقبول يلحقه بالمتواتر وان كان من الآحاد
لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثابت الذي صحت روايته وقيل لم ينسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين
وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين من قوله يوصيكم الله
في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم
بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث **حقا** مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **فمن بدله**
عن الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه** وتحققه **فانما اثمه على الذين**
يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف **ان الله**
سميع عليم وعيد للمبدل **فمن خاف** من موص توقع وعلم وهذا في كلامهم شايع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع
والظن الغالب الجاري مجرى العلم **جنفا** ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية **او اثما** او تعمدا للحيف **فاصلح بينهم**
بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع **فلا اثم عليه** حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى
حق ذكر من بدل بالباطل ثم من بدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم **كما كتب** على الذين من قبلكم على الانبياء
والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة
من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم **لعلكم تتقون** بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها
او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء كما قال عليه السلام فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كتب عليهم

في عدد الايام وهو شهر رمضان كما كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه
خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء
والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كتب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم مثل ما كتب عليهم ان يتقوا المفطر
بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم الآية ومعنى
معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه
والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة **او على سفر** او راكب
سفر **فعدة** فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا
ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمنهم من قال كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم
يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل
بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة
من الافطار وقال بعضهم هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر
حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر
والشعبي وغيرهم انه يقضى كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت كيف قيل فعدة
على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان
يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤثر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة **وعلى الذين يطيقونه**
وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره
عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة
اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه
بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل
وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان
احدهما نحو معنى يطوقونه والثاني يتكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم
هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا بمعنى يطوقونه اي يصومونه
جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم **فمن تطوع خيرا** فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع او الخير
وقرئ يطوع بمعنى يتطوع **وان تصوموا** ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم **خير لكم**
من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم
الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية

رمض

فإن قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم للغراب يا ابن دأية الإبل لحدائه البعير لكثرة وقوعه عليها إذا أدبرت
فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم
إضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر
أيام رمض الحر فإن قلت فإذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعا فما وجه ما جاء في الأحاديث من نحو
قوله عليه السلام من صام رمضان إيمانا واحتسابا من أدرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لأمن الإلباس كما قال
بما أعيا النطاسي حذيما أراد ابن حذيم وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره الذي أنزل فيه القرآن أو على أنه بدل من الصيام في
قوله كتب عليكم الصيام أو على أنه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان أو على الإبدال من أياما معدودات
أو على أنه مفعول وأن تصوموا ومعنى أنزل فيه القرآن ابتدئ فيه إنزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل أنزل جملة إلى
سماء الدنيا ثم نزل إلى الأرض نجوما وقيل أنزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما أنزل
وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين
لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال أي أنزل وهو هداية للناس إلى
الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل فإن قلت ما معنى قوله وبينات
من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر أولا أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين
الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان
شاهدا أي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه
ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله بكم اليسر فلا يعسر عليكم
ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا إصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم
من إباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم أن من صام منهما فعليه
الإعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين ولتكملوا العدة الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه
ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء
والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف
المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان وإنما عدي فعل التكبير ب
حرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم
تشكرون وإرادة أن تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فإن قلت هل يصح أن يكون ولتكملوا
معطوفا على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر
ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والأول أوجه فإن قلت ما المراد بالتكبير
قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الإهلال فإني قريب
تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فإذا دعي

أسرعت تلبيته ونحوه وهو أقرب إليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين أعناق رواحلكم وروي أن أعرابيا قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما
أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل إذا أمسى حل له
الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب
والنساء إلى القابلة ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم
نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال
عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ أحل لكم ليلة الصيام
الرفث أي أحل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وقد
أرفث الرجل وعن ابن عباس أنه أنشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير ننك لميسا فقيل له أرفثت
فقال إنما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفث
من ذكر فإن قلت لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم إلى بعض
فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت
استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم فإن قلت لم عدي الرفث بإلى قلت لتضمينه معنى
الإفضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل
عليه قال الجعدي إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فإن قلت ما موقع قوله هن لباس لكم
قلت هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل
صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون أنفسكم تظلمونها وتنقصونها
حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من
المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت لكم في اللوح المحفوظ من الولد بالمباشرة أي لا
تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لأنه في الحرائر
وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتبه لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة
بعد الحظر وعن ابن عباس واتبعوا وقرئ الأعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب
إن أصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الأبيض أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق
كالخيط الممدود والخيط الأسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين أبيض وأسود قال أبو دواد فلما
أضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط أنارا وقوله من الفجر بيان للخيط الأبيض واكتفى به عن بيان الخيط الأسود
لأن بيان أحدهما بيان للثاني ويجوز أن تكون من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله فإن قلت أهذا من باب الاستعارة
أم من باب التشبيه قلت قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذا زدت
من فلان رجع تشبيها فإن قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي
أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة قلت لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم

يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت كيف التبس على عدي بن حاتم هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروى انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدني بعض البدويين لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فان قلت فما تقول فيما روى عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي غير مراده قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله فالان باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرا مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهى ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهى ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تاكلوا ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه

وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى الحكام بالرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب وان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي باشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الشرك عذاب الاخرة دون قتلكم وقيل

الشرك أعظم من القتل في الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي
هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم
في الحرم أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم جعل وقوع القتل
في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال فإن تقتلونا نقتلكم فإن انتهوا عن الشرك والقتال كقوله إن
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة أي شرك ويكون الدين لله خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب فإن
انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله
إلا على الظالمين موضع على المنتهين أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلماً للمشاكلة
كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى أو أريد أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط
عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم
لعمرة القضاء وكراهتهم للقتال في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه
بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص أي وكل حرمة تجري فيها
القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم
نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين
ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الباء مزيدة والمعنى ولا تلقوا أيديكم
إلى التهلكة أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة والمعنى النهي عن ترك الإنفاق
في سبيل الله لأنه سبب الهلاك أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله أو عن الاستقتال
والإخطار بالنفس أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي أن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدو
فصاح به الناس ألقى بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب الأنصاري نحن أعلم بهذه الآية وإنما أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرناه
وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب
أوزارها رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال
وترك الجهاد وحكى أبو علي في الحلبيات عن أبي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال والتهلكة مصدر
ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الأعيان التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصلها
التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في
الجوار وأتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع
منكم فيهما قال تمام الحج أن تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل أن تخلصوهما للعبادة
الآية وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل أن تكون النفقة حلالاً وقيل أن تفرد لكل
واحد منهما سفراً كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل فإن قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو إلا أمر بإتمامهما
ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية والتطوع جميعاً إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما
ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعاً إلا أن تقول الأمر بإتمامهما

بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والأمر للوجوب في أصله إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله
فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة
مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فإن قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه
قال إن العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه أن رجلاً قال له إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعاً
فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام قلت كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما
وأنهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولأنها قرينته في الأمر بالإتمام ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في
الوجوب وأما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما وإذا أهل بالعمرة وجب عليه كما إذا
كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرناه أخرجها عن الوجوب فبقي الحج وحده فيهما فهما بمنزلة قولك صم
شهر رمضان وستة من شوال في أنك تأمره بفرض وتطوع وعن علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا
بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فإن أحصرتم يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله
تعالى الذين أحصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى أن تكون تباعدت عليك ولكن أحصرتك شغول وحصر إذا
حبسه عدو عن المضي أو سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما بمعنى
المنع في كل شيء مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني وعليه قول أبي حنيفة رحمه الله كل منع عنده
من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم الإحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الأمر واستيسر
كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية
كمطية ومطي يعني فإن منعتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدي
من بعير أو بقرة أو شاة فإن قلت أين ومتى ينحر هدي المحصر قلت إن كان حاجاً فبالحرم في أيام النحر بعث به وجعل
للمبعوث على يده يوم أمارٍ وإن كان معتمراً فبالحرم في كل وقت عندهم جميعاً ما استيسر رفع بالابتداء أي فعليه ما استيسر أو
نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤوسكم الخطاب للمحصرين أي لا تحلوا حتى تعلموا أن الهدي الذي
بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب
أبي حنيفة رحمه الله فإن قلت فإن النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث أحصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذي إلى
أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي
طرف الحرم على تسعة أميال من مكة فمن كان منكم مريضاً فمن كان به مرض يحوجه إلى الحلق أو به أذى من رأسه
وهو القمل والجراحة فعليه إذا احتلق ففدية من صيام ثلاثة أيام أو صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع
من بر أو نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك آذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت
هذه الآية وروي أنه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا أذى وأمره أن يحلق ويطعم أو يصوم والنسك مصدر
وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن أو نسك بالتخفيف فإذا أمنتم الإحصار يعني فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة فمن تمتع

أي استمتع بالعمرة إلى الحج واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل
إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرمًا عليه إلى أن يحرم بالحج **فما استيسر من الهدي** هو هدي المتعة
وهو نسك عند أبي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا
ويجوز ذبحه إذا أحرم بحجته **فمن لم يجد** الهدي فعليه صيام **ثلاثة أيام في الحج** أي في وقته وهو أشهره ما بين الإحرامين
العمرة وإحرام الحج وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله والأفضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويومًا قبلهما وإن مضى
الوقت لم يجزه إلا الدم وعند الشافعي لا يصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكًا بظاهر قوله في الحج **وسبعة إذا رجعتم** بمعنى إذا
نفرتم وفرغتم من أعمال الحج عند أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي هو الرجوع إلى أهاليهم وقرأ ابن أبي عبلة وسبعة
بالنصب عطفًا على محل ثلاثة أيام كأنه قيل فصيام ثلاثة أيام كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيمًا فإن قلت فما فائدة
الفذلكة قلت الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعًا أو واحدًا
منهما كان ممتثلاً ففذلكت نفيًا لتوهم الإباحة وأيضًا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم
تفصيلاً ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي أمثال العرب علمان خير من علم وكذلك **كاملة** تأكيد آخر وفيه زيادة
توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك
بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلاً من الهدي وقرئ فصيام ثلاثة أيام متتابعات **ذلك** إشارة إلى التمتع
عند أبي حنيفة وأصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهو
دم جناية لا يأكل منه وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي إشارة إلى
الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئًا وحاضروا المسجد الحرام أهل المواقيت فمن دونها
إلى مكة عند أبي حنيفة وعنده رضي الله عنه يعني الشافعي أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة
واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره **واعلموا أن الله شديد العقاب**
لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفًا لكم في التقوى **الحج أشهر** أي وقت الحج أشهر كقولك البرد شهران
المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر
مالك وذو الحجة كله فإن قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الأشهر قلت فائدته أن شيئًا من أفعال الحج لا يصح إلا فيها
والإحرام بالحج لا ينعقد أيضًا عند الشافعي في غيرها وعند أبي حنيفة ينعقد إلا أنه مكروه فإن قلت كيف كان
الشهران وبعض الثالث أشهرًا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه إذن
وإنما كان يكون موضعًا للسؤال لو قيل ثلاثة أشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة
كذا أو على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وإنما رآه في ساعة منها فإن قلت ما وجه مذهب
مالك فهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه أن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكأنها
مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر أنه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر
أنه قال لرجل إن أطعتني انتظرت حتى إذا أهللت المحرم خرجت إلى ذات عرق فأهللت منها بعمرة وقالوا العلماء
من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر **معلومات** معروفات عند الناس لا يشكل عليهم

وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وإنما جاء مقررًا له **فمن فرض فيهن الحج** فمن ألزمه نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدي
وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي بالنية **فلا رفث** فلا جماع لأنه يفسده أو فلا فحش من الكلام **ولا فسوق**
ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالألقاب **ولا جدال** ولا مراء مع الرفقاء والخدم
والمكارين وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير في
الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لا تكون وقرئ المنفيات
الثلاث بالنصب وبالرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب لأنهما حملا الأولين على معنى النهي
كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل ولا شك ولا خلاف
في الحج وذلك أن قريشًا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون
الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف إلى عرفة فأخبر الله أنه قد ارتفع الخلاف
في الحج واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق
خرج كهيئة يوم ولدته أمه وأنه لم يذكر الجدال **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** حث على الخير عقيب النهي عن الشر
وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والأخلاق
الجميلة أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله **وتزودوا فإن**
خير الزاد التقوى أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإن خير الزاد اتقاؤها وقيل كان أهل اليمن لا
يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن حجاج بيت الله أفلا يطعمنا الله فيكونون كلاً على الناس فنزلت فيهم
ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم فإن خير الزاد التقوى **واتقون**
وخافوا عقابي **يا أولي الألباب** يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له **فضلاً**
من ربكم عطاء وتفضلاً وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج وإذا
دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا
بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها أيام الموسم وكانت معايشهم منها
فلما جاء الإسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم وإنما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر أن رجلاً قال
له إنا قوم نكري في هذا الوجه وإن قومًا يزعمون أن لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت
فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال أنتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة
في الحج فقال وهل كانت معايشنا إلا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلاً من ربكم في مواسم الحج
أفضتم دفعتم بكثرة وهو من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في
دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه فقوله أفاضوا
في الحديث وهو صبوا **عرفات** علم للموقف سمي بجمع كأذرعات فإن قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف
والتأنيث قلت لا يخلو التأنيث إما أن يكون بالتاء التي في لفظها وإما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست
للتأنيث وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لأن هذه التاء لاختصاصها بجمع

المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التأنيث في بنت لأن التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء
التأنيث فأبت تقديرها وقالوا وسميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها وقيل إن جبريل كان يدور به
في المشاعر أراه إياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لأن الناس يتعارفون فيها وعرفات للعلم
كعرفة وذلك وهي من الأسماء المرتجلة لأن العرفة لا تعرف في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف وفيه دليل
على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد
أدرك الحج **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء **عند المشعر
الحرام** قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من
مأزمي عرفة إلى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح أنه الجبل لما روى جابر
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل
واقفا حتى أسفر وقوله عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب
من جبل الرحمة وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة
به عند المشعر والمشعر المعلم لأنه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه نظر
إلى الناس ليلة جمع فقال لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لأن آدم اجتمع
مع حواء رضي الله عنهما وازدلف إليها أي دنا منها وعن قتادة لأنه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز أن يقال وصفت بفعل
أهلها لأنهم يزدلفون إلى الله أي يتقربون بالوقوف فيها **كما هداكم** ما مصدرية أو كافة والمعنى اذكروه ذكرا
حسنا كما هداكم هداية حسنة أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وإن كنتم من قبله من قبل الهدى
لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
ثم أفيضوا ثم لتكن إفاضتكم **من حيث أفاض الناس** ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس
والتعالي عليهم وتعظمهم عن أن يساووهم في الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون
بجمع وسائر الناس بعرفات فإن قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم
تأتي ثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من
عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين وأن إحداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث
أفاض الناس وهم الحمس أي من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناسي بكسر السين
أي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي يعني أن الإفاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا
عنه **واستغفروا الله** من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم **فإذا قضيتم مناسككم** فإذا فرغتم من
عبادتكم الحجية ونفرتم **فاذكروا الله كذكركم آباءكم** فأكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم
في المفاخرة وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم
ويذكرون محاسن أيامهم **أو أشد ذكرا** في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر
قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا أو في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم على أن ذكرا من

معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فإن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أعراض الدنيا
نعل المذكور **فمن الناس** من يقول
ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين **آتنا في الدنيا** اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في الدنيا خاصة **وما له في الآخرة**
من خلاق أي من طلب خلاق وهو النصيب أو ما له في الآخرة من نصيب لأن همه مقصور على الدنيا
والحسنيان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن
علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء **وعذاب النار** امرأة السوء **أولئك** الداعون
بالحسنيين **لهم نصيب مما كسبوا** أي نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة أو من
أجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا أو مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في
الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لأنه من الأعمال والأعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم
ويجوز أن يكون أولئك للفريقين جميعا وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا **والله سريع الحساب** يوشك أن يقيم
القيامة ويحاسب العباد فبادروا إلى إكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم
وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي أنه تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار
فواق ناقة وروي في مقدار لمحة **الأيام المعدودات** أيام التشريق وذكر الله تعالى فيها التكبير في أدبار الصلوات
وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق
وفي الطواف **فمن تعجل** فمن استعجل النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل
يقال تعجل في الأمر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله **ومن تأخر**
كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل إلا أحل الثاني **في يومين**
بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه أهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده فنفر إذا فرغ من رمي الجمار
كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند أبي حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر
ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة وعند الشافعي
لا يجوز فلا إثم عليه بعد التعجل والتأخر جميعا وفي ذلك دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل
فتعجلوا أو تأخروا فإن قلت أليس التأخر بأفضل قلت بلى ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير
المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل وقيل إن أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم
من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا **لمن اتقى** أي ذلك التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر
لأجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق صاحبه آثاما في الإقدام عليه لأن ذا
التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال **واتقوا الله** ليعبأ بكم ويجوز
أن يراد ذلك الذي مر ذكره من أحكام الحج وغيره لمن اتقى لأنه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك
خير للذين يريدون وجه الله **ومن الناس من يعجبك قوله** أي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم
في النفس وهو الأخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق إذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه
وأنه مسلم وقال يعلم الله أني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو ألسنتهم وقلوبهم أمر من الصبر

فإن قلت بم يتعلق قوله في الحياة الدنيا قلت بالقول أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأن ادعاءه المحبة بالباطل يطلب
به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالإيمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه إذن
في الدنيا لا في الآخرة ويجوز أن يتعلق بيعجبك أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه
في الموقف من الحبسة واللكنة أو لأنه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه
أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف أبي ويستشهد الله
وهو ألد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك
مواشيهم وأحرق زروعهم والخصام المخاصمة وإضافة الألد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر أو جعل الخصام
ألد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة وإذا تولى وإذا
تولى عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق سعى في الأرض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل وإذا تولى وإذا
كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع
الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل ويهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على إسناد الفعل للحرث والنسل والرفع
للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول
أخذته العزة بالإثم من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه أي حملته العزة التي فيه وحمية
الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا أو على رد قول الواعظ
يشري نفسه يبيعها أي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في
صهيب بن سنان أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم أنا شيخ كبير إن كنت معكم
لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله وأتى المدينة والله رؤوف
بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الأعمش بفتح السين واللام
وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه كافة لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته وقيل هو
الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون
كافة حالا من السلم لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها
جرع على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام
وشرائعه كلها وأن لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت
وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم فإن زللتم
عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات أي الحجج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق
فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم إلا بحق وروي أن قارئا قرأ غفور
رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر
الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه وقرأ أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت أن يأتيهم الله
إتيان أمره وبأسه كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءها بأسنا ويجوز أن يكون المأتي به محذوفا بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته

للدلالة عليه بقوله إن الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة وهي ما أظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل
والملائكة وقرئ بالرفع كقوله هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام فإن قلت لم
يأتيهم العذاب في الغمام قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء
من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك
كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله تعالى قوله
تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الأمر أتم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل
رضي الله عنه وقضاء الأمر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول
بالتأنيث والتذكير فيهما سل أمر للرسول أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيامة كم آتيناهم
من آية بينة على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام نعمة الله آياته
وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم
فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب التي تدل على دين محمد صلى الله عليه وسلم فإن
قلت كم استفهامية أم خبرية قلت تحتمل الأمرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فإن قلت ما معنى من بعد ما
جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها
أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها
في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها
وأحبوها أو جعل إمهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل
ويسخرون من الذين آمنوا كانوا يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم
أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لأنهم في
عليين من السماء وهم في سجين من الأرض أو حالهم عالية لحالهم لأنهم في كرامة وهم في هوان أو لأنهم عالون عليهم
متطاولون يضحكون منهم كما تطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره
فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه
المؤمنون أحق بها منكم فإن قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن
المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله
النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله
كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا
وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الوجه فإن قلت متى كان الناس
أمة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق
زمان نوح ومن كان معه في السفينة وأنزل معهم الكتاب يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله أو الكتاب

او الى المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه والحق
الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب
وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الخلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا
وقلة انصاف منهم من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف
على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه
من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام
حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل
الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استئناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل
فقيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع
حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر
حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي
الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم
يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني
فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان
ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال
ماضية محكية فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما
ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني
الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة
حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من
اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره
لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا الا ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر
موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان
يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون
بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة
كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا
شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير
لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة
قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين

واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة
فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول
الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون
عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل
كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل
عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا
فيه وما نسخت والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله
مبتدأ واكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج
اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على
سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان
يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى
يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم
ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به
ومن يرتدد ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من
ثواب الاخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان
رجع مسلما ان الذين امنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا
من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم اهل رجاء
كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة
قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها
قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص
فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا
الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر
انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في
بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا
وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب او التمر

واشتد

الذي لم يطبخ فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر إذا
لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة، وعن بعض أصحابه لأن أقول مرارا هو حلال أحب إلي من أن أقول مرة
هو حرام، ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب إلي من أن أتناول منه قطرة، وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر
وكذلك كل ما أسكر من كل شراب، وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لأنها تسكرهما أي
تحجزهما، وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا إذا ستره للمبالغة. **والميسر** القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع
من فعلهما، يقال يسرته إذا قمرته، واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب
أو من اليسار لأنه سلب يساره. وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله
وماله. قال: أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني، أي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالمجزور. فإن قلت كيف صفة
الميسر؟ قلت كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام والأقلام: الفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد، لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور
ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء، وقيل ثمانية وعشرين، إلا ثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد،
ولبعضهم: لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح، وأساميهن وغد وسفيح ومنيح. للفذ سهم، وللتوأم
سهمان، وللرقيب ثلاثة، وللحلس أربعة، وللنافس خمسة، وللمسبل ستة، وللمعلى سبعة، يجعلونها في
الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا
منها، فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح، ومن خرج له قدح مما لا نصيب
له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله، وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم، وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما
من الميسر، وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر. والمعنى **يسألونك** عما في تعاطيهما بدليل قوله
فيهما إثم كبير، وعقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب
فيهما والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم
وسلب الأموال بالقمار والافتخار على الأبرام. وقرئ إثم كثير بالثاء، وفي قراءة أبي وإثمهما أقرب. ومعنى الكثرة
أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة. **العفو** نقيض الجهد، وهو أن ينفق
ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع. قال: خذي العفو مني تستديمي مودتي. ويقال للأرض
السهلة العفو. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال
خذها مني صدقة، فأعرض عنه رسول الله، فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه، ثم أتاه من الجانب
الأيسر فأعرض عنه، فقال هاتها مغضبا، فأخذها فحذفه بها حذفا لو أصابه لشجه أو عقره، ثم قال
يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس، إنما الصدقة عن ظهر غنى. **في الدنيا والآخرة** إما أن يتعلق
بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة

أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع، ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله وإثمهما أكبر من نفعهما
لتتفكروا في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم، وإما
أن يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم **تتفكرون**. لما نزلت إن الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم
وكادوا يوقعون في الحرج، فقيل **إصلاح لهم خير** أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم
وإن تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم **إخوانكم** في الدين، ومن حق الأخ أن يخالط أخاه، وقد حمل المخالطة
على المصاهرة. **والله يعلم المفسد من المصلح** أي لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه على حسب مداخلته
فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح. **ولو شاء الله لأعنتكم** لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم
وقرأ طاوس قل إصلاح إليهم، ومعناه إيصال الصلاح إليهم، وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على اللام
إن الله عزيز غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم ولكنه **حكيم** لا يكلف إلا ما يتسع فيه طاقتهم
ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء، أي لا تتزوجوهن ولا تزوجوهن. والمشركات الحربيات والآية ثابتة، وقيل المشركات
الحربيات والكتابيات جميعا لأن أهل الكتاب من أهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون، وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، وسورة المائدة
كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط، وهو قول ابن عباس والأوزاعي. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن
أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين، وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت ألا
نخلو، فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا، فقالت فهل لك أن تتزوج بي، قال نعم ولكن أرجع إلى رسول الله فأستأمره
فاستأمره فنزلت. **ولأمة مؤمنة** ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة، وكذلك ولعبد مؤمن، لأن الناس كلهم عبيد الله
وإماؤه. **ولو أعجبتكم** ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها فإن المؤمنة خير منها مع ذلك. **أولئك** إشارة إلى
المشركات والمشركين، أي **يدعون** إلى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين إلا المناصبة
والقتال. **والله يدعو إلى الجنة** يعني وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما، فهم الذين تجب
موالاتهم ومصاهرتهم وأن يؤثروا على غيرهم. **بإذنه** بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة
وقرأ الحسن والمغفرة بالرفع، أي والمغفرة حاصلة بتيسيره. **المحيض** مصدر، يقال حاضت محيضا كقولك جاء
مجيئا وبات مبيتا. **قل هو أذى** أي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له. **فاعتزلوا النساء**
فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن. روي أن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها
ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس، فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن
فأخرجوهن من بيوتهم، فقال ناس من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هلك
سائر أهل البيت، وإن استأثرنا بها هلكت الحيض، فقال عليه السلام إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن
ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم، وقيل إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض، واليهود كانوا
يعتزلونهن في كل شيء، فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين، ومن الفقهاء من اختلف في الاعتزال، أبو حنيفة وأبو يوسف يوجبان

اعتزال، اما استعمل عليه الازار فمحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله بن عمر
سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم
ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها
فاكد هذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يجتنب شعار الدم وله
سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن والتطهر
الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له
ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت
صلاة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا
تطهرن من حيث امركم من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من
ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم
بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان
ما ليس بمباح وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن
من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله فأتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي
تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم
بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فأتوا
حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة
على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا
يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم
عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما
موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني
ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل
في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت
ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع
في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث
الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن
الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون
الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير

والعرضة ايضا المعرض للامر قال ولا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على
بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات البين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني
فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا
لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو
خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها
التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تتعلق اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم
برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا
ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا
ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع
كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم
واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد
الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه
على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر
ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه
معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم
اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني
لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما
نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو
في ايمانكم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت
قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من
نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا
على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك
انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز حنث في القادر ولزمته كفارة اليمين وان مضت الاربعة بانت
بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولى فاما ان يفيء واما
ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاءوا فان رجعوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا
فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز
ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة

وإن عزموا الطلاق فتربصوا إلى مضي المدة فإن الله سميع عليم وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه
فإن فاءوا وإن عزموا بعد مضي المدة فإن قلت كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح
لأن قوله فإن فاءوا وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم
هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول فإن قلت ما تقول في قوله فإن الله سميع عليم
وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة
ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات
أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء فإن قلت كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ
مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك فإن قلت فما معنى الإخبار عنهن
بالتربص قلت هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر
وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجوداً ونحوه قولهم
في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على
المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فإن قلت هلا قيل يتربصن
ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الأنفس قلت في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة
بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن
يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء أو قُرء وهو الحيض بدليل قوله
عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله
تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فعدتهن ثلاثة أشهر فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن
الغرض الأصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء
من الأمة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته
إلى فلانة تقرئها أي تمسك عندها حتى تحيض للاستبراء فإن قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق
الشرعي إنما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلاً
لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فإن قلت فما تقول في قول الأعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت
أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد بها
النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه يمر على نسائه مدة كمدة العدة
ضائعة لا يضاجعهن فيها أو أراد من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضاً ولا طهراً
فإن قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على أنه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه
ظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء فإن قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء قلت يتوسعون في ذلك فيستعملون

كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت
أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلاً للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ
الزهري ثلاثة قرو بغير همز ما خلق الله في أرحامهن من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها
لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالاً
للطلاق ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما
في أرحامهن كناية عن إسقاطه إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وباليوم الآخر وبعقابه
لا يجترئ على مثله من العظائم وبعولتهن جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد
بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن أحق بردهن برجعتهن وفي قراءة أبي بردتهن في ذلك
في مدة ذلك التربص فإن قلت كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقاً فيها قلت المعنى أن الرجل إذا أراد الرجعة
وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقاً في الرجعة إن أرادوا بالرجعة إصلاحاً
لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب
لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس
لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب
عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل
المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام
بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين
التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي
يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان
تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح
الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثلاث فإمساك بمعروف أي برجعة
أو تسريح بإحسان أي بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها
وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي أن سائلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الثالثة فقال عليه السلام
أو تسريح بإحسان وعند أبي حنيفة وأصحابه الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة أن لا يوقع عليها إلا
واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر أن رسول الله قال له إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالاً
فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثاً
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه وروي أن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو
يحبها فأتت رسول الله فقالت يا رسول الله لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعتب عليه في دين ولا خلق
ولكني أكره الكفر في الإسلام ما أطيقه بغضاً إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم
سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً فنزلت وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في

الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود
الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء لا ياخذون منهن ولا يؤتونهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب
للازواج واخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القران وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم
الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون مما اتيتموهن مما اعطيتموهن من
الصدقات الا ان يخافا الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب
الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما
اعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه
وهو جائز في الحكم وروي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعا بها
فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها
كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان
لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين
ظلموا وتعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان
يكون كذا وافرق ان يكون بمعنى اظن فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى
نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج
غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كما التزوج وقولهم فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على
العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة
رضي الله عنها ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن
بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة
لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال
لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى
زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان
اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان
والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان
اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي
الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها
الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما
انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله عز وجل ومن فسر الظن
بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما

ظنا فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت
الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال اذا انتهى
امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم
ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضي اجلها غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها
فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي
عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها
لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم
نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق
رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا
والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القران والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما
انزل عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا
ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن
واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته
ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا
يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة ... وان قصائدي لك فاصطنعني ... عقائل قد عضلن
عن النكاح ... وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين
اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل
ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر المثل فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في
قوله ذلك يوعظ به قلت لرسول الله ولكل احد ونحوه ذلك خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الاثام
وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون او والله يعلم ما تستصلحون
به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله
تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرا ابن عباس ان يكمل الرضاعة
وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان يتم الرضاعة فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت هو بيان لمن
توجه اليه الحكم كقوله هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين
ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت
لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي

يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت كيف قال والوالدات مأمورات بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع **وعلى المولود له** وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمأمون بن الرشيد: فانما امهات الناس اوعية ... مستودعات وللآباء ابناء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه لو قيل وعلى الوالد لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا **بالمعروف** تفسيره ما يعقبه وهو ان لا تكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ **لا تضار** بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبناءين ايضا ويدل على ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد **وعلى الوارث** عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشرائط التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد

الاولاد

والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا **فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غير الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان ارادا استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي لتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع **اولادكم** فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول **اذا سلمتم** الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في امره فامرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف ويقال سلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن **والذين يتوفون منكم** على حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم **يتربصن** وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة **يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا** يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم الا يوما **فاذا بلغن اجلهن** فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين **فيما فعلن في انفسهن** من التعرض للخطاب **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح **فيما عرضتم** هو ان تقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال اوقد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير

لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولا
نظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على
الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه
طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف
لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية
عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا
ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا
ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا
مواعدة معروفة غير منكرة او ولا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون
استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها
ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث والخاش في
الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان
مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان تواعدها في السر
عدة ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان
العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل
معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من
الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا
يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه ان الله غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض
الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها
نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم
فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة ومتعوهن والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عندنا الا ان
يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر
عشرة دراهم فلا تنقص من نصفها على الموسع الذي له سعة قدره والمقتر الضيق الحال قدره مقداره الذي يطيقه
لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل
من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك
وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تأكيد لمتعوهن

بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا
على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله
سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول
ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل فهو في
محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح اي الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا
يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الذي يلي
عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة
والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيه نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها
المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها
او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها
الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج
طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق
قال فاين الفضل والفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ويتمرأوا ولا يستقصوا وقرأ
الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها
وقرأ ابو نهيك وان يعفو بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلاة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات
او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام
انها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه
الاية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فاملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر
وروي عن عائشة وابن عباس والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين احداهما
الصلاة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها
من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن عمر هي صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله يصليها بالهاجرة
ولم تكن صلاة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار وعن قبيصة بن ذؤيب
هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة والصلاة
الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين
لله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود
وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصا
او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين
وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد

وفيه خلاف وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب
يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن
او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال
الخوف وفي حال الامن تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم
والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سير البريد
باضمار تسير او والزم الذين يتوفون اهل وصية وتدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى
الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابي متاع لازواجهم
متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة
ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا
وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات
والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا
اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا
وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة
واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان
قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله تعالى
سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها
لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير
وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناول التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد
بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز
ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل
واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله
وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه و
اصابعه تعجبا مما رأى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله
ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل
سبعون ومن بدع التفاسير الوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله
موتوا قلت معناه فاماتهم وانما جيء على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله
ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر

فالاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما تبصر اولئك وكما تبصرهم باقتصاص
خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل
على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله
المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه
والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي
كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم
الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال
معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان
يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا
مقدرين القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب
وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني
هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما
عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل
اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا الا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال
واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين الا قليلا منهم قيل كان القليل ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله
عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع
من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت
منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا وكان احد سببيه
العجمة لكونه عبرانيا انى يكون من اين يكون وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن
احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو
الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال
يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت
من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط
والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها
وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون

حسيما يملأ العين جمالة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم
كان يمد يده فينال رأسه فقال والله يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع
الفضل والعطا يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة
وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمأنينة وقيل
هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو
العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان
وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى
فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفائه طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء
بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله
ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما
الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد
التابوه بالهاء هي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون
فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا فعلوت من التوب وهو
الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج
اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما
من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التأنيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ
يحمله بالياء فان قلت من آل موسى وآل هرون قلت الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي
بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فصل عن
موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي
كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما
والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل
بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون
الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه من
النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي
من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه
لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا برد الكرى
عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلى به اهل ايلة من ترك الصيد
مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما روي
فبالوحي وقرئ بفتح الغين بالسكون فان قلت مما استثني قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني

والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا
فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم
مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه
حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف كأنه قال لم
يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا والذين آمنوا يعني القليل قال الذين
يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون
الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير والذين ثبتوا والذين
يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخذال ويرد عليهم
هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم
العطش جالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد كانت بيضته فيها ثلاثمائة رطل افرغ علينا صبرا وهب لنا ما نثبت
به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشي ابو داود
في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود
هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان احملني وقالت
انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله
ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود
والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس
ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها
وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض
بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض تلك آيات الله
يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي
هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي نتلوها عليك بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في
كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع اخبار تلك الرسل اشارة
الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله فضلنا بعضهم على بعض بما اوجب ذلك
من مناقبهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله
بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله
على غيره من الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه
لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف آية او اكثر ولو لم يؤت الا
القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات

وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال
للرجل من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح به وأنوه
بصاحبه وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيراً والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال
ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم أمره ويجوز أن يريد إبراهيم ومحمداً وغيرهما من أولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد
نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحاً بطول عبادته وإبراهيم بخلته وموسى بتكليم الله إياه وعيسى برفعه إلى السماء
وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل
فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فإن
قلت لم خص موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر قلت لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين
الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما
أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين أن من زيد تفضيلاً بالآيات منهم فقد فضل
على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي أوتي منها ما لم يؤت أحد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود
له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين ولو شاء الله مشيئة إلجاء وقسر ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضاً ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه
دين الأنبياء ومنهم من كفر لإعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان
والعصمة أنفقوا مما رزقناكم أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على
تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم
أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات لأن الشفاعة ثمة في زيادة
الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ
كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله وويل
للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل
عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم ويقدر القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم
لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً ومنه حديث موسى أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه
كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين
مملوءتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى فانكسرتا ثم أوحى إليه قل لهؤلاء
إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه
وأن أحداً لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو
لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء من علمه من معلوماته إلا بما شاء إلا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن
مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه أربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته
وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ألا
ترى إلى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث
وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي أنه خلق كرسياً هو بين يدي العرش دونه السموات والأرض
وهو إلى العرش كأصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ
السموات والأرض وهو العلي الشأن العظيم الملك والقدرة فإن قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير
حرف عطف قلت ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين
فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه
مهيمناً عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكاً لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته
بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات
كلها أو لجلاله وعظم قدره فإن قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه
الآية في دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك وأهلك
وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي
في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا
أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم علي
أين أنتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر
وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد
الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على توحيد
الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكراً له كان أفضل من سائر الأذكار
وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه
فإن العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حساداً لا إكراه في الدين أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار
والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى
يكونوا مؤمنين أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي
قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام والإيمان
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم
بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به

وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي ان انصاريا كان له ابنان فتنصرا قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى
رسول الله فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت **الله ولي الذين امنوا** اي اراد ايمانهم
يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان **والذين كفروا** اي صمموا على الكفر امرهم على عكس
ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين
والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة **الم تر** تعجيب من
محاجة نمرود ... **ان اتاه الله الملك** متعلق بحاج على وجهين ... لان اتاه الله الملك على معنى ان ايتا
الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك ... انه وضع المحاجة ... موضع ما وجب عليه من الشكر على
اتاه الملك ... عكس ما كان يجب عليه من الموالاة
لاجل الاحسان ... وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والذي حاج ... وان اتاه الله الملك وان قلت كيف جاز
ان يؤتي الله الملك الكافر قلت ... ولان اتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط
فلا وقيل الملك ... اذ قال ظرف لحاج او بدل من اتاه ... **انا احيي واميت** ... عن
... وكان الاعتراض عنيدا ولكن ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما
لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة
فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر ... وقد كانت المحاجة حين كسر الاصنام
... **او كالذي** معناه
او رايت مثل الذي ... عليه لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل
كالذي حاج ابرهيم او كالذي **مر على قرية** والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك
ولكلمة الاستبعاد التي هي **انى يحيي** وقيل هو عزير او الخضر عليهما السلام اراد ان يعاين احيا الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه
ابرهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريق الاحيا واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس
حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف **وهي خاوية على عروشها** ... **فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم**
... ثم بعث بعد مائة سنة ... الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت
فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب
كما جنيا والشراب على حاله **لم يتسنه** لم يتغير ... واشتقاقه من السنة على الوجهين ... لان لامها
ها او واو ... وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة
كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث
... **وانظر الى**
حمارك كيف تفرق عظامه ... وكان له حمار قد ربطه ... وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من

على حقه من العمر بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر وقلت هذا المائة فقد عند قوله ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة
مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف
سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه
واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرأ اسدى الى صنيعة وذكرنيها مرة
وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن
والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس
الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم
وبين قوله فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمه والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء
فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو
عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من السائل لانه اذا رده
ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني لا حاجة
به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي
ينفق ماله اي لا تبطلوا اجر صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضى الله
ولا ثواب الاخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ
سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي
كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون
الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي
ينفق قلت اراد بالذي الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي سيان فكانه قيل كمن ينفق وتثبيتا من انفسهم
وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان
لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها
وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء
من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص
قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية
كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة
فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت
بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى
واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها
وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل

وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها
الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين
الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات ودرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء
كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك
حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم
فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن
عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني
يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس
شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا
فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع
خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان
يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام
عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت
ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر من
طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل
وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى تشتمل الطيبات على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما
اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه
بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء
في معنى قصده ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا
فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح
لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرأ الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعن قتادة تغمضوا
بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه
وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس
كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا
وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم
بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق
مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة يوفق
للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش
خيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به

الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله أو في سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة
الله أو في معصيته فإن الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في
المعاصي أو لا يوفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه إن تبدوا الصدقات فنعما هي نكرة
غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا إبداؤها وقرئ بفتح النون وكسرها وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا
بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها
وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها
بخمسة وعشرين ضعفا وإنما كانت المجاهرة في الفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل
والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر
مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط
وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله أو للإخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء
والنصب بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن نكفر عنكم سيئاتكم ليس عليك هداهم أي لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين
إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي
من يشاء يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم
فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون ولستم في نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما
بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم
في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت
أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أن ناسا من المسلمين كانت لهم
أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان
شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز أبو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه
غيره للفقراء متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات وخبر أن
يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم الجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الأرض للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم
مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى وعن ابن عباس وقف رسول
الله يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي
على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف مستغنين من أجل
تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال لا يسألون الناس إلحافا إلحاحا وهو اللزوم وأن لا يفارق
إلا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الحيي الحليم
المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف ومعناه أنهم إن سألوا سألوا بلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والإلحاف

جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ومن نفى المبالغة والإلحاف الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الأوقات
والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا
حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في
السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبي هريرة كان إذا مر
بفرس سمين قرأ هذه الآية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها
بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات
العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير اتساق كخبط العشواء أو دعاما
كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك
جن الرجل معناه ضربته الجن وزعمهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات
فإن قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز
أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم
يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون
كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ذلك العقاب بسبب
قولهم إنما البيع مثل الربا فإن قلت هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام في الربا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا
الربا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز فكذلك
إذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه
أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله وأحل الله البيع وحرم الربا إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة
على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه
وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل
نزول التحريم وأمره إلى الله يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد
إلى الربا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقي
ولأنها في معنى الوعظ وقرأ أبي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه وعن ابن مسعود الربا وإن كثر إلى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال
الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب كل كفار أثيم تغليظ في أمر
الربا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين ذروا ما شرطوا على الناس من الربا وبقي لهم بقايا
فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روي أنها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل
بالمال والربا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء ألفا على لغة طيئ وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه
قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف إن كنتم مؤمنين إن صح إيمانكم يعني أن

دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك فأذنوا بحرب فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به وقرئ فآذنوا
فأعلموا بها غيركم وهو من الأذن وهو الاستماع لأنه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة
فإن قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله
وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون
المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فإن قلت هذا حكمهم إن تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا
قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تَظلمون ولا تُظلمون وإن كان ذو عسرة وإن وقع
غريم من غرمائكم ذو عسرة أي ذو إعسار وقرأ عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وإن كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن
كان ذا عسرة فنظرة فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار وقرئ فنظْرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى
فصاحب الحق ناظره أي منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب
وذو بقل وعنه فناظِرْه على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها إلى ميسرة إلى يسار وقرئ بضم السين
كمقبرة ومقبُرة ومشرقة ومشرُقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عد الأمر
الذي وعدوا وقوله تعالى وإقام الصلاة وأن تصدقوا ندب إلى أن يتصدقوا برؤوس أموالهم على من أعسر
من غرمائهم أو ببعضها كقوله وأن تعفوا أقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل
مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه
كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون
بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبي تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبريل
وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل
أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات إذا تداينتم إذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل إذا
عاملته بدين معطيا أو آخذا كما تقول بايعته إذا بعته أو باعك قال رؤبة داينت أروى والديون تقضى
فمطلت بعضا وأدت بعضا والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فإن قلت هلا قيل إذا داينتم إلى أجل مسمى
وأي حاجة إلى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم
يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال فإن
قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام ولو قال إلى
الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وإنما أمر بكتبة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من
النسيان وأبعد من الجحود والأمر للندب وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا
أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية
بالعدل متعلق بكاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما
يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو
أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى

تنكير كاتب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن
كما أحسن الله إليك أي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز
أن يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب فإن قلت أي فرق بين الوجهين قلت إن علقته بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع
من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وإن علقته بقوله فليكتب
فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي إلا
من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به والإملال والإملاء لغتان قد نطق بهما القرآن
فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيّا بطرح الهمزة وشيّا بالتشديد سفيها محجورا
عليه لتبذيره وجهله بالتصرف أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للإملاء
بنفسه لعي به أو خرس فليملل وليه الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيها أو صبيا أو وكيل إن كان غير مستطيع
أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم
عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية
والبلوغ شرط مع الإسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان
البتي أنها جائزة وتجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فإن لم يكونا فإن لم يكن
الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة فيما عدا
الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم أن تضل إحداهما أن لا تهتدي إحداهما للشهادة بأن تنساها
من ضل الطريق إذا لم يهتد له وانتصابه على أنه مفعول له أي إرادة أن تضل فإن قلت كيف يكون ضلالها مرادا
لله قلت لما كان الضلال سببا للإذكار والإذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار فكأنه قيل
إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه
وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وقرأ حمزة إن
تضل إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ أن تُضَل إحداهما على
البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا يعني أنهما إذا اجتمعتا
كانتا بمنزلة الذكر إذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف
منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد ولا تسأموا كنى
بالسأم عن الكسل لأن الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز أن يراد من كثرت
مداينته فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين أو الحق
صغيرا أو كبيرا على أي حال كان الحق من صغر أو كبر ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو
مشبعا ولا تخلوا بكتابته إلى أجله إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم إشارة إلى أن تكتبوه لأنه
في معنى المصدر أي ذلكم الكتب أقسط أعدل من القسط وأقوم للشهادة وأعون على إقامة الشهادة وأدنى ألا ترتابوا

واحوت من اسما الرسل فان قلت مم بني أفعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط
واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرى ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء
فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد
بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا
بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي
الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم
امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد
واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن
ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل
والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار
والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان
او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب جعله او يحمل الشهيد مؤونة مجيئه من
بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا
مما نهيتم عنه على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس ولم تجدوا كتابا وقال ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد
الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ
فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا
يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة
ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على
سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا
في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب
والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به
فان امن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته
حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي الحق الذي
ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان
تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول الذيتمن وعن عاصم انه قرأ الذي اتمن بادغام الياء في التاء
قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم
الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم
قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم و

ما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما
كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت
التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة
التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف
مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه
ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول
التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من
آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله
فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به
الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة
بالاصرار ولا تدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما
اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر ذلك
لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ قلبه
بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على
جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم
الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس
بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة
الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان
التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه
واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان
والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين
اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين
ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس
وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه
اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما
فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله
لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا
غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله

بالسكون. الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر
عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان
الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرئ الا وسعها
بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ
بذنبها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال
فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك
مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال. لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطأنا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر
النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط
الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ
فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به
فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله
لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه. الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير
للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع
وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه
للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين. ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات
النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات
على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله
لا تحمل علينا اصرا. انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا. فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر
عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها. وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا
بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت. وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي
وعنه عليه السلام من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه
اللذان من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة فلا بأس بهما
عن قيام الليل. فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة قلت لا بأس به. وعن علي رضي الله عنه
خواتيم سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة ما ارى احدا يعقل
حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة. وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره
سورة البقرة من كنز تحت العرش. ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة
قام الذي انزلت عليه سورة البقرة. واذا قلت قرأت سورة البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسئل القرية. وعن بعضهم انه كره
ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي يذكر فيها البقرة
فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة

البطلة قال السحرة. سورة آل عمران وهي مائتا آية. بسم الله الرحمن الرحيم. الم حقها ان يوقف
عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة
القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت
حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت
تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا
زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم وداود واسحق ولو كان لالتقاء
الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم
يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا
قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انهم كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا
بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين
فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة. التوراة
والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين
وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل
عليك الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة. وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف
ورفع الكتاب. هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم. فان قلت ما
المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر
الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال
وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم
الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله. بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها. ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر
على مثله منتقم. لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم
عليه. كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة. وقرأ طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اذا جعلته
اثلة اي اصلا وتأثلته اذا تأثلته لنفسك. وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه
مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله. محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال
والاشتباه. متشابهات مشتبهات محتملات. هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها. ومثال
ذلك لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الى ربها ناظرة، لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها. فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما
قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو
فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على
الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة
والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض

في ظاهره واتمه طلب ما يوفق بينه وبين غيره على شيء واحد فيفكر ويراجع نفسه وغيره فيفتح الله عليه ويتبين مطابقة

المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه **الذين في قلوبهم زيغ** هم اهل البدع **فيتبعون ما تشابه منه**

فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق **ابتغاء الفتنة**

طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس **وابتغاء تاويله** وطلب ان يؤولوه التاويل الذي يشتهونه **وما يعلم تاويله**

الذي يجب ان يحمل عليه اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم

الا الله والراسخون في العلم ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في العلم

اي تثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ... الا الله ويبتدي بالراسخون وحجته وجوه الاول

وتفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه ومعرفة الحكمة ... كعدد الزبانية **يقولون امنا به** اي بالمتشابه

هو الوجه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون **امنا به**

كل من عند ربنا اي كل واحد منه من المحكم والمتشابه من عند الله الحكيم الذي

لا يناقض كلامه ولا يختلف كتابه **وما يذكر الا اولوا الالباب** مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن التامل

ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرا ابي ويقول الراسخون **ربنا لا تزغ**

قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ولا تمنعنا الطافك **بعد اذ هديتنا** بعد ان هديتنا **وهب لنا**

من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة ... **انك انت الوهاب** **ربنا انك جامع الناس ليوم** اي

لجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع **لا ريب فيه** ... **ان الله لا يخلف الميعاد**

معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ... والميعاد الموعد ... ولعل الله من قول الله

بسكون الياء وهذا من الجبن ... **من** في قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق

والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله **شيا** اي بدل رحمته او طاعته ... عن ... وما عندك ... ومعناه قوله تعالى

اولئك هم وقود النار حطبها والمراد بالذين كفروا من كفر من الجنس وقيل معنى اهل الوقود

وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ **وقود** بالضم بمعنى اهل وقودها

كداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء الكفرة كداب **ال فرعون** ... **والذين من قبلهم** ... من بعد الرسل كفرعون وقومهم

الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ... والتقدير ... اولئك ... كدابهم ... الاجرام

ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اوليك ... ما كان ... مثل ما كان بظلمهم ... بمجاورة

كما تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يفعل على انه حال ... سؤال المقدر عن

كذاب ابيه تريد كما جوزي ابوه **كذبوا باياتنا** تفسير لدابهم فيما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم **قل للذين كفروا** هم مشركو مكة **ستغلبون** يعني يوم بدر وقيل هم اليهود ...

يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود

احذروا ... ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت **ستغلبون** وقرا حمزة والكسائي بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على ان الخطاب ... بالياء

المعنى قل لهم في قراءة التاء ان الامر كما اخبرهم ما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون

وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يؤدى به اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به

من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون **قد كان لكم اية**

الخطاب لمشركي قريش **في فئتين التقتا** يوم بدر **يرونهم مثليهم** يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من

الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ... اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن

قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع بالتاء اي ترون يا مشركي قريش

المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم ... ولا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم

لانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في

حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله

وقفوهم انهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الاية وقيل يرى المسلمون

المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليهم امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين

بعدما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف

ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه

وقرئ ... على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ **فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة**

بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا **راي العين** يعني رؤية ظاهرة

مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات **والله يؤيد بنصره من يشاء** كما ايد اهل بدر **ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار**

زين للناس المزين هو الله سبحانه تعالى لقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ... وقرئ على البناء للفاعل ... **حب الشهوات** جعل الاعيان

التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات

لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب ... لتقرير

اولا في العوض ... ما هو الا شهوات لا غير ثم ... بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل

على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله **والقناطير** جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل ملء مسك

ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا **والمقنطرة** ماخوذة

من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة **والمسومة** المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة

او المرعية من اسام الدابة وسومها **والانعام** الازواج الثمانية **والحرث ذلك** المذكور **متاع الحياة** الدنيا **والله عنده حسن المآب**

قل اؤنبئكم بخير من ذلكم ... **للذين اتقوا عند ربهم جنات** كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كذا وكذا ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع **جنات** على هو جنات ويؤيده قراءة

من قراها بالجر على البدل من خير **والله بصير بالعباد** مثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا واحوالهم فلذلك اعد لهم

الحالات الذين يقولون نصب على المدح أو رفع، وتجوز الخفض صفة للمتقين وللعباد، والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على
كمالهم في كل واحدة منها، وقد مر الكلام في ذلك. وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة
بعده «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه». وعن الحسن: كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا
في الدعاء والاستغفار، هذا نهارهم وهذا ليلهم. «شهد الله» شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها
غيره، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما، بشهادة الشاهد في البيان والكشف،
وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه. «قائما بالقسط» مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال
ويثيب ويعاقب، وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم، وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه
كقوله «وهو الحق مصدقا». فإن قلت: لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوف عليه، ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا
لم يجز؟ قلت: إنما جاز هذا لعدم الإلباس، كما جاز في قوله «ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة» إن انتصب نافلة حالا عن يعقوب،
ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة، أو على المدح. فإن قلت: أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة
كقولك الحمد لله الحميد، إنا معشر الأنبياء لا نورث، إنا بني نهشل لا ندعي لأب؟ قلت: قد جاء نكرة كما جاء معرفة، وأنشد سيبويه
مما جاء منه نكرة قول الهذلي: ويأوي إلى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي. فإن قلت: هل يجوز أن يكون صفة
للمنفي كأنه قيل لا إله قائما بالقسط إلا هو؟ قلت: لا يبعد، فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف.
فإن قلت: قد جعلته حالا من فاعل شهد، فهل يصح أن ينتصب حالا عن هو في «لا إله إلا هو»؟ قلت: نعم، لأنها حال مؤكدة، والحال
المؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها، كقولك أنا عبد الله شجاعا، وكذلك لو قلت لا رجل
إلا عبد الله شجاعا، وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد، وكذلك انتصابه على المدح. فإن قلت: هل دخل قيامه بالقسط
في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية؟ قلت: نعم، إذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه
أو صفة للمنفي، كأنه قيل: «شهد الله أنه لا إله إلا هو وأنه قائم بالقسط». وقرأ عبد الله: القائم بالقسط، على أنه بدل
من هو أو خبر مبتدأ محذوف. وقرأ أبو حنيفة: قيما بالقسط. «العزيز الحكيم» صفتان مقررتان لما وصف به ذاته
من الوحدانية والعدل، يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر، الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله. فإن قلت: ما
المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله؟
قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة، وهم علماء العدل والتوحيد. وقرئ: «أنه» بالفتح. «إن الدين»
بالكسر على أن الفعل واقع على «إنه» بمعنى شهد الله على أنه، أو بأنه. وقوله «إن الدين عند الله الإسلام»
جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى. فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدته أن قوله لا إله
إلا هو توحيد، وقوله قائما بالقسط تعديل، فإذا أردفه قوله إن الدين عند الله الإسلام فقد آذن أن الإسلام هو
العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين. وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما
يؤدي إليه كإجازة الرؤية، أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام. وهذا
بين جلي كما ترى. وقرئا مفتوحين على أن الثاني بدل من الأول، كأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام،

والبدل هو المبدل منه في المعنى، فكان بيانا صريحا لأن دين الإسلام هو التوحيد والعدل. وقرئ الأول بالكسر والثاني
بالفتح على أن الفعل واقع على أن، وما بينهما اعتراض مؤكد، وهذا أيضا شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد،
فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك. وقرأ أبي: «إن الدين عند الله للإسلام»، وفي قراءة
مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية. وقرئ شهداء لله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله، وبالرفع على هم شهداء الله.
فإن قلت: فعلام عطف على هذه القراءة «والملائكة وأولو العلم»؟ قلت: على الضمير في شهداء، وجاز لوقوع الفاصل بينهما. فإن
قلت: لم كرر قوله لا إله إلا هو؟ قلت: ذكره أولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة،
ثم ذكره ثانيا بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا
الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قوله «العزيز الحكيم» لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل. «الذين أوتوا الكتاب» أهل
الكتاب من اليهود والنصارى، واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل. «إلا من بعد ما جاءهم العلم» أنه الحق الذي
لا محيد عنه، فثلثت النصارى، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن
أهل كتاب، وهذا تجوير لله. «بغيا بينهم» أي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهرهم بمذهب ومذهب
إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون أعقابهم، لا شبهة في الإسلام.
وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد حيث آمن به بعض وكفر به بعض. وقيل هو اختلافهم في الإيمان بالأنبياء، فمنهم من آمن بموسى ومنهم
من آمن بعيسى. وقيل هم اليهود، واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني إسرائيل وجعلهم
أمناء عليها واستخلف يوشع، فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعدما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا
على حظوظ الدنيا والرياسة. وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعدما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله.
«فإن حاجوك» فإن جادلوك في الدين «فقل أسلمت وجهي لله» أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها
لغيره شركا بأن أعبده وأدعوه إلها معه، يعني أن ديني دين التوحيد، وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم
صحته كما ثبتت عندي، فما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه، ونحوه «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا
نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا»، فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه، فما معنى
المحاجة فيه؟ «ومن اتبعن» عطف على التاء في أسلمت، وحسن للفاصل، ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه.
«وقل للذين أوتوا الكتاب» من اليهود والنصارى «والأميين» والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب «أأسلمتم» يعني أنه قد أتاكم من
البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة، فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم، وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة
ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا إلا سلكته: فهل فهمتها لا أم لك. ومنه قوله تعالى «فهل أنتم منتهون» بعدما ذكر
الصوارف عن الخمر والميسر. وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف، لأن المنصف إذا تجلت له
الحجة لم يتوقف إذعانه للحق، وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الإذعان، وكذلك في هل أنتم منتهون
توبيخ بالبلادة وكلة القريحة، وفي فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه.
«فإن أسلموا فقد اهتدوا» فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور «وإن تولوا» لم يضروك
فإنك رسول منبه، ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى. وقرأ الحسن «ويقتلون النبيين». وقرأ حمزة

ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب قتل أولوهم
الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبي عبيدة
بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى
عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار
في الدنيا والآخرة لأن لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فإن قلت لم دخلت الفاء في خبر إن قلت لتضمن
اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وإن لا تغير معنى الابتداء فكأن دخولها
كلا دخول ولو كان مكانها ليت أو لعل لامتنع إدخال الفاء لتغير معنى الابتداء أوتوا نصيبا من الكتاب يريد أحبار اليهود
وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن إما للتبعيض وإما للابتداء حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح
وهي نصيب عظيم يدعون إلى كتاب الله وهو التوراة ليحكم بينهم وذلك أن رسول الله دخل مدراسهم فدعاهم فقال
له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أي دين أنت فقال على ملة إبراهيم فقالا إن إبراهيم كان يهوديا فقال لهما إن بيننا وبينكم
التوراة فهلموا إليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا
أنه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب
وهم معرضون وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف
والتعادي بين من أسلم من أحبارهم ومن لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف فيه
ليحكم بين المحق والمبطل فتولوا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافا
فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج
من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم
كما غرت أولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف إذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام
لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه
عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم
الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار وهم لا يظلمون يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه في معنى كل الناس
كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسي اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم
كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك
مالك الملك أي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له
واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي أعطيته منه فالملك الأول عام شامل
والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك
فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك وروي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون

الجبل

خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله يخبره فأخذ المعول من سلمان
فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال
أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم
ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا
تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وإنما أنتم
تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت فإن قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لأن
الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك
ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة
بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب
دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على
أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم
أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم
فإنه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية والمحبة في الله والبغض في الله
باب عظيم وأصل من أصول الإيمان من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا
تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من
ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس
النوك عنك بعازب إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم
ضرب الأمير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن
بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم
الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا فيكون قوله
منهم تقاة أو نصبا على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار أو
غيرها مما لا يرضي الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط ولا يخفى
عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن
نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها
وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجترئ أحد على
قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع
على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ

في امره ونهيه كل ما يوقع فيه الاسترابة فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو رقيب
امن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة
حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز
ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي
والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان
تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه
حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان تعطف وما عملت على ما عملت ويكون
تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما
عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم ونحوه ينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله
ما بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه
والله رؤف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرافة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة
وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رافته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه
مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة العباد لله مجاز عن
ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم
مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم عن الحسن زعم اقوام على
عهد رسول الله انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب
الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف
ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة
مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني
قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملأوا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله
يحبون ويحبكم من حبه يحبه قال الحب ان تؤثر من تحب [illegible]
ثمره ما جنيته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا على معنى فان
تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم ال ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وال عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر
وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بدل من ال ابرهيم وال عمران بعضها من
بعض يعني ان الالين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن
سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في ال ابرهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم
من بعض في الدين او سميع عليم لقول امراة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر امراة عمران هي امراة عمران بن ماثان

ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امراة عمران على اثر قوله وال عمران
مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الاخر يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت
لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم
البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا
بن اذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة
وروي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد
وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه
فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا
اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل
وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت
ان ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطنها وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على
تأويل الحبلة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت
الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتأنيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم
فيما كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تأويل الحبلة او النسمة فهو ظاهر كأنه
قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قلت
قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا
ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان
يجعله وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت على خطاب
الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا
وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله
اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما
للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان
كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت
بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته
طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان
في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد * واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم
التخييل قول ابن الرومي *
اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها
فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود
لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها
عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة * روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها
عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم
زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول
حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى
استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه
قال القطامي * وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بان تتبعه اتباعا * ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي تأخذها
في اوائل امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع
احوالها وقرئ وكفلها زكريا [illegible] زكريا [illegible] ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه
وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها [illegible] اي واكفلها من قوله تعالى اكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها
ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها واجعل
زكريا كافلا لها قيل بنى زكريا عليها [illegible] المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس
ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان
لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل
عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك هذا
من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل
به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله
عليه انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال
هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها
انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة
نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو
فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من جملة كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز وعلا بغير حساب
بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد
عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت كقولك من هنا وهنالك وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله

رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت
اختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد
والجمع سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة قيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل
ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك
من بشره وابشره [illegible] بيحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى
وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به
وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب
منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان
يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء
حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل * وشارب
مربح بالكأس نادمني * لا بالحصور ولا فيها بسوار * فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل
بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا
من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم
وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر فاضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة
ولامرأته ثمان وتسعون كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين
الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل
ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك
لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة
مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن
تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا
يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كأنه لما طلب الآية
من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال
ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز
وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال
منه ومن الناس دفعة كقوله * متى ما تلقني فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطارا * بمعنى الا مترامزين
كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع
الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان
قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي
كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا

لسوء عيشي اصطفاك أولاً حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الأفعال ومما
قرفك به اليهود واصطفاك آخراً على نساء العالمين بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء أمرت
بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة وأركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك
مع المصلين أي في الجماعة أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل
أن يكون في زمانها من يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع
ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي فإن قلت
لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان
معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق إلا المشاهدة وهي في
غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما
كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم أقلامهم أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها
في النهر مقترعين وقيل هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها أيهم يكفل مريم
تنافسا في التكفل بها فإن قلت أيهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم كأنه قيل يلقونها
ينظرون أيهم يكفل أو ليعلموا أو يقولون المسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا
بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وكذلك عيسى معرب من أيشوع ومشتقهما من المسح
والعيس كالراقم في الماء فإن قلت إذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من وإذ قالت الملائكة ويجوز أن يبدل من إذ يختصمون
على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فإن قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم
قلت لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك
فضلت واصطفيت على نساء العالمين فإن قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لأن المسمى بها مذكر فإن قلت لم قيل اسمه
المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف
بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن
المقربين ويكلم ومن الصالحين أي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة
والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه
إلى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال
عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت
بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء ومن بدع التفاسير أن قولها
رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ونعلمه عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ ذكر
تطييبا لقلبها وإزاحة لما همها ويعلمه بالياء فإن قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله أني قد جئتكم ولما
بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان أحدهما أن تضمر له وأرسلت على إرادة القول تقديره ونعلمه
الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني أن الرسول والمصدق فيهما معنى

٤

النطق فكأنه قيل وناطقا بأني قد جئتكم وناطقا بأني أصدق ما بين يدي من التوراة ورسولا عطفا على كلمة أني قد
جئتكم أصله بأني قد جئتكم فحذف الجار وأسقط الفعل وأني أخلق نصب بدل من أني قد جئتكم أو جر بدل
من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم وقرئ إني بالكسر على الاستئناف أي أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه
الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ
عبد الله فأنفخها قال كالطير في بيت بيضا أو قيل لم يخلق غير الخفاش الأكمه الذي ولد أعمى وقيل هو
الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي أنه
ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته إلا بالدعاء
وحده وكرر بإذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي أنه أحيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا
سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولأحل رد على قوله
بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أيضا أي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم
الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الإبل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل أحل
لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في إحلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل
وهو ما بين يدي من التوراة أو الله عز وجل أو موسى صلى الله عليه وسلم لأن ذكر التوراة دل عليه ولأنه كان معلوما
عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله إن الله ربي وربكم لأن
جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض فإن قلت
كيف جعل هذا القول آية من ربه قلت لأن الله تعالى جعله له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في
أدلة العقل والاستدلال ويجوز أن يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم
من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله
وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعون فيما أدعوكم إليه ثم ابتدأ فقال إن الله ربي وربكم
ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لإيلاف قريش فليعبدوا ويجوز أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أن الله
ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما أحس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس إلى الله من صلة
أنصاري مضمنا معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني أو يتعلق بمحذوف حالا
من الياء أي من أنصاري ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه نحن أنصار الله أي أنصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته
وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا
إلا الكلاب النوابح وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأن
الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون
بالوحدانية وقيل مع أمة محمد لأنهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر
ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل
والله خير الماكرين أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب إذ قال الله ظرف لخير

الماكرين او لمكر الله ﴿اني متوفيك﴾ اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك
ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ﴿ورافعك الي﴾ الى سمائي ومقر ملائكتي ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول
من السماء ورافعك الان وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف
وتستيقظ وانت في السماء امن مقرب ﴿فوق الذين كفروا الى يوم القيمة﴾ يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف
ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى
﴿فاحكم بينكم﴾ تفسير الحكم قوله فاعذبهم ﴿فيوفيهم اجورهم﴾ وقرئ فنوفيهم بالنون ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره
وهو مبتدا خبره ﴿نتلوه﴾ ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات
الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه ﴿والذكر الحكيم﴾ القران وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة
حكمه ﴿ان مثل عيسى﴾ ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان ادم وقوله ﴿خلقه من تراب﴾ جملة مفسرة لما له شبه عيسى بادم اي خلق
ادم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد ادم بغير اب وام
قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه
شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود
من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء
انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال
فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى
لانه طبخ واحرق ثم قام سالما ﴿خلقه من تراب﴾ فقدره جسدا من طين ﴿ثم قال له كن﴾ اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا
اخر ﴿فيكون﴾ حكاية حال ماضية ﴿الحق من ربك﴾ خبر مبتدا محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن
﴿فلا تكن من الممترين﴾ الامترا وجل رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره
﴿فمن حاجك﴾ من النصارى ﴿فيه﴾ في عيسى ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ اي من البينات الموجبة للعلم ﴿تعالوا﴾ هلموا والمراد المجي بالراي والعزم
كما تقول تعال نفكر في المسئلة ﴿ندع ابناءنا وابناءكم﴾ اي يدع كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ﴿ثم نبتهل﴾
ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالضم والفتح اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من
رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعا يجتهد فيه
وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم
يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة
على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها
لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم

رأينا الا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا
قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي
اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي
نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل
الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به
وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى
يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم
من الهرب ويسمون الذادة عنها باروحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب
منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شي اقوى منه على فضل اصحاب الكسا عليهم السلم
وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ﴿ان هذا﴾
الذي قص عليك من نبا عيسى ﴿لهو القصص الحق﴾ قرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام نزلت منه منزلة بعضه
فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت
لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا
منه واصلها ان تدخل على المبتدا ومن في قوله ﴿وما من اله الا الله﴾ بمنزلة البنا على الفتح في لا اله الا الله في افادة
معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم ﴿فان الله عليم بالمفسدين﴾ وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴿يا اهل الكتاب﴾ قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة
﴿الى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ﴿الا نعبد الا الله﴾
﴿ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله﴾ يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد
منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما
كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي
اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرا الحسن سوا الكلمة بمعنى استوت
﴿فان تولوا﴾ عن التوحيد ﴿فقولوا اشهدوا بانا مسلمون﴾ اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم
كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض
ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم

كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين
ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم عليهما وهما حادثين لم يحدثا الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا
تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره حاججتم جملة مستانفة
للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم ... فيما لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابرهيم وقيل ها انتم ها اصله أانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة ها
والمعنى من الاستفهام التعجب من حماقتهم ... والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون
ثم اعلمهم بانه بريء من دينكم فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى
لاشراكهم به عزيرا والمسيح ... ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في
زمانه وبعده وهذا النبي ... والذين آمنوا ... وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي
اتبعوه واتبعوا هذا النبي ... ودت طائفة ... هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى
اليهودية وما يضلون الا انفسهم ... لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او
وما يعودون على الاضلال ... بايات الله ... بالتورية والانجيل وكفرهم بها ...
بما نطقت به من صحة نبوة ... وانتم تشهدون انها ايات الله او تنكرون ما في القران ...
وانتم تشهدون نعته في الكتابين ... لم تلبسون الحق بالباطل ...
بتحريف الباطل ... وتكتمون الحق وانتم تعلمون ... وجه النهار اوله
... والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار
واكفروا اخره لعلهم يرجعون ...
وقيل نزلت في اثني عشر من احبار يهود خيبر قال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا اخر
النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه
ذلك شك اصحابه في دينهم ... وقيل نزلت في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بما انزل
عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في اخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم
اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا ... متعلق بقوله ان يؤتى ... اخره وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم
بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل
ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير
اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ...
ان الهدى هدى الله من يشاء ان يلطف حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام ... قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
... يصدكم عن المسلمين والمشركين ... قوله
... على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم ... قوله ان يؤتى
... بما بعد ... لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع ... ولان اسلامهم

معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء اخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أان يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقريع والتوبيخ
بمعنى الان يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل
ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم ...
وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما
يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ...
دل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله ...
لان قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ... ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار
عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك
فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامونون ...
والخائنون اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك على ...
راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة ...
والوصل ويكسرها بعد وصل وسكونها ...
اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق
علينا عتاب وذم في شان الاميين يعني الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم
ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا
من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة
والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل
انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في
كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله
من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من او الى الله
ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه
لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء
بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول الله مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه
في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه
فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير

الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وفي الراهب
وبطرا ايهام من سلمه اهل الكتاب **يشترون** يستبدلون **بعهد الله** بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم
وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه **ثمنا قليلا** متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل
نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على
ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول
الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى
نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح
ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو
عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان يحمل على
الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله **ولا ينظر اليهم** مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم
تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه **ولا يزكيهم** ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله
فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره
نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا
لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر **لفريقا** هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب
وغيرهم **يلوون السنتهم بالكتاب** يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله
لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها
على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في **لتحسبوه** قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف
ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى
يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب **ويقولون هو من عند الله** تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم
وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله على
ذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على
كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب
الذي عندهم **ما كان لبشر** تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول
الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي
ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله **والحكم** والحكمة وهي السنة
ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني
وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة

صاحب الربع

وقيل الربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم **بما كنتم** تعلمون
اي بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم
والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل
فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ **تعلمون** من التعليم وتعلمون من التعلم
وتدرسون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون
من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس على مكث
معا وفيه ان من درس وعلم العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه
منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرئ **ولا يأمركم** بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه
وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه
للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا اتريد ان نتخذك
ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع
على ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وايأمركم للبشر وقيل لله والهمزة
في **ايأمركم** للانكار **بعد اذ انتم مسلمون** دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له
ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى
النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل
الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان
النبيون وتدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في **لما آتيتكم** لام التوطئة
لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي **لتؤمنن** لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط
و لتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيتكم
وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام
داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول **ولتنصرنه** لاجل اني آتيتكم الحكمة وان
الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة فان قلت كيف
يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم
رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له

وقرأ سعيد بن جبير لمّا بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله
لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصار
لمّا ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى **اصري** عهدي وقرئ اُصري بالضم وسمي اصرا لانه
مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار
فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار **وانا** على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم **من الشاهدين** وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع
اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة **فمن تولى بعد ذلك** الميثاق والتوكيد **فاولئك هم**
الفاسقون اي المتمردون من الكفار **أفغير** دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون
فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول
الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان
اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين
ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت
وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعين جميع الناس وقرئا بالياء
وبالتاء معا **طوعا** بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه **وكرها** بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل
على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها
على الحال بمعنى طائعين ومكرهين **قل آمنا** امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد
الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما تتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت
لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي
ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل وإلينا لقوله
قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف
الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا **ونحن له مسلمون** مخلصون موحدون
انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها **ومن يبتغ غير الاسلام** يعني التوحيد واسلام الوجه لله **دينا فلن يقبل**
منه وهو في الآخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام
كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد
ايمانهم وبعدما شهدوا ان الرسول حق وبعدما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم
اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل
نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن
سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على ما في ايمانهم من
معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق **والله لا يهدي** لا يلطف بالقوم الظالمين

المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم **الا الذين تابوا من بعد ذلك** الكفر العظيم والارتداد **واصلحوا** ما افسدوا او دخلوا
في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه
الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب فقبل رسول الله توبته **ان الذين كفروا** هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه
ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم
عن الايمان به وتحريهم بكل آية نزلت وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر انهم قالوا نتربص
بمحمد ريب المنون وان ارادوا الرجعة نافقوا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه
مقبول التوبة اذا تاب فما معنى **لن تقبل توبتهم** قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار
هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا
تقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل توبتهم بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام
مبني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه
على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين
كان معنى لن تقبل توبتهم معنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر
لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع
الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فأي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول
التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين
من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة **ذهبا**
نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فان قلت كيف موقع قوله **ولو**
افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كأنه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد
ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك
ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا
مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يزاد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد
الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا
لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء ومل الارض بتخفيف
الهمزة **لن تنالوا البر** لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه **حتى تنفقوا مما تحبون**
حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله
اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث
اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل
يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد

فكان برا او جد نفسه وقال ابو طلحة ان اردت ان اتصدق به فقال رسول الله اما ان الله على قد جعلها مسكنا وكتب عمر رضي الله عنه
الى ابي موسى الاشعري ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتح مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني
قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرا عبد الله
حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ويحتمل التبيين ومن في من المال ومن في **من شيء** لبيان ما تنفقوا
اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه **فان الله به عليم** فيجازيكم بحسبه **كل الطعام**
كل المطعومات او كل انواع الطعام **والحل** مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال
حرث عن ابن عباس رضي الله عنهما كست اطيبة الجلد وحرمه ولذلك يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال
الله تعالى لا هن حل لهم والذي **حرم اسرائيل على نفسه** وهو يعقوب عليه السلام لحوم الابل والبانها وقيل العروق وكان به عرق
النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء باجتنابه
ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة
وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على
نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن
البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق
به القران من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة
على نوح وعلى ابراهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم
تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربا واخذهم اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم
التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم **قل فاتوا بالتوراة** فاتلوها ان كنتم صادقين امر
بمحاجتهم وتبكيتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما ادعوه
فروي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه **فمن افترى على الله الكذب** بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة
من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة **فاولئك هم الظالمون** المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات
قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن امن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم
ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابراهيم ولمن تبعه
معه **ان اول بيت وضع للناس** صفة بيت والواضع هو الله تعالى ويدل عليه قراءة من قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وعن رسول الله
الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله

صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة
وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه
الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش
وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه
قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته وقيل هو اول بيت بناه ادم في الارض وقيل لما
اهبط ادم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل ادم بيت يقال
له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السماء **للذي ببكة** للبيت الذي ببكة وهي
علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط واسم موضع ما كذهنا قال ذو الرمة
واضحى يوعيها النميط كانها ذرى الاثل من وادي القرى ونخيلها ونحوه من الاعقاب امر راتب ودائم
وحمى محيط ومعطه وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه
لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا
بمكة كانما سميت بكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكة فخله حتى يبك بكة وقيل يبك اعناق
الجبابرة اي يدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله **مباركا** كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف
حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه
المقدر في الظرف من فعل الاستقرار **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم **مقام ابراهيم** عطف بيان لقوله ايات
بينات وانما صح بيان الجماعة بالواحد لانه وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه
وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة
والثاني اشتماله على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة
دون بعض اية وابقاؤه دون سائر ايات الانبياء عليهم السلام اية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من
المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة اية ويجوز ان يراد فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله
لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان يذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات
كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير
كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلاة وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية فيه اية بينة على التوحيد وفيه
دليل على ان مقام ابراهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان
للايات وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى
لان قوله **ومن دخله كان امنا** دل على امن داخله فكانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم وامن داخله الا ترى انك
لو قلت فيه اية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه اية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب
هذا الاثر قلت لانه ولان اهله سماه لما ارتفع بناء الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه

وقيل إنه حاز إبراهيم من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسمعيل انزل حتى نغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على
شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه
ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام
رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت
فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند أبي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنا فالتجأ
إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس وروي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء وعن
ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد
يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك إذا قدر أن يؤجر
نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال إن كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق إليه ولو حبوا
فكذلك يجب عليه الحج والضمير في إليه للبيت أو للحج وكل مأتى إلى الشيء فهو سبيله وفي هذا الكلام أنواع من
التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه
والخروج عن عهدته ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد
أحدهما أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد
له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا
فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين
وإن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله
الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه
وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فإنهم قالوا الحج إلى مكة غير واجب وروي أنه لما نزل قوله ولله على
الناس حج البيت جمع رسول الله أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به
ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن
النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل أن لا
تحجوا حجوا قبل أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها

دابة إلا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال
والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال أن الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها [illegible]
لا تجترءوا على الكفر بآياته ومن الحسن تصدون عن سبيل الله عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو
الإسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل أتت اليهود الأوس
والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا
وميلا عن القصد والاستقامة فإن قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى
توهموهم أن فيها عوجا بقولكم إن شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني أنكم
تتعبون أنفسكم في إخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم وأنتم شهداء أنها
سبيل الله التي لا يصد عنها إلا ضال مضل أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في
عظائم أمورهم وهم الأحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال مر شاس بن قيس اليهودي وكان
عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون
فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار
فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار وكان يوما اقتتلت فيه الأوس
والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم
بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد
من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم أقبح
أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجيب والمعنى من أين يتطرق إليكم
الكفر والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين أظهركم رسول الله
ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء إليه في دفع
شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول إذا جئت فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل
فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لأن المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق
تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد
بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر
فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل
لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى
حال الإسلام إذا أدرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني إلا وأنت على حصان فلا تنهاه عن الإتيان
ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان واعتصموا بحبل الله يجوز أن يكون تمثيلا
لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة

لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به
ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط
مستقيم **ولا تفرقوا** ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في
الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة
التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات
والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وتصافوا وصاروا اخوانا متراحمين
متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا
اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام والف بينهم
برسول الله **وكنتم على شفا حفرة من النار** وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر **فانقذكم منها**
بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت
صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي
المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو
ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على
الوقوع فيها **كذلك** مثل ذلك البيان البليغ **يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ارادة ان تزدادوا هدى **ولتكن منكم امة**
من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم
كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في
مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده
انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من
للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون **واولئك هم المفلحون** هم الاخصاء
بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة
رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه
مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب
كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان
رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم
الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه

وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان
نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد
تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار
قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا
فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه
الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة
ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين
وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب
المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا
يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا
اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر
فان قلت فما معنى قوله **يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف** قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى **كالذين تفرقوا واختلفوا**
وهم اليهود والنصارى **من بعد ما جاءهم البينات** الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو
هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم **يوم تبيض وجوه** نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ
تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق
وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة
الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله
وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله **اكفرتم** فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل
الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين وتسود وجوه
بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما
رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين
قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اتقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول الله فقال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما
شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بأرض انت بها منهم كثيرا
وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما وجب الاقرار به حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله
قلت موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون **تلك آيات الله**
الواردة في الوعد والوعيد **نتلوها عليك** ملتبسة **بالحق** والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه **وما الله**
يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال **للعالمين** على معنى ما يريد

سامن الظلم لأحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يعصيه بما أراده الصالح والرضا بها * كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماضٍ على
سبيل الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله وكان الله غفوراً رحيماً ومنه قوله كنتم خير أمة
أخرجت كأنه قال وجدتم خير أمة وقيل كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به
أخرجت أظهرت وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما
يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو
بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً والدليل عليه قوله ولو آمن أهل الكتاب مع إيمانهم بالله لكان خيراً لهم
لكان الإيمان خيراً لهم مما هم عليه لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان
لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوه على الإيمان
من إيتاء الأجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم إلا
أذى إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين
ولا يضروكم بقتل أو أسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا
يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به
مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل فإن قلت هلا جزم المعطوف في قوله
ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت فأي فرق
بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي
النصر وعداً مطلقاً كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتفٍ
عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني
قينقاع ويهود خيبر فإن قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم أنهم
إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لأن الإخبار
بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار فإن قلت ما موقع الجملتين أعني منهم المؤمنون ولن
يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر
فلان فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير إلا معتصمين
أو متمسكين أو متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة
الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط إلا هذه
الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة
كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك
إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء
ثم قال ذلك بما عصوا أي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق

سخط الله وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم أغرقوا وأخذهم الربا وقد نهوا
عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لأهل الكتاب أي ليس أهل الكتاب مستوين وقوله من أهل
الكتاب أمة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بياناً لقوله كنتم خير أمة
أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة
القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل عنى صلاة العشاء لأن
أهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون
الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون
في محل الرفع صفات لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل
ساجدين ومن الإيمان بالله لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيراً وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن
الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة
في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في
الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا من جملة الصالحين الذين
صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين فلن يكفروه لما جاء وصف
الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فإن قلت لم عدي
إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل
فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا فلن يكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين
بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن
أتاويين تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات كما قالت ليلى الأخيلية ولم يغلب الخصم الألد ويملأ الجفان
سديفاً يوم نكباء صرصر فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح
بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر
مصدراً في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
ومن قولك إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون
من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي
حسه البرد فذهب حطاماً وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم وقيل ما أنفقوا في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك
عقوبة لهم على معاصيهم لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بالحرث
الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلاً بالريح قلت هو
من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد ناراً ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك
ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله

ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز ان يتعلق بلا تتخذوا وان يكون وصفا لبطانة اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال الا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لانه لا يكون الا عن قلة صبر ... قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث تبذلون محبتكم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحارث بن ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون من غيظ رؤوس الاباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول ومعناه اخبرهم بما يسرونه ... فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه ... وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله اياه ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع

والسيئة ما كان بضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم فقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس

وكما لا يخلو الشجاع عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الإطنابة: أقول لها إذا جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي. حتى قال معاوية: عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني إلا قول عمرو بن الإطنابة. ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية. والله وليهما: ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله. فإن قلت: فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية: والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا؟ قلت: معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية، وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها. والفشل: الجبن والخور. وقرأ عبد الله: والله وليهم، كقوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا. أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه. ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة. والأذلة: جمع قليل، والذلان جمع الكثرة، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا. وذلتهم: ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد. وقلتهم: أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة. وبدر: اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به. فاتقوا الله في الثبات معه لعلكم تشكرون بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته، أو لعلكم ينعم عليكم نعمة أخرى تشكرونها، فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له. إذ تقول: ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر، أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد. فإن قلت: كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة؟ قلت: قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم، فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله، فلذلك لم تنزل الملائكة، ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت، وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله. ومعنى ألن يكفيكم: إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر. وبلى: إيجاب لما بعد لن، يعني بلى يكفيكم الإمداد بهم، فأوجب الكفاية. ثم قال: إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك: قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى، وجاء فلان ورجع من فوره. ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله: الأمر على الفور لا على التراخي. وهو مصدر من: فارت القدر إذا غلت، فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها، فقيل: خرج من فوره، كما تقول: خرج من ساعته لم يلبث. والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم، يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم. وقرئ: منزلين بالتشديد، ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر. ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم. قال الكلبي: معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم. وعن الضحاك: معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها. وعن مجاهد: مجزوزة أذناب خيلهم. وعن قتادة: كانوا على خيل بلق. وعن عروة بن الزبير: كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء، فنزلت الملائكة كذلك. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه: تسوموا فإن الملائكة قد تسومت.

وما جعله الله: الهاء لأن يمددكم، أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون. ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم. وما النصر إلا من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا، ولا من عند الملائكة والسكينة، ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين. العزيز الذي لا يغالب في حكمه. الحكيم الذي يعطي النصرة ويمنعها لما يرى من المصلحة. ليقطع طرفا من الذين كفروا: ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم. أو يكبتهم: أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة. فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم. ونحوه: ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا. ويقال: كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة. وقيل في قول أبي الطيب: لأكبت حاسدا وأرى عدوا ... هو من الكبد والرئة. واللام متعلقة بقوله: ولقد نصركم الله، أو بقوله: وما النصر إلا من عند الله. ليس لك من الأمر شيء: اعتراض. والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر، وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم. وقيل: إن يتوب منصوب بإضمار أن، وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء، أي ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم، أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم. وقيل: أو بمعنى إلا أن، كقولك: لألزمنك أو تعطيني حقي، على معنى: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم، أو يعذبهم فتتشفى منهم. وقيل: شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته، فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم، وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فنزلت. وقيل: أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يؤمن. وعن الحسن: يغفر لمن يشاء بالتوبة، ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين، ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب. وعن عطاء: يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظالما، وإتباعه قوله: أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء، وأنهم المتوب عليهم أو الظالمون، ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء، ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم: يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير. لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة: نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه، كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون. واتقوا النار التي أعدت للكافرين: كان أبو حنيفة رحمه الله يقول: هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه، وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله. ومن تأمل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله. وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وإن قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه. وفي مصاحف أهل المدينة والشام: سارعوا بغير واو، وقرأ الباقون بالواو، وفي مصحف أبي وعبد الله: وسابقوا. ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما يستحقان به. عرضها السماوات والأرض: أي عرضها عرض السماوات والأرض، كقوله: عرضها كعرض السماء والأرض، والمراد وصفها بالسعة والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه، وخص العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة، كقوله: بطائنها من إستبرق. وعن ابن عباس رضي الله

عدد تسع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر
لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالين ما قدروا عليه من كثير او قليل كما حكي عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن
عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح
وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او حبس فانه لا يدع الاحسان
وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال
للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر
ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله
در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه وروي ينادي
مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على
رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله
يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هولاء المذكورون وان تكون للعهد فتكون اشارة الى
هولاء والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدا
خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به
وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله
الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما فاستغفروا لذنوبهم
تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه وان التائب عنده
فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة لان العبد اذا جاء
الذنب كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث
في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده
معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير
مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون
على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الايات
بيان قاطع ان الذين امنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين
ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ونعم اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف
بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي
ان الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر
بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور

بقاع تجري وحياله وعن الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها
باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد ما
سن الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا
سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب
المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين
فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان
وما يستحقون به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما
اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم او جرح وانتم الاعلون وحالكم انكم
اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء
كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة
اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم
على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين
بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح
الجراح وبالضم المها وقرا ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم
يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا
تضعفوا ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل
ان خالفوا امر رسول الله فان قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بلى
كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا
فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدا والايام صفته ونداولها
خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر
والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهولاء وتارة لهولاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما
لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال
اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابو بكر
وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة
وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاودة يقال داولت الماء
بين القدور والاناء بين الناس من ... وسماع تعالى اذا داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان
احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل

معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشيا
قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزا وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة وهذا
عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم
عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصايب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه
ويتخذ منكم شهدا وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم
يوم القيمة بما يبتلى به صبركم من الشدايد من قوله لتكونوا شهدا على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض
التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هولا الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله وليمحص من الذنوب
والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المومنين فللتمييز والاستشهاد
والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو اثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
للانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفايه
يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما
مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرى ولما يعلم الله بفتح
الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل
السمك وتشرب اللبن وقرا الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه
قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا
مع رسول الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهدا بدر وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين
وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته
فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم
ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم
عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر على المسلم قلت قصد متمني الشهادة
الى نيل كرامة الشهدا لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب دوا الطبيب النصراني قاصدا الى حصول
المامول من الشفا ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله
بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى موته وقيل له ردكم الله لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات
فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشا والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على
جدثي ارشده الله من غاز وقد رشدا لما رمى عبد الله بن قميه الحارثي رسول الله يوم احد بحجر فكسر
رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد
حتى قتله ابن قميه وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل
الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفوا وجعل رسول الله يدعو الي عباد الله حتى
انحازت اليه طايفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك باابائنا وامهاتنا اتانا خبر
قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين ...

ناديتهم انما انا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس
بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا
على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هولا وابرا اليك مما جاء به هولا ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن
بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا
على دينكم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد
خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه
افان مات الفا معلقة للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله
سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقا دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا
للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند
المخاطبين فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلما منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم
سمعوا خبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واذلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله
يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون
على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله واسلامه فلن يضر الله شيا فما ضر الا
نفسه لان الله لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم
شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا
ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من
الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقا العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت
قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه
واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاة وتاخير الاجل كتابا مصدر موكد لان المعنى كتب الموت كتابا
موجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنايم يوم احد نوته منها
اي من ثوابها وسنجزي الجزا المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد وقرى يوته وسيجزي باليا فيهما
وقرى قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كاينا معه ربيون
والقراة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرى بالحركات
الثلث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرى فما وهنوا بكسر الها والمعنى فما وهنوا
عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من
الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا ان قالوا وهو
اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعا بالاستغفار منها مقدما
على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكا وطهارة وخضوع اقرب الى

الاستكانة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله

وتقدمه فانه هو المعتد به عنده يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت

في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى

وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه

واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان

واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم

في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون

الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين

وضمها قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير شيء ولهم القوة والغلبة وقيل

ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم

فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب

في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله

فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما

المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر

بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين

من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره

واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم

فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على

آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلوا فالفشل الجبن وضعف الرأي او مالوا الى

بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن

جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة

الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح

وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم

على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين

يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء

رحمة فان قلت بم تعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى

صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم

الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون

يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في

السلم وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي

عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال

جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فأثابكم عطف على صرفكم

اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم

وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا

لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار

ويجوز ان يكون الضمير في فأثابكم اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه

ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما

فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو انزل الله الامن

على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا

فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن ابن الزبير

كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب

بن قشير والنعاس يغشاني لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كأنها

المرة من الامن نعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا

رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار

وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم

المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما

حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباكي غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله

غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به ظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية

وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود

ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن

الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله يسألونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين

من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر

والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما

يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض

منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله

ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم

الله حسبنا أنه يفعل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم
الذين علم الله أنهم يقتلون إلى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل
من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله وأن ما
ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة
وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد وكان علينا أن نقيم ولا
نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبي وغيره ولو ملكنا من الأمر شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل إن الأمر كله لله ولأوليائه
الله عز وعلا قد دبر الأمر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة [illegible] من بيوتكم لما جاء من العدل [illegible]
القتال وكتب عليهم القتل على أنه [illegible] وليبتلي الله وليمتحن ما في صدوركم من
الإخلاص ويمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فإن قلت كيف
مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد أهمتهم صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم
ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فإن قلت كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن
الأمر بدلا من الإخبار بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز إبداله منه ويخفون حال من يقولون
وقل إن الأمر كله لله اعتراض من العامل [illegible] يخفون والأحوال أن يكون أسبابا ما استزلهم طلب
الزلل ودعاهم إليه ببعض ما كسبوا من [illegible] الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا
أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان إياهم
هو التولي وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون
لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول
الله بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى
يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية فإن قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله ويعفو عن كثير ولقد عفا الله
عنهم لتوبتهم واعتذارهم إن الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لإخوانهم أي لأجل إخوانهم كقوله وقال
الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى الأخوة اتفاق الجنس أو النسب إذا ضربوا في الأرض إذا سافروا
فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى وفي قوله عفى الخالص أخوى وقرئ بتخفيف الزاي
على حذف التاء من غزاة فإن قلت كيف قيل إذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في
الأرض فإن قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على أن اللام
مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في
قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فإن قلت ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى قلت معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم
ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده [illegible] ويجوز أن يكون
والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء [illegible]
ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم [illegible]

يقولون ويعتقدون ومصابهم بما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو
طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء والله بما تعملون بصير [illegible]
لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين أولا
في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال
لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في
سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالياء
لإلى الله تحشرون لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا
الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت
ومات يمات ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى
الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بعد ما خالفوه وعصوا
أمره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد
منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الأمر يعني في أمر
الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن
الحسن قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم
قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله وقيل كان سادات العرب
إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ
وشاورهم في بعض الأمر فإذا عزمت فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك على
الأرشد الأصلح فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاور وقرئ فإذا عزمت بضم التاء بمعنى فإذا
عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا
غالب لكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل
عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه أو هو من قولك ليس
لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وإن يخذلكم من أخذله إذا جعله مخذولا وفيه ترغيب
في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستحقون به العقوبة بالخذلان وعلى الله
وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه يقال
غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية ويقال أغل الجازر إذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد
والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا
العمال غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا إغلال ولا إسلال ويقال أغله إذا وجده غالا
كقولك أبخلته وأحمدته ومعنى وما كان لنبي أن يغل وما صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء

طلاع الشيء ملؤه

للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان
احدهما ان يبرا رسول الله من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا
يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم
احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم
يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا
وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله على ما روي انه بعث طلائع
فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية
وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز **ياتي بما غل**
يوم القيمة ياتي بالشي الذي غله بعينه يحمله على عنقه كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن
احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا قد
بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة
المحمل ويجوز ان يراد ياتي بما احتمل من وباله واثمه فان قلت هلا قيل ثم **يوفى ما كسبت** ليتصل به
قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم ان
كل كاسب خيرا او شرا مجزي فموفى جزاءه علم ان الغال مع عظم ما اكتسب **وهم لا يظلمون** اي يعدل
بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه **هم درجات** اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله
تعني بهم ... ام هم درج السيول ... والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين
او التفاوت بين الثواب والعقاب **والله بصير بما يعملون** عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها **لقد من**
الله على المؤمنين على من امن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه **من انفسهم** من جنسهم
عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان
منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان
ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل
ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة
قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم
ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا
محمد بن عبد الله من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل وقرئ
لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف
لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى

على المؤمنين وقت بعثه **يتلوا عليهم اياته** بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي **ويزكيهم**
ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل وياخذ منهم الزكاة
ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم **وان كانوا من قبل**
بعث الرسول **لفي ضلال مبين** ان هي المخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان
والحديث كانوا من قبل في ضلال **مبين** ظاهر لا شبهة فيه **اولما اصابتكم مصيبة** يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم
قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين **ولما** نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه
وتقديره اقلتم حين اصابتكم **انى هذا** نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه
الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه
قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله
والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم
الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم **ان الله على كل شيء قدير** فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة
ويصيب منكم اخرى **وما اصابكم** يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار
الاذن لتخلية الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده **وليعلم** وهو كائن ليتميز
المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل
فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا **لو نعلم** ويجوز
ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدا قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون
وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا
لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له تعال فذلك قوله **او ادفعوا** العدو
بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي
وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب
بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثروا سوادهم ووجه اخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم **قتالا** لو نعلم ما يصح
ان يسمى قتالا **لاتبعناكم** يعنون ان ما انتم فيه لخطا رايكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو
القاء بالنفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج **هم للكفر يومئذ اقرب**
منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا
عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل
الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المؤمنين بالانخزال تقوية للمشركين **يقولون بافواههم** لا يتجاوز
ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم
موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لافواههم **والله اعلم بما يكتمون**
من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم

يعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه
ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون
مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين
المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا
اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا
يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا ان تدفعوا سائر
اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان
قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة
من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل
سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون
السبب غيره ووجه اخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا
قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب
الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء على
ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا
امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل
مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن وقرئ قتلوا
بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك
يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها
من التنعم برزق الله فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة
والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب
اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل
من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا
بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم
ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين
وهو انهم يبعثون امنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم
بمن خلفهم بعث للباقين على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة
فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب

يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم
على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل
وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع
الذين استجابوا مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه
لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم
ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر
يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال
وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا
فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة
ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا
سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما
كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع
فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام
جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك
جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا
بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم
والله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير
من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي
احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات
الله عليه حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا
ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا
انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والاخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل
الناس ان الناس والمراد به نعيم وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود
وماله الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون
جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام رجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي
هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا
كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله
ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك

ثبت يقينهم وازدادوا لا عداءهم كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى وجه العدو طاعة
عظيمة والطاعات من جملة الإيمان لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد
وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر أنه كان يأخذ بيد الرجل
فيقول قم بنا نزدد إيمانا وعنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله أي كافينا يقال
أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته
لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله
وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم
سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل
عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء
وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى إنما ذلكم
المثبط هو الشيطان ويخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لتثبيطه أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر
والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن تكون إشارة إلى قول الشيطان والمعنى إنما ذلكم قول الشيطان أي قول إبليس
لعنه الله يخوف أولياءه يخوفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقوله
فلا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قلت فإلام رجع الضمير في فلا تخافوهم على
هذا التفسير قلت إلى الناس في قوله إن الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا
مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به إن كنتم مؤمنين يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا
يخشون أحدا إلا الله يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين
وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام فإن قلت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد
من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى إلى قوله إنهم لن يضروا الله شيئا يعني أنهم لا
يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ألا يجعل
لهم حظا في الآخرة أي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه
فإن قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة قلت فائدته الإشعار بأن الداعي
إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان
وبلوغهم الغاية فيه حتى إن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان إما أن يكون تكريرا
لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم وإما أن يكون عاما للكفار والأول أظهر وإما خاصا فيمن نافق من المتخلفين
أو ارتد عن الإسلام أو على العكس وشيئا نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ولا يحسبن الذين كفروا
فيمن قرأ بالتاء نصب والذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل منه أي ولا تحسبن أن ما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه
ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن إملاءنا خير وكان
حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الإمام

في خط المصاحف فإن قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على
مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث إن التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى ألا تراك تقول جعلت متاعك
بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز أن يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب أن
الإملاء خير لأنفسهم أو ولا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق
بأن وما في حيزه والإملاء لهم تخليتهم وشأنهم مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو
إمهالهم وإطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم إنما نملي لهم ما هذه حقها
أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الإملاء
خيرا لهم فقيل إنما نملي لهم ليزدادوا إثما فإن قلت كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضا لله تعالى في إملائه لهم قلت
هو علة للإملاء وما كل علة بغرض ألا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة
الشر وليس شيء منها بغرض لك وإنما هي علل وأسباب فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإمهال وسببا فيه فإن
قلت كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل
شيء أنهم مزدادون إثما فكأن الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح
الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما هو ليتوبوا
ويدخلوا في الإيمان وقوله إنما نملي لهم خير لأنفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه أن إملاءنا خير لأنفسهم إن
عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فإن قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين
على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا إثما
معدا لهم عذاب مهين اللام لتأكيد النفي على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن المخلص والمنافق حتى يميز الخبيث من الطيب
حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من أماز بمعنى ميز فإن قلت لمن الخطاب في أنتم قلت
للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط
بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إليه وإخباره
بأحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي وما كان الله ليؤتي أحدا منكم علم الغيب فلا تتوهموا عند إخبار
الرسول بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ولكن الله
يجتبي من رسله من يشاء فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الإخلاص فيعلم
ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز
الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم
كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم
حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فإن
ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع أحدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من
سقيمها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بأن تقدروه

حتى يدره ويعلمه وحده مطلعا على الغيوب وان يبلوهم منا لهم بان يعلموهم عبادا مخلصين لا يعلمون الا ما علمهم الله
ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد
صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت **ولا يحسبن** من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين
يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون
كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ له حذفه دلالة
يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو **سيطوقون** تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به
الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة
حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه
وسلم في مانع الزكاة يطوق بشجاع اقرع ويروى بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار **ولله ميراث
السموات والارض** اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله
ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ **بما تعملون** بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ
في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو
اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم
ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب **سنكتب ما قالوا** في صحائف الحفظة
او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما تثبت المكتوب فان قلت كيف قال **لقد سمع الله** ثم قال سنكتب وهلا قيل
ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن نفوتنا ابدا اثباته
وتدوينه كما لن يفوتنا سماعه **وقتلهم الانبياء** وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس
باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على
مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى
الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا
القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله
وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة **ونقول ذوقوا** وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا **عذاب الحريق**
كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احسس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ
حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود
ويقال ذوقوا **ذلك** اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع
بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله **وان الله ليس بظلام للعبيد** على ما قدمت ايديكم وكيف
جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق العذاب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد
انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن **عهد الينا** امرنا في التوراة واوصانا بان لا
نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان انبياء بني اسرائيل كذلك

انهم كان يقربون القربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار
القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعين الله تعالى
من بين الآيات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤوهم ايضا بهذه الآية
التي اقترحوها **فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين** ان الايمان يلزمكم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان
فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي اقترحتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله لم
تقولون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا وفي مصاحف اهل الشام **وبالزبر** وهي الصحف **والكتاب المنير** التوراة والانجيل والزبور
وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرأ اليزيدي **ذائقة الموت** على الاصل وقرأ الاعمش
ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله **وانما توفون اجوركم**
قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم
وانما توفونها يوم قيامكم من القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من
حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون
قبل ذلك فبعض الاجور **فمن زحزح** الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة **فقد فاز** فقد حصل له الفوز
المطلق المتناول لكل ما يفارقه ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله
والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح
عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا
شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى
يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على
الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه
الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه **والبلاء** في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها
من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون
من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف
من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير **فان ذلك** فان الصبر والتقوى
من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب عليه العزم من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان
ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا **واذ اخذ الله** واذكر وقت اخذ الله **ميثاق** اهل
الكتاب **لتبيننه** الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم
عليه وقيل له آلله لتفعلن **فنبذوه وراء ظهورهم** فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه
والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا
على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم

واستجلاب لمسارّهم أو لجرّ منفعة وحطام دنيا أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب إليه غيرهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب إني أرى الله سوف يعذبك
بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء أن
يسكت على علمه ولا يحل لجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا
حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لأنهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا إلى بني
إسرائيل في الكتاب لتفسدن **لا تحسبن** خطاب لرسول الله وأحد المفعولين **الذين يفرحون** والثاني **بمفازة** وقوله فلا تحسبنهم
تأكيد تقديره لا تحسبنهم ولا تحسبنهم وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم
بالياء وفتح الباء فيهما على أن الفعل للرسول وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني على أن الفعل للذين يفرحون
والمفعول الأول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا
يحسبنهم تأكيد ومعنى **بما أتوا** بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى إنه كان وعده مأتيا لقد جئت
فريا ويدل عليه قراءة أبي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن علي رضي الله عنه بما أوتوا ومعنى **بمفازة من**
العذاب بمنجاة منه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه
أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود
الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب
ومعنى يفرحون بما أوتوا بما أوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون أن يحمدوا بما لم
يفعلوا من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول
الله فلما قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا إليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا
من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة
لإبطانهم الكفر ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا
عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه **ولله ملك السموات والأرض** فهو يملك أمرهم **وهو على كل شيء قدير**
فهو يقدر على عقابهم **لآيات** لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته **لأولي الألباب** للذين يفتحون
بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح
الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة
مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني
بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي
حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله إني لأحب قربك
وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن
وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت
دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم

أراد الإزار الذي على حقويه

لك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة **إن في خلق السموات**
ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول إن في خلق السموات والأرض وحكي أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا
عبد الله ثلثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله السحابة أو فلم ير شيئا فقالت له أمه لعل فرطة فرطت
منك في مدتك فقال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت إلا من ذاك **يذكرون الله**
ذكرا دائما على أي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في أغلب أحوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير
وجماعة أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا
يذكرون الله على أقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه
يصلون في هذه الأحوال على حسب استطاعتهم قال صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم
تستطع فعلى جنب تومي إيماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله في إضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند أبي حنيفة
رحمه الله أنه يستلقي حتى إذا وجد خفة قعد **وعلى جنوبهم** نصب على الحال عطفا على ما قبله كأنه قيل
قياما وقعودا ومضطجعين **ويتفكرون في خلق السموات والأرض** وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام
وإبداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن
سفيان الثوري أنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول
حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينا رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء
فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر
وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا
استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له في كل يوم
مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب لأن أحدا لا يقدر أن يعمل بجوارحه
في اليوم مثل عمل أهل الأرض **ما خلقت هذا باطلا** على إرادة القول أي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون
قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين
وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله **فقنا عذاب النار** لأنه جزاء
من عصى ولم يطع فإن قلت هذا إشارة إلى ماذا قلت إلى الخلق على أن المراد به المخلوق كأنه قيل ويتفكرون في
مخلوق السموات والأرض أي فيما خلق منها ويجوز أن يكون إشارة إلى السموات والأرض لأنها في معنى المخلوق كأنه
قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويجوز
أن يكون باطلا حالا من هذا **سبحانك** اعتراض للتنزيه من العبث وأن يخلق شيئا بغير حكمة **فقد أخزيته** فقد
أبلغت في إخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك ومن سبق فلانا
فقد سبق **وما للظالمين** اللام إشارة إلى من يدخل النار وإعلام بأن من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا
غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما يسمع

الصمان موضع [illegible]

أو جعلته حالا عنه فأغناك عن ذكره ولولا الوصف أو الحال لم يكن منه بد وأن يقال سمعت كلام فلان أو قوله فإن قلت فأي
فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالإيمان تفخيما لشأن المنادي لأنه لا منادي أعظم
من مناد ينادي للإيمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للإسلام وذلك أن المنادي إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد
للحرب أو لإطفاء النائرة أو لإغاثة المكروب أو لكفاية بعض النوازل أو لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق
على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك فإذا قلت ينادي للإيمان ويهدي للإسلام فقد رفعت من
شأن المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا وإلى كذا وندبه له وإليه ونحوه هداه للطريق وإليه
وذلك أن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو إلى الله ادع إلى سبيل
ربك وعن محمد بن كعب القرآن أن آمنوا أي آمنوا أو بأن آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الأبرار
مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والأبرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب على رسلك على
هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك ألا تراه كيف أتبع
ذكر المنادي للإيمان وهو الرسول وقوله آمنوا بربكم فآمنا وهو التصديق ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف أي ما وعدتنا
منزلا على رسلك أو محمولا على رسلك لأن الرسل محملون ذلك فإنما عليه ما حمل وقيل على ألسنة رسلك والموعود
هو الثواب وقيل النصرة على الأعداء فإن قلت كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه
طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أو هو باب من اللجأ إلى الله والخضوع له كما كان الأنبياء عليهم السلام
يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع إليه واللجأ الذي هو سيما العبودية
تعالى استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب أني لا أضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على
إرادة القول وقرئ لا أضيع بالتشديد من ذكر أو أنثى بيان لعامل بعضكم من بعض أي يجمع ذكوركم
وإناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل
المراد وصلة الإسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين
وروي أن أم سلمة قالت يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا
تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهي
المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا إلى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها وقاتلوا
ونشؤوا بما سامهم المشركون من الخسف وأوذوا في سبيلي من أجله وبسببه يريد سبيل الدين
وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف
والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل
ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويبا من عند الله لأن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم
وعنده مثل أي بخصوصه وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه
به وملكه وإن لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال
وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه

لا بطاعة الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا إليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق
رضي الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله
عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما استجيب به فلا بد من تقديمه
بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل واحد أي لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق
والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض وتصرفهم في البلاد
يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون وعن ابن عباس هم أهل مكة وقيل هم اليهود وروي أن ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما
كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فإن قلت
كيف جاز أن يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان أحدهما أن مدرة القوم ومقدمهم
يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني أن رسول الله كان غير مغرور بحالهم
فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في
النهي نظير قوله في الأمر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو
في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لأن التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ
لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد أراد قلته
في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل
زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم
يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لأنفسهم النزل
والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعر الضبي
وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه إما على الحال من جنات لتخصصها
بالوصف والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء من عند الله وما عند الله
من الكثير الدائم خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش نزلا بالسكون
وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وإن من أهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره
من مسلمة أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين
عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل في أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما
مات نعاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم
فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون
انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل
الظرف بينهما كقوله وإن منكم لمن ليبطئن وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين لله
حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم
وكبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعده في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين
ويؤتكم كفلين من رحمته إن الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من

الآخر وجوز أن يراد إن ما يوعدون لأن قرنت بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا أعدا
الله في الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد الحروب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر
ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم
فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا
لحاجة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم
وعنه عليه السلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل واحد وهو نفس أبيكم آدم فإن قلت علام عطف قوله
وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها
وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من
ضلع من أضلاعها وبث منهما نوعي جنس الإنس وهم الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم
منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من
الأمم الفائتة للحصر فإن قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها
ويبعث عليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها قلت لأن ذلك
مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه
يؤدي إلى أن يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولأنه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها
والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق
بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة
فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ تساءلون
وحالو منها زوجها وبث منهما فحذف اسم الفاعل وهو خبر مسد المحذوف وتقديره والرحم
تتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تسألون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله
فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وأنشدك الله والرحم أو تسألون غيركم بالله
والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به
مهموزا أو غير مهموز وقرئ والأرحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين إما على واتقوا الله والأرحام
أو أن يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود تسألون به وبالأرحام
والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل باسمه والجار والمجرور كشيء واحد

فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على
بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى إلى صحة قولك
رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير
الجار ونظيرها قول الشاعر فما بك والأيام من عجب والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والأرحام
كذلك على معنى والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر
الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها أو واتقوا
الله الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار الرحم وقد آذن عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه أن صلتها منه بمكان
كما قال ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وعن الحسن إذا سألك بالله فأعطه وإذا سألك بالرحم فأعطه
وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عيينة رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به
وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لأولادكم
وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام وأول صلته أن يختار له الموضع
الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء
يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة
اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الأناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الأمهات فإن قلت كيف جمع اليتيم
وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع
ثم جمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء نحو صاحب وفوارس ثم يتامى ثم
يتامى على القلب وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن
يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون
غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم أبي طالب إما على
القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما
هو إلا تعليم شريعة لا لغة يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار فإن قلت فما معنى قوله وآتوا
اليتامى أموالهم قلت إما أن يراد باليتامى الصغار وبإتيانهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء
وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة وإما أن يراد الكبار
تسمية لهم يتامى على القياس أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على أن فيه إشارة
إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم
اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال
فمنعه عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ
بالله من الحوب الكبير ودفع ماله إليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل
داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر

ويبقى الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف يبقى الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام
ويبقى الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما
ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو
اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز
منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار
والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان تعطي رديئا وتاخذ جيدا
وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له
فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا
تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال
فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا
مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق
ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم حوبا ذنبا عظيما ومنه قوله عليه السلام
ان طلاق ام ايوب لحوب [illegible] وقرا الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا
وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل
اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون
من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل
بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا
عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب
ان يتحرج من الذنب ويتاب منه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من
ولاية اليتامى فقيل لهم ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول
المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده
عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم الا
تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة
على القلب كما قيل ايامى والاصل ايائم ويتائم وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم
يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم
وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم
مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها

وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف يقال فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على
الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان
قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب
للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا
المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جاء
العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال
درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة
وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز
الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها
من النساء على طريق الجمع ان شاؤوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرا
ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما
فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم
العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم
سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة
واقصر شغبا واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم او لم تعدل عزلت
عنهن ام لم تعزل وقرا ابن ابي عبلة او من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى الا تعولوا اقرب
من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا
حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا
تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال
الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه
المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع
ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم
بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى
عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف يقل
عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري
ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج
الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرا طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة
تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس

لهما بالصدقة وقرئ صَدْقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدُقاتهن وصُدْقاتهن بضم الصاد وسكون الدال
جمع صُدْقة بوزن غُرْفة وقرئ صُدُقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صُدْقة كقولك في ظُلْمة ظُلُمة
نحلة من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه
إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل
وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن
صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة
من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أي
يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها ويجوز أن تكون حالا من الصدقات أي دينا من الله
شرعة وفريضة والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك
النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الإشارة
كأنه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب
ما روي عن رؤبة أنه قيل له في قوله كأنه في الجلد توليع البهق فقال أردت كأن ذاك أو يرجع إلى ما هو في معنى
الصدقات وهو الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن من
الصالحين كأنه قيل أصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن
لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم
وسوء معاشرتكم فكلوه فأنفقوه قالوا فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن
الشعبي أن رجلا أتى مع امرأته شريحا في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل
أليس قد قال الله تعالى فإن طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن
يخدعن وحكي أن رجلا من آل أبي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها
فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التي بعدها
فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى قضاته إن النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما
امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية
فقال إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة
وروي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته فقال الله تعالى إن طابت نفس واحدة من
غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث
بنى الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاما أن المراعى هو تجافي نفسها
عن الموهوب طيبة وقيل فإن طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فإن طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب
وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها إلا باليسير وعن الأوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد أو تقم في بيت زوجها
سنة ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول

ظاهره هبة الصداق كله لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ
إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل
لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر أي أكلا
هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى أنهما صفتان
أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة السفهاء
المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء
وأضاف الأموال إليهم لأنها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم مما ملكت أيمانكم من فتياتكم
المؤمنات والدليل على أنه خطاب للأولياء في أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما أي
تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء
عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الأمر لما يملك به وكان
السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس وعن سفيان وكانت
له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له إنها تدنيك من الدنيا لئن أدنتني من الدنيا
لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما
رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب إلى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا
حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق وقيل هو أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى
أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج
عدة جميلة إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وعن عطاء إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت في غزاتي جعلت
لك حظا وقيل إن لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله وإياك بارك الله فيك وكل ما سكنت إليه النفس
وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى
واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى إذا تبينتم منهم رشدا أي هداية
دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح أن يحتلم لأنه يصلح للنكاح عنده ولطلب
ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل والإيناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء
عند أبي حنيفة وأصحابه أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى تستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي إلى وجوه التصرف
وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء أن تتبع أحواله في الأخذ والإعطاء
ويتبصر مخايله وميله إلى الدين والرشد الصلاح في الدين لأن الفسق مفسدة للمال فإن قلت فإن لم يؤنس منه
رشد إلى حد البلوغ قلت عند أبي حنيفة رحمه الله ينتظر إلى خمس وعشرين سنة لأن مدة بلوغ الذكر
عنده بالسن ثماني عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لقوله عليه السلام
مروهم بالصلاة لسبع دفع إليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس وعند أصحابه لا يدفع إليه أبدا إلا بإيناس
الرشد فإن قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفا من الرشد

ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فإن قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى إلى فادفعوا إليهم أموالهم جعل
غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله: فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل
والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فإن آنستم منهم
رشدا فادفعوا إليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذي هو إذا بلغوا النكاح فكأنه قيل
وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فإن
أحستم بمعنى أحسستم قال أحسن به فهن إليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين إسرافا وبدارا
مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في إنفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل
أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغني يستعفف من
أكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقا على اليتيم وإبقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقتدرا محتاطا
في تقديره على وجه الأجرة أو استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف مما
يدل على أن للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله
قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس
أن ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال إن كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم
وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع أيديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة
فما فوقها وعن إبراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة
وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند
الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر
ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف
وإذا أيسرت قضيت واستعفف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة فأشهدوا عليهم بأنهم تسلموها وقبضوها
وبرئت عنها ذممكم وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة ألا ترى أنه إذا لم
يشهد فادعي عليه صدق مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق إلا بالبينة فكان
في الإشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم البينة وكفى وإياكم والتكاذب
بالله حسيبا أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا فعليكم بالتصادق
الأقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ولا
نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من أن يحوزوه ولا
يستأثر به ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة روي
أن أوس بن صامت الأنصاري ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة
وعرفجة ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون لا يرث إلا من
طاعن وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة إلى رسول الله في مسجد الفضيخ فشكت إليه

فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين
حتى يبين فنزلت يوصيكم الله في أولادكم فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وإذا حضر القسمة أي قسمة
التركة أولو القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر على الندب قال
الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى
على ذلك تأديبا من غير أن يكون فريضة قالوا ولو كانت فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي أن
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قسم ميراث أبيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار أحدا
إلا أعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير
إن ناسا يقولون إنها نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف أن يلطفوا لهم القول
ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا إليهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن
الحسن والنخعي أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فإذا
قسم الورق والذهب وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون بورك
فيكم لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى
ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه
حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز أن يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون
إلى المريض فيقولون إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم
أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون
أمرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يتصوروا أنهم لو كانوا
أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فإن قلت ما معنى وقوع لو تركوا
وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك
عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل لقد زاد الحياة
إلي حبا بناتي إنهن من الضعاف أحاذر أن يرين البؤس بعدي وأن يشربن رنقا بعد صافي وقرئ ضعفا
وضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الأوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون
أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية
لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله لسعد إنك أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة
يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع
والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين أو على وجه
الظلم من أولياء اليتامى وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في
بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا ما يجر إلى النار فكأنه نار وروي أنه يبعث آكل
مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان

يأكلون ملء البطن في الدنيا وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد إليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى بيان فضل الذكر وقولك للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى وما كان قصدا إلى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فإن قلت فإن حظ الأنثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان قلت أريد حال الاجتماع لا الانفراد أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فإن كن نساء فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز أن يكون خبرا ثانيا لكان وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين وإن كانت واحدة وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن كن نساء فإن قلت الضمير في ترك لمن قلت للميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت فإن قلت قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين فكيف صح أن يردف قوله فإن كن نساء وهو لبيان حظ الإناث قلت وإن كان مسوقا لبيان حظ الذكر إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين جميعا فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء فإن قلت هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على أن كان تامة قلت لا أبعد ذلك فإن قلت لم قيل فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة قلت لأن الغرض ثمة خلوصهن إناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهن وأريد هاهنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فإن قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم أن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قد دل على أن حكم الأنثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الأنثيين قيل فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل إن البنتين أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها

ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولأبويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فإن قلت فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس وأي فائدة في ذكر الأبوين أولا ثم في الإبدال منهما قلت لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والأنثى ويختلف حكم الأب في ذلك فإن كان ذكرا اقتصر بالأب على السدس وإن كان أنثى عصب مع إعطاء السدس فإن قلت قد بين حكم الأبوين في الإرث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه قلت معناه فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما بقي بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك إلا عند ابن عباس والمعنى أن الأبوين إذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت ما العلة في أنه لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان أحدهما أن الزوج إنما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني أن الأب أقوى في الإرث من الأم بدليل أنه يضعف عليها إذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الأمرين فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين فإن كان له إخوة فلأمه السدس الإخوة يحجبون الأم عن الثلث وإن كانوا لا يرثون مع الأب فيكون لها السدس وللأب خمسة الأسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا إلا عند ابن عباس وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم فإن قلت فكيف صح أن يتناول الإخوة الأخوين والجمع خلاف التثنية قلت الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالإخوة عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة إتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فإن قلت ما معنى أو قلت معناها الإباحة وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين فإن قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة

الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن
كان آجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع
أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب
لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال
على غير حكمة وقيل الأب تجب عليه النفقة على الابن إذا احتاج وكذلك الابن إذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة
لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق
الاعتراض أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم **فريضة** نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض
ذلك فرضا إن الله **كان عليما** بمصالح خلقه **حكيما** في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها **فإن كان لهن ولد**
منكم أو من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة
سواء في الربع والثمن **وإن كان رجل** يعني الميت **يورث** من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل **وكلالة**
خبر كان أي وإن كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ
يورث ويورّث على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به فإن قلت ما الكلالة قلت ينطلق
على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد
والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الأصل مصدر بمعنى
الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء قال الأعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد
والوالد لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالة ضعيفة وإذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول
فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق فإن قلت فإن جعلتها اسما للقرابة
في الآية فعلام تنصبها قلت على أنها مفعول له أي يورث لأجل الكلالة أو يورث غيره لأجلها فإن قلت فإن جعلت
يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فإن قلت فالضمير في قوله
فلكل واحد منهما إلى من يرجع حينئذ قلت إلى الرجل وإلى أخيه أو أخته وعلى الأول إليهما فإن قلت إذا رجع الضمير
إليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر للأنثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه
قلت نعم لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والأنثى وعن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيها برأيي فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان
والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أن الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير
هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم وتدل عليه قراءة أبي **وله أخ أو أخت** من الأم وقراءة سعد بن أبي
وقاص وله أخ أو أخت من أم وقيل إنما استدل على أن الكلالة هاهنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في
آخر السورة من أن للأختين الثلثين وأن للإخوة كل المال فعلم هاهنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث
ولم يزادوا على الثلث شيئا أنه يعني بهم الإخوة للأم وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر
الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات وغيرهم **غير مضار** حال أي يوصي وهو غير مضار

لورثته وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث أو يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله
وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الإقرار
وصية من الله مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار أي لا يضار
وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية
وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالإضافة **والله عليم** بمن جار أو عدل في وصيته **حليم**
عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فإن قلت في يوصي ضمير الرجل إذا جعلته الموروث فكيف تعمل إذا جعلته الوارث
قلت كما عملت في قوله يسبح له فيها على قراءة من قرأ بفتح الباء لأنه علم أن التارك والموصي هو الميت فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرئ
يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما قال يسبح له
على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحا فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما
يدل عليه يوصى بها **تلك** إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لأن الشرائع
كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق **يدخله** قرئ بالياء والنون وكذلك
وندخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فإن قلت هل يجوز أن
يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لأنهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو
فيها **يأتين الفاحشة** يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة
والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح **فأمسكوهن في البيوت** فخلدوهن محبوسات في بيوتكم
وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام ثم نسخ بقوله الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك
ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن
بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال **أو يجعل الله لهن سبيلا** هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح
وقيل السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فإن قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد
كأنه قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة
قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن **واللذان يأتيانها منكم** يريد الزاني والزانية
فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله **فإن تابا وأصلحا** وغيرا الحال **فأعرضوا عنهما**
واقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على
سرهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا
عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذانّ بتشديد النون واللذآنّ
بالهمز وتشديد النون **التوبة** من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له يعني إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى
لهؤلاء **بجهالة** في موضع الحال أي **يعملون السوء** جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة
لا مما يدعو إليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته **من قريب** من زمان قريب والزمان
القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله **حتى إذا حضر أحدهم الموت** فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة

معنى ما ورد في حكم القريب. وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت. وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب
وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه. وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. وعن عطاء ولو
قبل موته بفواق ناقة. وعن الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده
فقال وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر. فإن قلت ما معنى من في قوله من قريب. قلت معناه التبعيض أي يتوبون
بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب
قريب وإلا فهو تائب من بعيد. فإن قلت ما فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله لهم. قلت قوله إنما التوبة
على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه
وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب. ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى
بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة
فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف
والاختيار. أولئك أعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة. فإن قلت
من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار. قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله
وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار
واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقوله فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا من ترك الصلاة
متعمدا فقد كفر لأن من كان مصدقا ومات وهو لم يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لأنه لا يجترئ على ذلك
إلا قلب مصمت. كانوا يبلون النساء بضروب من الظلم ويعضلونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك. كان الرجل إذا مات
له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها
أي أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات. وقيل كان يمسكها حتى تموت
فقيل لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن. وقيل كان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن
من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه. إلا أن يأتين
بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن
فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم. وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها
أن يسألها الخلع وقيل كانوا إذا أصابت امرأة فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها. وعن أبي قلابة ومحمد بن
سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وإن زنت
وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت
والنفقة والإجمال في القول. فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في
الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وكان الرجل إذا طمحت عينه إلى
استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج غيرها فقيل

وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا المال العظيم من قنطرت الشيء إذا رفعته ومنه القنطرة لأنها بناء مشيد قال
كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد. وعن عمر رضي الله عنه أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصدق
النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق امرأة من نسائه
أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم
إحداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعونني أقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي
امرأة ليست من أعلم النساء. والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقرفه به وهو بريء منه لأنه يبهت عند ذلك
أي يتحير. وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين وآثمين أو على أنه مفعول له وإن لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال
جبنا. والإفضاء الخلوة والمضاجعة كأنه قيل وأخذن منكم ميثاقا غليظا أي بإفضاء بعضكم إلى
بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد
والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد أنكحتك على ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبي
صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله. وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونهم من ذوي مروآتهم فيسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه
يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كأنه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد
على ما يجمع القبحين. وقرئ لا يحل لكم بالتاء على أن ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والإكراه
وقرئ بفاحشة مبينة من أبانت بمعنى تبينت أو بينت مبينة بكسر الياء وفتحها. ولا تعضلوهن بالرفع على الابتداء في
موضع الحال واسم إحداهن بوصل الهمزة ... فإن قلت تعضلوهن ما وجه إعرابه قلت
النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن. فإن قلت أي فرق بين تعديه
ذهب بالباء وتعديته بالهمزة قلت إذا عدي بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب كقوله فلما ذهبوا به وأما الإذهاب
فكالإزالة. فإن قلت إلا أن يأتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولا
تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة. فإن قلت
من أي وجه صح قوله فعسى أن تكرهوا جوابا للشرط قلت من حيث إن المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة
فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه. فإن قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم قلت كما
استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره
وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته كما تعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض
القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط. معنى حرمت عليكم أمهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من
النساء ولأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم
أكله. وقرئ وبنات الأخ بتخفيف الهمزة. ونزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة
أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده
فهم إخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته

قال الجوهري والأوقية في الحديث أربعون درهما ...

لابيه وامه ومن ولدها لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه فوله عليه السلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا
تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه
من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه
من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من
نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان
قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير
مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول
لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا ترى انك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد
جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك
جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله من خديجة وليس بصحيح ان يعنى بالكلمة الواحدة في خطاب واحد
معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان الذي يليه هو المتعلق به ما لم يعرض امر لا يرد الا ان تقول
اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى بعضهم من بعض فاني لست منك ولست
مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن
لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل
له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن حصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما
ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم القران الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قراوا
وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد
بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء
فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة
لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم
قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم
بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال
خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه
انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها
وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن مسروق انه
وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن الحسن في الرجل
ان يبيع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر

يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج
امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له
نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال
عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم
الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن علي وعثمان
رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم
وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما قد مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا والمحصنات القراءة بفتح
الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات
الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين
وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم
مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله واحل لكم
قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة
اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل
على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم
التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم
ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في
المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز
ان يكون مفعولها ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني
من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن
اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما
في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن واجورهن مهورهن لان المهر
ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك
فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او
فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله عليه السلام ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين
او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر
لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني قد
كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس
هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك

﴿طولا﴾ فضلا يقال لفلان على فلان طول أي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال الشاعر لقد زادني حبا
لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم ما خلا منه بطائل أي لم يتغير بطائل منه بفضل وخطر ومنه الطول في الجسم
لأنه زيادة فيه كما أن القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ﴿ومن لم يستطع﴾ زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح
أمة قال ابن عباس من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الإماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله
وأما أبو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الأمة ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش الحرة على أن النكاح
هو الوطء فله أن ينكح أمة وفي رواية عن ابن عباس أيضا قال مما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية
وإن كان موسرا وذلك قوله ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾ الظاهر أن لا يجوز نكاح الأمة الكتابية وهو مذهب أهل الحجاز
وعند أهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الأمة المؤمنة أفضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على أن الإيمان
ليس بشرط بوصف الحرائر به مع أن المحصنات غير المؤمنات يجوز نكاحهن بالاتفاق ولكنه أفضل فإن قلت لم كان نكاح الأمة منحطا
عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الأم في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولأنها ممتهنة مبتذلة
خراجة ولاجة وذلك كله نقصان يرجع إلى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمن وقوله من فتياتكم أي من فتيات
المسلمين لا من فتيات غيرهم ... فقوله ﴿والله أعلم بإيمانكم﴾ ... والمعنى أن الله أعلم بتفاضل
ما بينكم وبين أرقائكم في الإيمان ... وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرة والمرأة أفضل
في الإيمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا إلا فضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب وهذا تأنيس بنكاح الإماء
وترك الاستنكاف منه ﴿بعضكم من بعض﴾ أي أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان لا يفضل حر
عبدا إلا برجحان فيه ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ اشتراط لإذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول أبي حنيفة أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن
لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم ﴿وآتوهن أجورهن بالمعروف﴾ وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار وإحواج
إلى الاقتضاء واللز فإن قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب أداؤها إليهم فلم قيل وآتوهن قلت لأنهن وما في
أيديهن مال الموالي فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي أو على أن أصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف ﴿محصنات﴾ عفائف
﴿والأخدان﴾ الأخلاء في السر كأنه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له ﴿فإذا أحصن﴾ بالتزويج وقرئ أحصن
﴿نصف ما على المحصنات﴾ أي الحرائر ﴿من العذاب﴾ من الحد كقوله وليشهد عذابهما ولا رجم عليهن لأن الرجم لا
ينتصف ﴿ذلك﴾ إشارة إلى نكاح الإماء ﴿لمن خشي العنت منكم﴾ لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة وأصل
العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وصبركم عن نكاح الإماء متعففين
إذا اقوها حتى أن تواقعها فيحد ... ﴿وأن تصبروا﴾ في محل الرفع على الابتداء أي وصبركم ... ﴿خير لكم﴾ أصله يريد الله أن يبين لكم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي
فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب ... من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في
علم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم ﴿ويهديكم﴾ مناهج من كان قبلكم ... كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ﴿والله عليم حكيم﴾
دينهم لتقتدوا بهم ﴿ويتوب عليكم﴾ ويرشدكم إلى طاعات إن قمتم بها ﴿والله يريد﴾ ... ﴿أن يتوب عليكم﴾ ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ الفجرة
أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾

﴿ميلا عظيما﴾ وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل
المجوس كانوا يحلون نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة
والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾
بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد
بن المسيب ما أيس الشيطان من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد أتى علي ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو
بالأخرى وإن أخوف ما أخاف علي فتنة النساء وقرئ أن يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس
وخلق الإنسان على البناء للفاعل ونصب الإنسان وعن ابن عباس رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت
عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله
لا يغفر أن يشرك به إن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ﴿بالباطل﴾ بما لم تبحه الشريعة
من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ إلا أن تقع تجارة وقرئ تجارة على إلا
أن تكون التجارة تجارة ﴿عن تراض منكم﴾ والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم أو ولكن كون
تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لأن
أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول وهو مذهب
أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ من كان من جنسكم من المؤمنين
وعن الحسن لا تقتلوا إخوانكم أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص أنه تأوله في التيمم لخوف
البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ولا تقتلوا بالتشديد ﴿إن الله كان بكم رحيما﴾
ما نهاكم عما نهاكم إلا لرحمته عليكم وقيل معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم
وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ﴿ذلك﴾ إشارة إلى القتل أي ومن يقدم على قتل الأنفس
﴿عدوانا وظلما﴾ لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر ﴿فسوف نصليه﴾ بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح
النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك لكونه سببا للصلي ﴿نارا﴾ أي نارا
مخصوصة شديدة العذاب ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لأن الحكمة تدعو إليه ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾
وقرئ كبير ما تنهون عنه أي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ نمط ما تستحقونه من
العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على
عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة إنما وصفتا بالكبر والصغر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلها
والتكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والإحباط نقيضه وهو إماطة الثواب المستحق بعقاب
أزيد أو بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من
الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس أن رجلا قال له الكبائر
سبع فقال هي إلى سبعمائة أقرب لأنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي إلى سبعين وقرئ مكفر
﴿مدخلا﴾ بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ﴿ولا تتمنوا﴾ نهوا عن التحاسد وعن تمني ﴿ما فضل الله﴾

به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما
تصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان
ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه **للرجال نصيب مما اكتسبوا** جعل ما قسم لكل من
الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له **واسالوا الله من فضله** ولا تتمنوا انصبا
غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان
ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا
الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت **مما ترك** تبيين لكل اي ولكل شي مما ترك **الوالدان والاقربون**
من المال **جعلنا موالي** وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا
موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدا وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله
اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك
ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون **والذين عاقدت ايمانكم**
مبتدا ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله **فآتوهم نصيبهم** ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه
ويجوز ان يعطف على الوالدين ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل
يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي
واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب
يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام
وعند ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة
خلافا للشافعي رحمه الله وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ
عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم **الرجال قوامون على النساء** يقومون عليهن آمرين ناهين كما
يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في **بعضهم** للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين
عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال **على بعض** وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا
بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب
والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة
والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في
الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم
اصحاب اللحى والعمائم **وبما انفقوا** وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن **من اموالهم** في المهور والنفقات وروي ان سعد
بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد
الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس
ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا **فالصالحات قانتات** مطيعات

رزق

قائمات بما عليهن للازواج **حافظات للغيب** الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن
حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة ان نظرت اليها
سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم **بما حفظ الله** بما
حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن
لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية
وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف
والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقراءة ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن
نشوزهن ونشوزها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج في المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف
او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ
في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب
ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا
من تفسير الثقلاء وقالوا ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا
ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات منها ولولا بنوها حولها لخبطتها **فلا تبغوا عليهن سبيلا**
فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى
الطاعة والانقياد وترك النشوز **ان الله كان عليا كبيرا** فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على
من تحت ايديكم وروي ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله فصاح به ابا مسعود
لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله تعالى علي كبير وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه
ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع **شقاق بينهما** اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف
على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار
ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء **حكما من اهله**
رجلا مقيما يصلح للحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن
الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة
والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل يليان
الجمع بينهما والتفريق ان رأيا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا
حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امراة
وزوجها ومع كل واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما
ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح
حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما

فهي الحكمان رجلان والالف في يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين
وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين
الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين
يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران
للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق
وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه
قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب
والجار الجنب الاجنبي [illegible] بجوار او مجاور رحم وقرئ والجار ذا القربى نصبا
على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى
والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة
واما قاعدا الى جنبك في مجلس او [illegible] من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه
وتجعله ذريعة الى الاحسان [illegible] وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف وما ملكت
[illegible] ان الله لا يحب من كان مختالا التياه
الجهول الذي يتكبر عن اقاربه واصحابه [illegible] فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب [illegible]
فخورا يعدد مناقبه كبرا الذين يبخلون [illegible] بدل من قوله من كان مختالا ويجوز ان يكون رفعا على الذم او نصبا
على الذم ... [illegible] ويأمرون الناس بالبخل بضم الباء وفتحها وسكون الخاء
[illegible] كل ملامة وقرئ بالبخل
[illegible] ان يخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب
[illegible] ولقد رايت ممن بلي بداء البخل من اذا
[illegible] على امرئ بشيء من عرضه لنحيل ... اطرب
[illegible] ولقد رايت من يحلها [illegible] وكسرت
طرق سمعه ان احدا جاد على احد [illegible] واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما نهب رحله
حزانة صحرا من ذلك [illegible] ونزلت في اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا
تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
[illegible] وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى اثر نعمته عليه
والعافر الى الناس [illegible] الكريم [illegible]
للرسيد [illegible] وقال الرجل بامر المومنين [illegible] رسول الله وما الناس
ما لتطرائي ابا [illegible] وقيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله [illegible]
ولينفقا ما [illegible] وما احد منهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول
الله فساء قرينا [illegible] على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار
وماذا عليهم واي تبعة وو بال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة
ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا ضرر
ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد ان الله لا
[illegible] فيه تعالى الكل واحد [illegible]
ذو زوراه عبد الله فقال عليه وعن ابن عباس انه ادخله يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه

ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان
ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير
المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في
كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن ابي عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه
الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على
سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف
وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد
يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود
انه قرأ سورة النساء على رسول الله حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير
البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال
اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا
ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة
الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى
بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى ونزل في جماعة من الصحابة ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا
فدعا نفرا من اصحاب رسول الله حين كانت الخمر مباحة [illegible] فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا
احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا
صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر [illegible] ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلاة
لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنى ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها
وهي المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وانتم سكارى
[illegible] وقيل هو من سكر النعاس وغلبة النوم كقوله
[illegible] الزبون وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان
السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على
ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى
لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة
احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة
في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون
حالا لكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين

قلت كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى
تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا
كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة
ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو
جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون
والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه تعلق بهم جميعا
وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده
والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج **الصعيد** وجه الارض ترابا كان
او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله
فان قلت فما تصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتاتى في الصخر الذي لا
تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب
من قول القائل مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق
احق من المراء **ان الله كان عفوا غفورا** كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم
آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر
سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص
للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق
بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر
واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة
المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط **الم تر** من رؤية القلب
وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم **اوتوا نصيبا من الكتاب** حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود
يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله وانه هو النبي
العربي المبشر به في التوراة والانجيل **ويريدون ان تضلوا** انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه
شلكم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها **والله اعلم** منكم
باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم
ولا تستشيروهم **وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا** فثقوا بولايته ونصرته دونهم ولا تبالوا بهم
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا
جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم
هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدا على ان **يحرفون** صفة مبتدا محذوف

الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها
يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد امالوه عن مواضعه التي وضعه
الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم
الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل هاهنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما
فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد
مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه
ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة
غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا
سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع
غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك
عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه
ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم **راعنا** يحتمل راعنا نكلمك
اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا
برسول الله يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام **ليا بالسنتهم** فتلا بها
وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها
او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاءوا بالقول المحتمل ذي الوجهين
بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء
السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به
فان قلت الام يرجع الضمير في قوله لكان **خيرا لهم** قلت الى انهم قالوا
سمعنا واطعنا اي لو ثبت قولهم ذلك لكان قولهم ذلك خيرا لهم **واقوم** واعدل واسد **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي خذلهم
عن الطافه **فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا** اي ضعيفا ركيكا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد
بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا **ان نطمس وجوها**
ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم **فنردها على ادبارها** فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء
مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على
ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوهها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد
بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم اي من قبل ان نغير احوال
وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤوا منه وهي اذرعات
الشام يريد اجلاء بني النضير فان قلت لمن الراجع في قوله **او نلعنهم** قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه
لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ

كما لعنّا أصحاب السبت فإن قلت فأين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالإيمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من
طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولأن الله أوعدهم بأحد الأمرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم فإن كان الطمس تبديل أحوال
رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان والظاهر
اللعن المتعارف دون المسخ الأمري إلى قوله فلما سمع هذا أسلم ... من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وكان أمر الله مفعولا فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا فإن قلت قد ثبت أن الله عز وعلا يغفر الشرك
لمن تاب منه وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة فما وجه قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء قلت الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين إلى قوله لمن يشاء كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن
يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل
القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله **فقد افترى إثما** أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه **ألم تر إلى الذين**
يزكون أنفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقيل جاء
رجال من اليهود إلى رسول الله بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه
بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة
الطاعة والتقوى والزلفى عند الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض
ولما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة إكذابا لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد
الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم **بل الله يزكي من يشاء** إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد
بها لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم
به **ولا يظلمون** أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من
ثوابهم ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى **انظر كيف يفترون على الله الكذب** في زعمهم أنهم عند الله أزكياء **وكفى به**
هذا **إثما مبينا** من بين سائر آثامهم **الجبت** الأصنام وكل ما عبد من دون الله **والطاغوت** الشيطان وذلك أن
حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله
فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا
إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال
كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج
ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين
أم لهم نصيب من الملك أم منقطعة ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال **فإذا لا يؤتون** أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون
أحدا مقدار **نقير** لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك إما ملك
أهل الدنيا وإما ملك الله كقوله قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وهذا أوصف لهم بالشح
وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز أن يكون معنى الهمزة في أم لإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب

أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود فإذا لا يؤتوا
على إعمال إذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كأنه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا إذا
أم يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله والمؤمنين **على ما آتاهم الله من فضله** يعني النبوة و
النصر والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم **فقد آتينا** إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله **آل إبراهيم** الذين هم
أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتي أسلافه **الكتاب والحكمة** آل إبراهيم
ملكا عظيما ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان
ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية **فمنهم** من اليهود **من آمن به** أي بما ذكر من حديث آل إبراهيم **ومنهم من صد عنه** وأنكره مع
علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من أنكر نبوته أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم
مهتد وكثير منهم فاسقون **بدلناهم جلودا غيرها** أبدلناهم إياها فإن قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية
جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة تبدل جلودا بيضا كالقراطيس **ليذوقوا العذاب**
ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك وزادك فيه **عزيزا** لا يمتنع عليه شيء مما يريده
بالمجرمين **حكيما** لا يعذب إلا بعدل من يستحقه **ظليلا** صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل
أليل ويوم أيوم وما أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا
برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا الله بمنه لما ... ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم
أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان
سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع
المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذه منه وفتح ودخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر
عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ
عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
السدانة في أولاد عثمان أبدا وقيل هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل وترك الأمانة على الوجه **نعما يعظكم**
به ما إما أن يكون منصوبة موصوفة بيعظكم به وإما أن يكون مرفوعة موصولة كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء
الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم
ولما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس أن يطيعوهم وينزلوا
على أحكامهم والمراد **بأولي الأمر منكم** أمراء الحق لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على **الله ورسوله**
في وجوب الطاعة لهم وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما
والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا
طاعة لي عليكم وعن أبي حازم أن مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله وأولي الأمر منكم قال أليس

قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول. وقيل هم أمراء السرايا وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد
عصاني. وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر. فإن تنازعتم
فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين فردوه إلى الله ورسوله أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة
وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولاً بأداء الأمانات
وبالعدل في الحكم وأمرهم آخراً بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا
يردون شيئاً إلى كتاب ولا إلى سنة إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله
ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة. ذلك إشارة إلى الرد أي الرد إلى الكتاب والسنة خير لكم وأصلح وأحسن
تأويلا وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلا من تأويلكم أنتم. روي أن بشراً المنافق خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق
وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أكذلك
قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد
ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له
رسول الله أنت الفاروق. والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتاً لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله
أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله على التحاكم إليه تحاكماً
إلى الشيطان بدليل قوله وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم. وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل وقرأ
عباس بن الفضل أن يكفروا بها ذهاباً بالطاغوت إلى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم. وقرأ الحسن تعالوا
بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفاً كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية وكما قال
الكسائي في آية إن أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت
فصار تعالوا نحو تقدموا. ومنه قول أهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة. وفي شعر الحمداني تعالي أقاسمك الهموم تعالي
والوجه فتح اللام. فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمراً ولا يوردونه
إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤوك حين يصابون فيعتذرون
إليك يحلفون ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا إحساناً لا إساءة وتوفيقاً بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا
تسخطاً لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا
يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله. وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا
بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما
حكم به. فأعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه. وقل
لهم في أنفسهم قولاً بليغاً أي قل لهم ... وعظهم بالتخويف والإنذار. فإن قلت بم تعلق قوله في أنفسهم قلت
بقوله بليغاً أي قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به اغتماماً ويستشعرون منه الخوف استشعاراً وهو التوعد

بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق وأطلع قرنه وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند
الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره فإن فعلتم ما
تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على
النفاق قولاً بليغاً وإن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها
من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشراً من ذلك وأغلظ أو قل لهم في أنفسهم خالياً
بهم ليس معهم غيرهم مساراً لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم
وما أرسلنا من رسول وما أرسلنا رسولاً قط إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم
بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله
ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته. ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين
من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد
قضائك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله ومستغفراً لوجدوا الله تواباً لعلموه تواباً أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت
لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على أن شفاعة من اسمه
الرسول من الله بمكان. فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في
لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فإن قلت هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى
ذلك استواء النفي والإثبات فيه وذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم. فيما شجر بينهم فيما
اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه. حرجاً ضيقاً أي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكاً
لأن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين. ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضوه بشيء
من قولك سلم الأمر لله وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة. وتسليماً تأكيد
للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم. قيل نزلت في شأن
المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله في شراج
من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان ابن عمتك
فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك كان
قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد
فقال لمن كان القضاء فقال الأنصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة
موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها وروي أنه قال
ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم
من الجبال الرواسي. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل
بنا ذلك ... نزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أي لو أوجبنا عليهم

مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوا وقرئ إلا قليلا بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم وأشد تثبيتا لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه وإذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل فماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل وإذا لو ثبتوا لآتيناهم لأن إذن جواب وجزاء من لدنا أجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما أي المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا لأنه تابع للأجر لا يعطى إلا بتبعيته ولهديناهم وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات الصديقين أو أفاضل أصحاب الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في أقوالهم وأعمالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده وحسن أولئك رفيقا فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز أن يكون منصوبا على التمييز روي أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز أن يكون صفة والفضل من الله خبره والمعنى أن ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه أو أراد أن يصل المنعم عليهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالأثر والإثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم فانفروا إذا أردتم الخروج إلى العدو ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية أو انفروا جميعا أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا أنفسكم إلى التهلكة وإن منكم لمن ليبطئن اللام الأولى للابتداء دخلت على اسم إن للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ وقرئ ليبطئن من بطأ يقال أبطأ على فلان وأبطأ عليه وبطؤ نحو ثقل فعدي بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل والمراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس

أقسم

يوم أحد فإن أصابتكم مصيبة من قتل أو هزيمة ولئن أصابكم فضل من الله من فتح أو غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأن قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فأفوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة فالذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى إن صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا أو مغلوبا إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان أن يكون مجرورا عطفا على سبيل الله أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وأن يكون منصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة فإن قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاما لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر وبالولدان العبيد والإماء لأن العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الإناث كما يقال الآباء والإخوة فإن قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطي إعراب القرية لأنه صفتها وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها ولو أنث فقيل الظالمة أهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث فإن قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلوني البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان

فلا ولي لهم إلا السلطان وكذا السلطان للمؤمن الحجة وكيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه **كفوا أيديكم** أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه **فلما كتب عليهم القتال** بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت **كخشية الله** من إضافة المصدر إلى المفعول فإن قلت ما محل كخشية الله من الإعراب قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله أي مشبهين لأهل خشية الله **أو أشد خشية** بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد معطوف على الحال فإن قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت أبى ذلك قوله أو أشد خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس أشد خشية لم يكن إلا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لأنك لا تقول خشي فلان أشد خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر إنما تقول أشد خشية فتجرها وإذا نصبتها لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الخاشي الناس خشية مثل خشية المتقي أو خشية أشد من خشيته الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها **لولا أخرتنا إلى أجل قريب** استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق **ولا تظلمون فتيلا** ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء **يدرككم** بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل [illegible] ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت **ولو كنتم في بروج مشيدة** والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفوعة وقرئ مشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وإنما الشاعر فارضها **السيئة** تقع على البلية والمعصية **والحسنة** على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال إن الحسنات يذهبن السيئات والمعنى **وإن تصبهم** نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله **وإن تصبهم** بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا هي **من عندك** وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله عليهم **كل من عند الله** يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح **لا يكادون يفقهون حديثا** فيعلموا أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال **ما أصابك** يا إنسان خطابا عاما **من حسنة** أي من نعمة وإحسان **فمن الله** تفضلا منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا **وما أصابك من سيئة** أي من بلية ومصيبة **فمن نفسك** لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا

نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر **وأرسلناك للناس رسولا** أي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم كقوله وما أرسلناك إلا كافة للناس وقل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا **وكفى بالله شهيدا** على ذلك فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك **من يطع الرسول فقد أطاع الله** لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي أنه قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت **ومن تولى** عن الطاعة فأعرض عنه **فما أرسلناك** إلا نذيرا لا **حفيظا** ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل **ويقولون** إذا أمرتهم بشيء **طاعة** بالرفع أي أمرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمري وشأني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها **بيت طائفة** زورت طائفة وسوت **غير الذي تقول** خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لأنهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون **والتبييت** إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإما من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبرها ويسويها **والله يكتب ما يبيتون** يثبته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد أو يكتبه في جملة ما يوحي إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن إبطانهم يغني عنهم **فأعرض عنهم** ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم **وتوكل على الله** في شأنهم فإن الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز أنصاره وقرئ بيت طائفة بالإدغام وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق والفوج **تدبر الأمر** تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل فمعنى **تدبر القرآن** تأمل معانيه وتبصر ما فيه **لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه تمكن معارضته وبعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق أخبار علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه فإن قلت أليس نحو قوله [illegible] من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف** هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من أمن وسلامة أو خوف وخلل **أذاعوا به** وكانت إذاعتهم مفسدة **ولو ردوه** ذلك الخبر **إلى الرسول وإلى أولي الأمر** وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون منهم **لعلمه** لعلم تدبير ما أخبروا به **الذين يستنبطونه** الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر تدبير ما يأتون ويذرون فيه

وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على
المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين
يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر
اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار
اوقدت بثقوب وجاز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله
كما شجرة بان من الادم دبرت صفحاته وغاربه والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه واستنباطه
اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب او التوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم
او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الاية قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل
الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود
فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول
الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ولا
تكلف المجزوم على النفي ... اي لا تكلف الا فعل نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك
في شانهم الا التحريض ... عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان
وقال هذا عام جدب وما كان ... السويق ولا يلقون الا في عام خصب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش
واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها
وجه الله لم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان
بخلاف ذلك ... فشفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في
قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة
على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء وقال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت
النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموال الي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من
القوت لانه يمسك النفس ويحفظها باحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان قال وعليك السلام
تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه السلام السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام
عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت
عليك مثله او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب ... المسلم ويكره
وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لاخر اقرئ فلانا السلام وجب
عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين يسلم عليهم ولا

يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القران جهرا ورواية الحديث
وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته
ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام ويقول ويسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب
على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا
يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم
كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبدا اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك
السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له
فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدا اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حاجة تحوج اليهم
وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة لا تبداه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا
دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه ان الله كان على كل شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء
من التحية وغيرها الله لا اله الا هو اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم
الى يوم القيامة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب
قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وجل لا يجوز عليه الكذب وذلك ان
الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء خلاف ما هو عليه
فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني الا انه يجهل غناه او هو جاهل
بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق
وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال
لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه
... فما لكم في المنافقين فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله في الخروج
الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم
فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله
انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا
وقيل هم العرنيون الذين اغاروا وقتلوا الراعي ... وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه
ما لكم اختلفتم في شان قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم
ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في
الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله
من جعله من جملة الضلال او حكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وفريق تركهم وركسوا فيها ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون عطف على تكفرون
والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء

ولا تولوهم وإن آمنوا حتى يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة هي لله ولرسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها
بداء ولا تعرب فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث
وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم إلا الذين يصلون
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون إلى قوم ينتهون إليهم ويتصلون بهم وعن أبي عبيدة هو من الانتساب وصلت
إلى فلان واتصلت به إذا انتميت إليه وعلي أن الانتساب لا أثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله من هو من
أنسابهم والقوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر
الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل
القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح أو جاءوكم لا يخلو من أن يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون
إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يصلون بالمعاهدين
أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
بعد قوله فخذوهم واقتلوهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك
الإيقاع بهم فإن قلت كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق إزالة التعرض الاتصال
بالمعاهدين والاتصال بالكافين فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم
ويكون قوله فإن اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن
الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق جاءوكم حصرت صدورهم بغير أو ووجهه
أن يكون جاءوكم بيانا ليصلون أو بدلا أو استئنافا أو صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال بإضمار قد
والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف
على أو جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق
والانقباض أن يقاتلوكم عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم فإن قلت كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين
قلت ما كانت مكافتهم إلا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا مسلطين
مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فإن اعتزلوكم فإن لم يتعرضوا لكم
وألقوا إليكم السلم أي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم
وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا
إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها قلبوا
فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور
عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن
وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود فيها أن يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص
إلا خطأ إلا على وجه الخطأ فإن قلت بم انتصب خطأ قلت بأنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده
ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن

أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا على أنه كافر فإذا
هو مسلم وقرئ خطأ وخطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر خوفا
من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه
الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحثك على صلة الرحم
انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال
للحارث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم
هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى
رسول الله فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن
الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم
عبد وفلان عبد الفعل أي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق
والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي إلا رقبة قد صلت وصامت
ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الإيمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء
لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار
مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى
منها الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله أنا وارث
من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا أعلم لك شيئا إنما
الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب إلي رسول الله أن أورث امرأة أشيم
الضبابي من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى
من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فإن قلت على من تجب
الرقبة والدية قلت على القاتل إلا أن الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فإن لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال
فإن لم يكن ففي ماله إلا أن يصدقوا إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله إلا أن يعفون ونحوه وأن تصدقوا
خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ أبي إلا أن يتصدقوا فإن قلت بم تعلق أن يصدقوا وما
محله قلت تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية أو يسلمها إلا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على
الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز أن يكون حالا من أهله بمعنى إلا متصدقين
فإن كان من قوم عدو لكم فإن كان من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله
الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء لأنهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم
مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنونه كافرا مثلهم وإن كان من قوم كفرة لهم ذمة
كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم
يملكها ولا ما يتوصل به إليها فصيام شهرين فعليه صيام شهرين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه إذا

فلا تؤمنه بعد سرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقة الى الصوم توبة منه ❀ هذه الآية فيها من التهديد والإيعاد والإبراق
والإرعاد أمر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة ❀ وعن سفيان
كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل
ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا ❀ وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم ❀ وفيه لو ان رجلا قتل
بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه ❀ وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه ❀ وفيه من اعان
على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ❀ والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون
ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة
واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب
اقفالها ❀ ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم
للأطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي ❀ فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما أبين الدليل
فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج
المسلم غير التائب فليأت بمثله ❀ فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته
ولا تتهوكوا فيه من غير روية ❀ وقرئ السلم والسلام وهو الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل
الاسلام ❀ لست مؤمنا ❀ وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجل من اهل فدك اسلم ولم يسلم من
قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل
ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة
بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال
يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر
لي وقال اعتق رقبة ❀ تبتغون عرض الحياة الدنيا ❀ تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت
وقلة البحث عن حال من تقتلونه ❀ فعند الله مغانم كثيرة ❀ تغنمونها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض
له لتأخذوا ماله ❀ كذلك كنتم من قبل ❀ اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم واموالكم
من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم ❀ فمن الله عليكم ❀ بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان
صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا
تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله
❀ فتبينوا ❀ تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم ❀ ان الله كان بما تعملون خبيرا ❀ فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين
في ذلك ❀ غير اولي الضرر ❀ قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدين والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين
والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله فغشيته السكينة
فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف ❀ لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون ❀
فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت
من المؤمنين

لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى
ملحقها عند صدع في الكتف ❀ وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها ❀ وعن مقاتل الى تبوك فان قلت
معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم
والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته
ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به الى التعلم ولينهض
بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم ❀ فضل الله المجاهدين ❀ جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل
ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف
❀ وكلا ❀ وكل فريق من القاعدين والمجاهدين ❀ وعد الله الحسنى ❀ اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون
مفضلين على ❀ القاعدين درجة ❀ وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا
الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او
غيره فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين
فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم
لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل
كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم
اجرا ❀ ودرجات ومغفرة ورحمة ❀ بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات
كأنه قيل فضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة
باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ❀ توفاهم ❀ يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا
بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها
فيستوفونها ❀ ظالمي انفسهم ❀ في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين ❀ فيم كنتم ❀ في اي شيء كنتم من امر دينكم
اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة ❀ فيم كنتم ❀ في اي شيء كنتم في امر دينكم ومعناه التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من
الدين فان قلت كيف صح وقوع قوله ❀ كنا مستضعفين في الارض ❀ جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث
قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم
يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم ❀ ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ❀ ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل
المهاجرون الى الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب
والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة ❀ وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد ❀ اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي
لك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند
بيتك بجوار بيتك يا واسع المغفرة ❀ ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين ❀ لا يستطيعون حيلة ❀ في الخروج

لضعفهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة فقال جندب بن
ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لا أهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة
فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم. فإن قلت كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل
الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا. قلت الرجال والنساء
قد يكون فيهم مستطيعون مهتدون وقد لا يكونون كذلك وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك فلا توجه عليهم وعيد لأن
سبب خروج الرجال والنساء من الوعيد إنما هو كونهم عاجزين فإذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين
من جملتهم ضرورة. ويجوز أن يراد بالولدان الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء
فيلحقوا بهم في التكليف وأن يراد العبيد والإماء البالغون والسؤال. فإن قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت
هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وإنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف
فليس بشيء بعينه كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني. فإن قلت لم قيل عسى الله أن يعفو عنهم بكلمة الإطماع قلت للدلالة على
أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حتى أن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغيره
مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف
بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي
كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم والمذهب. وقرئ من عمل وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف وقيل
رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف كقوله عجبت والدهر كثير عجبه من عنزي
يسبني لم أضربه. وقرئ ثم يدركه بالنصب على إضمار أن كقوله وألحق بالحجاز فأستريحا. فقد وقع أجره على الله فقد وجب ثوابه
عليه. وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فإذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه
وذلك واجب عليه. وروي في قصة جندب بن ضمرة أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك
وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا. فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان
أتم أجرا. وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فنزلت. وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد
أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه
الموت في طريقه فأجره واقع على الله. ضربتم في الأرض هو السفر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة مسيرة
ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشي الأقدام على القصد ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة
أيام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعي أدنى مدة السفر أربعة برد
مسيرة يومين. وقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ظاهره التخيير بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل وإلى
التخيير ذهب الشافعي. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله من المدينة
إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما
عاب علي. وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر. وعن أبي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر
رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم. وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين

على فرسخ من مكة

صلوة السفر

فأوقف في السفر وزيد في الحضر. فإن قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا. قلت كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر
ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه. وقرئ تقصروا من أقصر وجاء في الحديث إقصار
الخطبة بمعنى تقصيرها. وقرأ الزهري تقصروا. وأما التشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله إن خفتم
أن يفتنكم الذين كفروا. وأما في حال الأمن فبالسنة. وفي قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول
له بمعنى كراهة أن يفتنكم. والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره. وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة تعلق بظاهره من لا يرى
صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شرطا كونه فيهم وقال من رآها بعده إن الأئمة نواب عن رسول الله في كل عصر قوام بما كان يقوم به
فكان الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضرا الجماعة في حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أم رسول الله الجماعات التي
كان يحضرها. والضمير في فيهم للخائفين. فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم وليأخذوا
أسلحتهم الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف
والخنجر ونحوهما وإن كان لغيرهم فلا كلام فيه. فإذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة
صلاة الخوف عند أبي حنيفة أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلاة ركعتين والأخرى بإزاء العدو ثم تقف هذه
بإزاء العدو وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف بإزاء العدو وتأتي الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها
ثم تحرس وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها. والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة ولأن
الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة وتقف قائمة حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة وتقف حتى تتم
صلاتها ويسلم بهم وبعضه. ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وليأت. وأمتعتكم فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر
في الأخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا
مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين
الدار في التبوء. فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة. و… وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما
يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا … فيهجم عليهم العدو. فإن قلت كيف طابق الأمر
بالحذر قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا. قلت الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم
أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله
كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة. فإذا قضيتم الصلاة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها
قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح. فإذا اطمأننتم حين تضع
الحرب أوزارها وأمنتم فأقيموا الصلاة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج. إن الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا
ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في إيجابه الصلاة على المحارب في حالة المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة
إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء. وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن. وقيل معناه
فإذا قضيتم صلاة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام
وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجإ إليه. فإذا اطمأننتم فإذا أقمتم فأتموا

صلوة المسايفة

فالتمس الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي

الصلوة فاقيموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله
ان تكونوا تالمون اي ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم
ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون
من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرا الاعرج ان تكونوا تالمون بفتح الهمزة بمعنى
ولا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله فانهم يالمون كما تالمون تعليل وقرئ فانهم ياُلمون كما تيلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى
كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يامركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم روي ان
طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها
عند زيد بن السمين رجل من اليهود فاخذوها فدفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى
رسول الله فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل افتضح وبرئ اليهودي فهمّ رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودي
وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه
فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا
لنبيه ولكن ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن
للخائنين خصيما ولا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب
اليهودي يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم
لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت
لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان
خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فان قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة
بالافراط في الخيانة وركوب الماثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها
اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال
كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده اول مرة يستخفون من الناس يستترون حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه
من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح
والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع
في دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه لم يسرقها فان قلت كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه
سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودي
ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدا وخبر جادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء
انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم
خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرا عبد الله عنه اي عن طعمة
وكيلا حافظا ومحاميا من باس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة

واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا
بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه فانما
يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة او اثما كبيرة ثم يرم به بريئا
كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم اثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرا معاذ بن جبل
رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه
وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل
مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم
وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم
من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم
الى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر وهو مجرور بدل من كثير
كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير
والمعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة
الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم كله عليه لا له الا ما كان
من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير
في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب
الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان
قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين
كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يامر بذلك فعبر عن
الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي
القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل
غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى
نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي
في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا
وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ
من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر
فما حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينطق بان من لم يشرك ... ان يدعون من دونه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن
الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد
الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث واناث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد
واسد ... في وجوه وقرات عائشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة

الأصنام {إلا شيطانا} لأنه هو الذي أغراهم على عبادتها فأطاعوه فجعل طاعتهم له عبادة {لعنه الله وقال لأتخذن} صفتان
يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع {نصيبا مفروضا} مقطوعا واجبا فرضه لنفسه من قولهم فرض
له في العطاء وفرض للجند رزقه، قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار {ولأمنينهم} الأماني الباطلة من
طول الأعمار وبلوغ الآمال وأن رحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك {فليبتكن
آذان} تبتيكهم بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع
بها {ولآمرنهم فليغيرن خلق الله} فقء عين الحامي وإعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم وأما في
بني آدم فمحظور، وعند أبي حنيفة يكره شراء الخصيان وإمساكهم واستخدامهم لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم وقيل
فطرة الله التي هي دين الإسلام وقيل للحسن إن عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله، وعن ابن مسعود هو
الوشم، وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمتفلجات المغيرات خلق الله، وقيل التخنث {وعد الله حقا}
مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره {ومن أصدق من الله قيلا} توكيد ثالث بليغ، فإن قلت ما فائدة هذه التوكيدات
قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبا للعباد
في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان {ليس} في {ليس} ضمير وعد الله
أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب {بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب} والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن
وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله، وعن مسروق والسدي هي في المسلمين، وعن الحسن ليس
الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا
نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل، وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا
قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت
ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا لأوتين مالا وولدا إن لي
عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل
الشرك قبله، وعن مجاهد إن الخطاب للمشركين قوله {من يعمل سوءا يجز به} وقوله {ومن يعمل من الصالحات} بعد ذكر تمني أهل
الكتاب نحو قوله {بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته} وقوله {والذين آمنوا وعملوا الصالحات} عقيب قوله وقالوا لن
تمسنا النار إلا أياما معدودة، وإذا أبطل الله الأماني وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز
ومن أساء عمله فهو الهالك تبين الأمر ووضح ووجب قطع الأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل الصالح ولكنه
نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى إليه الأذهان، فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض أراد {ومن يعمل}
بعض الصالحات لأن كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها ما هو لائق بحاله
وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال والثانية لتبيين الإبهام {ولا يظلمون}
{نقيرا} فإن قلت كيف خص الصالحون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في {ولا يظلمون}
لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون
بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره

عنه، وأما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب فكان
نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل {أسلم وجهه} أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا
سواه {وهو محسن} وهو عامل للحسنات تارك للسيئات {حنيفا} حال من المتبع أو من إبراهيم كقوله بل ملة إبراهيم حنيفا
وما كان من المشركين، وهو الذي تحنف أي مال عن الأديان كلها إلى دين الإسلام {واتخذ الله إبراهيم خليلا} مجاز عن اصطفائه
واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك
في طريق من الخل وهو الطريق في الرمل أو يسد خللك كما تسد خلله أو يداخلك خلال منازلك وحجبك، فإن قلت ما
موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة، فائدتها
تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها
معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى، وقيل إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار
منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا
منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى
واختبزت واستنبه إبراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت امرأته من خليلك المصري فقال من عند
خليلي عز وجل فسماه الله خليلا {ولله ما في السماوات وما في الأرض} متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه أن لله
ما في السماوات والأرض فطاعته واجبة عليهم {وكان الله بكل شيء محيطا} فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها
وشرها فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها {ما يتلى} في محل الرفع أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى
اليتامى يعني قوله وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى، وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه، ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم
مبتدأ وفي الكتاب خبره على أنها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وأن العدل والنصفة
في حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها
ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم، ويجوز أن يكون مجرورا على
القسم كأنه قيل {قل الله يفتيكم فيهن} وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم وليس بسديد أن يعطف
على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى، فإن قلت بم تعلق قوله {في يتامى النساء} قلت في الوجه الأول هو
صلة يتلى عليكم في معناهن، ويجوز أن يكون في يتامى بدلا من فيهن، وأما في الوجهين الآخرين [illegible] فإن قلت
الإضافة في يتامى النساء ما هي قلت إضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة، وقرئ [illegible]
{اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن} وقرئ [illegible] ما كتب لهن من الميراث، وكان الرجل منهم يضم اليتيمة [illegible] فإن كانت
جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها {وترغبون أن تنكحوهن} يحتمل
في أن تنكحوهن لجمالهن، وعن أن تنكحوهن لدمامتهن، وروي أن عمر بن الخطاب كان إذا جاءه ولي اليتيمة نظر فإن كانت
جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وإن كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فأنت أحق بها
{والمستضعفين} مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال
والنساء ويجوز أن يكون خطابا للأوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب {وأن تقوموا} مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم

وفي يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في
ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم **وان امراة خافت من بعلها** توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله
واماراته **والنشوز** ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمراة وان يوذيها بسب
او ضرب **او اعراضا** بان يعرض عنها بان يقلل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة
او شين في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك **فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما** وقرئ يصالحا
ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر واصطبر **صلحا** في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة
ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان
يفارقها رسول الله وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امراة اراد ان يطلقها رجلها
لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا الصلح
فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها بمعروف
والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من
الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله **واحضرت الانفس الشح** ومعنى احضار الانفس الشح
ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنها يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المراة لا تكاد تسمح بقسمها
وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها **وان تحسنوا**
بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة **وتتقوا** النشوز والاعراض
وما يودي الى الاذى والخصومة **فان الله كان بما تعملون** من الاحسان والتقوى **خبيرا** فهو يثيبكم عليه وكان عمران
بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامراته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك
قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد
وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين **ولن تستطيعوا** ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل
البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون
ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل
معناه **ان تعدلوا** في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني
فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بين النساء امر صعب بالغ من الصعوبة
حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان تسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة
والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن
فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل
كله وفيه ضرب من التوبيخ **فتذروها كالمعلقة** وهي التي ليست ذات بعل ولا مطلقة قال ... وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة
تطليق او اطلاق ومن ذلك التعليق

حالوا مع الفقه واحد سعيه ما بلغ وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله بمال فقالت عائشة اءلى
كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امراتان
فاذا كان عند احداهما لم يتوضا في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد **وان تصلحوا** ما مضى من ميلكم
وتداركوه بالتوبة **وتتقوا** فيما تستقبل غفر الله لكم وقرئ **وان يتفرقا** بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه **يغن
الله كلا** يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه **من سعته** من غناه وقدرته **وكان الله واسعا** الغني والمقتدر والواسع العلم المقتدر
حكيما متقنا في افعاله واحكامه ... **ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب** يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب اسم للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا **واياكم** عطف على الذين **ان اتقوا الله**
بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله **وان تكفروا فان لله** عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم
وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم
باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه **ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب** من قبلكم
من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين
لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم **ان تكفروا فان لله** ما في سمواته وارضه من
الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه **وكان الله** مع ذلك **غنيا** عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا
لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله **لله ما في السموات وما في الارض** تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه
ويطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير **ان يشا يذهبكم** يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشاكم **ويات
باخرين** ويوجد اناسا اخرين مكانكم او خلقا اخرين مكان الانس **وكان الله على ذلك** من الاعدام والايجاد **قديرا** بليغ
القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول
الله من العرب اي ان يشا يمتكم ويات باناس اخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس **من كان يريد ثواب الدنيا** كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة **فعند الله ثواب
الدنيا والاخرة** فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلب ...
ان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب
الاخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده ...
قسطا ... **وكونوا قوامين بالقسط** مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا **شهداء لله** تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها **ولو على
انفسكم** ولو كانت الشهادة على انفسكم او اباءكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان تقول اشهد
ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي قلت معنى الشهادة عليها الزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة
وبالا على انفسكم او على ابائكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره **ان يكن** اي المشهود عليه **غنيا**
او فقيرا فلا يمتنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او لفقره ترحما عليه **فالله اولى بهما** بالغني والفقير بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة
عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثني الضمير في اولى بهما وكان حقه
ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او

فهم الى المذكور مثله لكثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي
بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرا عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا
تحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا من العدل او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا
بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب
للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء
قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب
لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس
وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة
وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان
قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف
قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين
بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به
هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم
لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا
منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه
كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف
على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر
منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون
اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة
وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة
ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب
وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت
على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم الذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم
الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد
لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان المخففة
من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في
موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة

حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما
داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة
وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع
المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى من
دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين والمستهزئين بها فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة
اليهم وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا
يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم
الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم ينتظرون بكم اي ينتظرون بكم
ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن
من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا
في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة
الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما
لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر
الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان
وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا
واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال بأس ونقمة ورعب دائم
والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى
المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ بضم
الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون متثاقلين متباطئين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة
نفس ورغبة يراؤون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا
يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما
ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في النادر وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين
بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولا تكبيرة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته
الشرع ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما
ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس
بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق وروى ابو زيد رأت المرأة المرآة اذا امسكتها لترى
وجهها ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحاق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراؤونهم كذلك مذبذبين
اما نصب على الحال او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان
والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع

ح والرجوان جانبا البئر وحافتاه
وحولهم ترمى به الرجوان عبارة عن الغاية في ...

ولا يقر في مكان واحد كما يقال فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى
جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل
بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة
فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين
الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين
في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا مبينا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن
صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن
وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها
متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق
اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم واصلحوا ما
افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله
لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر
واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق
وان صلى وصام وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه
من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا
بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع منه فاصبح قد عمم وقلد
واعطى سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم أيتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا ام يستدفع
به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب
المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا
اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة
العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا
فكان الشكر متقدما على الايمان وكأنه اصل التكليف ومداره الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي
لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على
الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من
ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحب الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كأنه قيل
لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر
وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه
تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسطا والدليل على ان العفو

هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام
فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض
كافرين بالله وبرسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر
كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد
اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد
لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم
الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا
قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني
فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء سوف يؤتيهم اجورهم
معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا وقرئ نؤتيهم روي ان كعب بن الاشرف
وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت
وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل
التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر
معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم
في ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة
عيانا بمعنى ارناه نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم
الصاعقة كما سأل ابراهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة
ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى
تابوا عليهم واطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا له من سلطان مبين بميثاقهم بسبب ميثاقهم
ليخافوا فلا ينقضوه والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد اخذ منهم الميثاق
على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ ولا تعدوا ولا تعدّوا بادغام
التاء في الدال فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان تتعلق بمحذوف
كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان تتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا
بدل من قوله فبما نقضهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما
عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه
قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم
قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به
وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر
والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكذبهم المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها

الله وسعها الا الطاف يثبت كفرهم تصادف كالمطبوع عليها لا ان تخلو عن العلم غير قابلة للذكر ولا متمكنة من
قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها
بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم
فان قلت فما معنى المجي بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سوا عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو
قوله وكفرهم بايات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض
كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر
بايات الله وقتل الانبيا وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او
بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه
السلام اعدا له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن
مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزا كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله
الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله
كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم
اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود
على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السما ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل
ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا
قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه
عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى
فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السما وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن
صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته
الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم
التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع
الظن استثنا منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك
والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت اريد
انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما
قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا
اي حق انتفا قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشي علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا
نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم ليؤمنن
جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام

معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن به قبل موته يعني بعيسى وبانه عبد الله
ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج
اية ما قراتها الا تخالج في نفسي شي منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا
اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا
فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله
حين لا ينفعه ايمانه قال وكان متكيا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ
ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول
حدثني محمد بن علي بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه
فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من
فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوا ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراة ابي
الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع
فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به
عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون
الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله
وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله
روي انه ينزل من السما في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا
يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له
ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم من الذين هادوا
فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة
والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره الله تعالى في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما
اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا
كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب لكن الراسخون من امن منهم كعبد الله
بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين
من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتدا ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة
وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما
التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي
عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه

مراد متركوا في كتاب الله ثلمة ليسدّها من بعدهم وخرقًا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون
بالكتب وبالمقيمين الصلاة وهم الانبيا وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى
الثقفي انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم بان
شانه في الوحي كشان سائر الانبيا الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى
اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبّانا وما اشبه ذلك او بما فسّره قصصناهم وفي قراءة ابيّ ورسل قد قصصناهم عليك من
قبل ورسل وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرا وكلم اللهَ بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه
وجرّح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على
التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها
موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرفوا انهم رسل الله الا
بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علما اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه
من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة
لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له فان قلت لكن الله
يشهد ما المستدرك فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سال اهل الكتاب انزال
الكتاب من السما وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن
الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه
اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت
بم يجابون لو قالوا بم نعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه يعلم شهادتهم لانه لما علم باظهار المعجزات
انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله
انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه
على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان
شهادته لصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه
وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من
الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في اخر سورة الجن الا من ارتضى الى قوله واحاط بما لديهم
والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا
الشهادة قال الله ان الذين كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب
كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل
الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة طريقا الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا
لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط
اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد

المسيح عن منزلته حتى جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حتى جعلوه الها ولا تقولوا
على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرا جعفر بن محمد انما المِسّيح بوزن السكّيت وقيل لعيسى كلمة الله
وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد
من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة
ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصّلها فيها ثلاثة خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو
جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم
الابن العلم وباقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الالهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح
منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله اانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون لاهوتية وناسوتية من جهة
الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله
بالله عز وجل من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآبا
وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله ذلك من حكاية عنهم ومعنى سبحانه نزهوه من ان يكون له ولد واسبحه تسبيحا
من ان يكون له ولد وقرا الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان
له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه
على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم
امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته
عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين هم
حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى
ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم
في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه
قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم
ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج
زاخره لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعرف براعته وقرا علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي
ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول قالوا تقول انه عبد الله
ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو
كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا
يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى
العبادة كقولك مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض

وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعل الملائكة
وهم جماعة عبدًا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا
الملائكة المقربون ان يكونوا عبادًا لله فحذف ذلك لدلالة عبدًا لله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير فقد طاح
هذا السؤال قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على
الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج
عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل
على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو الاحسان
الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة
اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القران او اراد بالبرهان دين الحق او رسول
الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى
عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه اخر ما نزل من الاحكام كان
رسول الله في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت
وقيل كان مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر
يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم
مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس
وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل
حظ الانثيين واما الاخت لام فلها السدس في اية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها
ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت
فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء
الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر
والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة ويجوز ان يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء
الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد
ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الاخر فان قلت الى
من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة
اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من
لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة
الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى
محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

خمس

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون
بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة
قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما
يتعاقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود
الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم
وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة
ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القران من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما
يتلى عليكم اية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا
ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه
غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش
ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام
في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة
ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك
من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والسعي
والطواف والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع
هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة
او لحاء شجر او غيره وامين المسجد الحرام قاصدين [illegible] الحاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة
الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي
بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي
البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال
كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على
معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء
مواقعها ولا امين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان
يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي
ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا
فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان

بأن المشركين كانوا يطوفون في العشر انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا
آمي البيت الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين **فاصطادوا** اباحة للاصطياد
بعد حظره عليهم كأنه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند
الابتدا وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل **جرم** جرى مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم
ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته
ذنبا وعليه قراءة عبد الله **ولا يجرمنكم** بضم اليا واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني **ان تعتدوا** وان
صدوكم بفتح الهمزة متعلق **بالشنان** بمعنى العلة والشنان شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم
لان صدوكم الاعتدا ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم
اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتدا الانتقام منهم بالحاق
مكروه بهم **وتعاونوا على البر والتقوى** على العفو والاغضا **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** على الانتقام والتشفي ويجوز
ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات
البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له **وما اهل لغير الله** اي رفع
الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه **والمنخنقة** التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب **والموقوذة**
التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح **وما اكل السبع**
بعضه **الا ما ذكيتم** الا ما ادركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة
وفي رواية عن ابي عمرو السبع بسكون الباء وأكيل السبع **وما ذبح على النصب** كانت لهم حجارة منصوبة حول
البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى
وذا النصب المنصوب لا تعبدنه [illegible] وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد
وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا
او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل
فان خرج الامر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام
طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصبا المعلومة **ذلكم فسق** الاشارة
الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام
المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افترا على الله وما يدريه
انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يحيلونها عند
اصنامهم فامره ظاهر **اليوم** لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة
الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك

ونحوه الآن في قوله الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل انزلت يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة
وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع **يئس الذين كفروا من دينكم** يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا محللين
لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل كان وفى بوعده من اظهاره على الدين
كله **فلا تخشوهم** بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين **واخشون**
واخلصوا الي الخشية **اكملت لكم دينكم** كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك
وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم
من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد **واتممت عليكم نعمتي** بفتح مكة ودخولها
آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي
عليكم باكمال امر الدين والشرائع كأنه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة
الاسلام **ورضيت لكم الاسلام دينا** يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام
دينا ان هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله **فمن اضطر** قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به
معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا
دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها **في مخمصة** في مجاعة **غير متجانف لاثم** غير منحرف اليه كقوله غير
باغ ولا عاد **فان الله غفور** رحيم لا يؤاخذه بذلك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده **ماذا احل لهم** كأنه قيل يقولون
لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل
لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم
كأنهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل **احل لكم الطيبات** اي ما ليس
بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد **وما علمتم من الجوارح** عطف على الطيبات اي
احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها **فكلوا** والجوارح الكواسب من سباع
البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والبازي والصقر والشاهين **والمكلب** مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر
ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك فأكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به
وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت فائدتها ان
يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب **تعلمونهن** حال ثانية او استئناف وفيه فائدة
جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه
وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله
مما علمكم الله من علم التكليف لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه
وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان

كثيراً والإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه. وعن علي رضي الله
عنه إذا أكل البازي فلا تأكل. وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه
في سباع الطير. ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلاً ولم يفرق بين إمساك الكلب والبعض. وعن سلمان وسعد بن أبي وقاص
وأبي هريرة رضي الله عنهم إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل. فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله واذكروا
اسم الله عليه. قلت إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ما علمتم من الجوارح أي سموا
عليه عند إرساله. وطعام الذين أوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي
رضي الله عنه أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعي
وعن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه
وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا
يقرؤون كتاباً ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب. وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية
منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم. وقد روي عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم مريضاً فأمر المجوسي أن يذكر اسم
الله ويذبح فلا بأس. وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء. وطعامكم حل لهم فلا عليكم أن تطعموهم
لأنه لو كان حراماً عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم. والمحصنات الحرائر أو العفائف وتخصيصهن
بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء
الكتابيات فعند أبي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي. وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركاً أعظم من قولها إن ربها عيسى. وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وإنما رخص لهم
يومئذ محصنين أعفاء ولا متخذي أخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى ومن يكفر بالإيمان بشرائع الإسلام وما أحل
الله وحرم. إذا قمتم إلى الصلاة كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك إذا ضربت غلامك فهون عليه في أن المراد
إرادة الفعل. فإن قلت لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل. قلت لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له
وهي قصده إليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الإنسان لا يطير والأعمى لا
يبصر أي لا يقدران على الطيران والإبصار. ومنه قوله تعالى نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين يعني إنا كنا قادرين على
الإعادة كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة فأقيم المسبب مقام السبب
للملابسة بينهما ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ
الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه. وقيل معنى قمتم إلى الصلاة قصدتموها لأن من توجه إلى الشيء
وقام إليه كان قاصداً له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام إليه. فإن قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على
كل قائم إلى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه. قلت يحتمل أن يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين
خاصة وأن يكون للندب. وعن رسول الله والخلفاء بعده أنهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة. وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات. وعنه عليه السلام أنه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح

مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئاً لم تكن تصنعه فقال عمداً فعلته يا عمر يعني بياناً
للجواز. فإن قلت هل يجوز أن يكون الأمر شاملاً للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الإيجاب ولهؤلاء على وجه الندب. قلت لا
لأن تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية. وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجباً أول ما فرض ثم نسخ. إلى
تفيد معنى الغاية مطلقاً فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة
إلى ميسرة لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظراً في كلتا الحالتين
معسراً وموسراً. وكذلك ثم أتموا الصيام إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال. ومما فيه دليل على الدخول قولك
حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله. ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى لوقوع العلم بأنه لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله. وقوله إلى المرافق وإلى الكعبين لا دليل فيه على
أحد الأمرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها. وعن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدير الماء على مرفقيه. وامسحوا برؤوسكم المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح
بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه. وقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على
اختلاف الرواية. وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله وهو ما
روي أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس. وقرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة.
فإن قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح. قلت الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها
فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد
في صب الماء عليها. وقيل إلى الكعبين فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في
الشريعة. وعن علي رضي الله عنه أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزاً فقال ويل للأعقاب من النار
فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلاً ويدلكونها دلكاً. وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه فتوضأ قوم وأعقابهم بيض
تلوح فقال ويل للأعقاب من النار. وفي رواية أبي هريرة ويل للعراقيب. وعن عمر أنه رأى رجلاً يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره
بإعادة الوضوء وذلك للتغليظ عليه. وعن عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين. وعن عطاء والله
ما علمت أحداً من أصحاب رسول الله مسح على القدمين. وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح. وعن الحسن
أنه جمع بين الأمرين. وعن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة. وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة
أو ممسوحة إلى الكعبين. وقرئ فاطهروا أي فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فأموا صعيداً ما
يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء
وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم. واذكروا نعمة الله عليكم
وهي نعمة الإسلام وميثاقه الذي واثقكم به أي عاقدكم به عقداً وثيقاً وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم
رسول الله على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا. وقيل
هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان. عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمناً معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم
ويجوز أن يكون قوله أن لا تعدلوا بمعنى على أن لا تعدلوا فحذف الجار مع أن. ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على مليء فليتبع لأنه بمعنى أحيل
بمعنى

قوله إلى الرابع يعني في التعداد

أو نساء أو قتل أولاد

وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليّان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم
بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد
أو ما أشبه ذلك اعدلوا هو أقرب للتقوى نهاهم أولاً أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل
تشديداً وتأكيداً ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب إلى التقوى وأدخل في
مناسبتها أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفاً فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا
كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه لهم مغفرة وأجر عظيم بيان للوعد بعد
تمام الكلام قبله كأنه قال قدم لهم وعداً فقيل أي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على إرادة
القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول أو يجعل وعد واقعاً على الجملة
التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد
هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به
ويستروحون إليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول إلى الثواب روي أن المشركين رأوا رسول الله
وأصحابه [illegible] قاموا إلى الظهر يصلون معاً وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا
عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا
إليها فرد الله كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف وروي أن رسول الله صلى الله عليه أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم
دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه
في صفة وهموا بقتله وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج
وقيل نزل رسول الله منزلاً وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فسل
سيف رسول الله ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثاً فشام الأعرابي السيف فصاح رسول الله بأصحابه
فأخبرهم وأبى أن يعاقبه يقال بسط إليه لسانه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ويبسطوا إليكم أيديهم
والشتم والمعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به ألا ترى إلى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى
فكف أيديهم عنكم منعها أن تمد إليكم نعمة الله عليكم لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحا
أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم إني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرجوا إليها وجاهدوا من
فيها وإني ناصركم وأمر موسى بأن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار
النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون
فرأوا أجراماً عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا
الميثاق إلا كالب بن يوقنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط إفرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب
الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لأنه يتعرفها إني معكم أي ناصركم ومعينكم وعزرتموهم
نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت
الرجل إذا حطته وكنفته والتعزير والأزر من واد واحد ومنه لأنصرنك نصراً مؤزراً أي قوياً

ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكاً ينقبون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن
المنكر واللام في لئن أقمتم موطئة للقسم وفي لأكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعاً
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فإن قلت من كفر قبل ذلك أيضاً فقد ضل سواء السبيل قلت أجل ولكن الضلال
بعده أظهر وأعظم لأن الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فإذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم
طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم
الألطاف حتى قست قلوبهم أو أملينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرأ عبد الله قسية أي رديئة مغشوشة
من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي
والقاسح بالحاء أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للإتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة
قلوبهم لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظاً وتركوا نصيباً جزيلاً وقسطاً وافياً مما ذكروا به
من التوراة يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة
وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بالمعصية بعض العلم وتلا هذه الآية وقيل
تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع أي هذه عادتهم وهجيراهم
وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون
بالفتك بك وأن يسموك على خائنة على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل
خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع
وقرئ على خيانة منهم إلا قليلاً منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم بعث على مخالقتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف
وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم أخذنا ميثاقهم أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى أي
مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسل وبأفعال الخير وأخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم فإن قلت فهلا قيل من النصارى
قلت لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية
وملكانية أنصاراً للشيطان فأغرينا فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه
الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً
[illegible] يا أهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله
ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة إلا افتضاحكم
ويبين ما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وإماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا
يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافياً على الناس
من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل
الله قالوا إن الله هو المسيح معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً
قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر
العالم فمن يملك من الله شيئاً فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئاً إن أراد أن يهلك من دعوه إلهاً المسيح وأمه دلالة على أن

المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية
يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم او يخلق ما يشاء
كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على
يده نحن ابناء الله اي اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما كان
يقول رهط مسيلمة نحن ابناء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن ال فرعون لكم الملك
اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار
اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير متصفين بالقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم
احباءه ما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب
من يشاء وهم العصاة ... يبين لكم اي الدين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهوره او ما كتمتم وحذفه لتقدم ذكره او لا تقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان والجملة في محل النصب على الحال اي مبينا لكم
على فترة متعلق بجاء اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا
ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ... وقيل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما خمسمائة وتسع وستون سنة
وقيل ستمائة ... وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي
وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم
بان الرسول بعث اليهم حين انطمس اثار الوحي احوج ما كانوا اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب
الى الرحمة وتلزم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في
امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك
تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له
مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق
واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل
اراد عالمي زمانهم الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض
الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت
المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على
ادباركم ولا ترجعوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا
متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على اديانكم في
دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والاخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتاتى لنا مقاومتهم والجبار فعال من جبره على
الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريده قال رجلان من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافونهم اي بنو اسرائيل وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان والثبات قالا لهم ان العمالقة اجسام لا
من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فامنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا

ثم خافوهم

قلوب فيها ولا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم تشجيعا لهم على قتالهم وقراءة من قرى يخافون بالضم شاهدة له
وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكير والموعظة
او يخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف
لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى
بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى
في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والنار قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس
ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول او تقول كلمة فذهب ليخبيي يريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا
ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء او قصدوا ذهابهما حقيقة لجهلهم وجفاء طبعهم وقسوة
قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى
وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم
في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا انا ها هنا قاعدون لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا
من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون قال رب اني لا املك الا نفسي
واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه
قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة
فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا
عطفا على نفسي او على الضمير في اني ولا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان
واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا
عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على الضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان
المذكوران قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال
قومه وتلونهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم
تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يواخيني على ديني فافرق بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم
بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا
وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا
يملكونها فان قلت كيف نوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا
اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان
ما كتب فقد روي ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض
وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وتابعوه وسار بهم
الى اريحا وقتل الجبابرة واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها

فيهلكوا في التيه ونشأت نواشئهم من ذرياتهم فقاتلوا الجبابرة ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما
يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة
في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا امسوا واصبحوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم
من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم
مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما
ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده
ويؤدبه ليتأدب ولا ينقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما
السلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى من ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا
معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات
موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا
تأس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء بذلك لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم ابني آدم قابيل
وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد
عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته
فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة
او اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا
يحسدونه ورسول الله ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق اذ قربا نصب بالنبأ اي قصتهم وحديثهم في ذلك
الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب
الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب
قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين
جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما
اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على التقوى
التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله لا يقبل طاعة
الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له
ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني سمعت الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل كان هابيل
اقوى من القاتل وابطش منه ولكن تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا
في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف
يحمل اثم قتله ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت
كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى
البادي ما لم يعتد المظلوم على البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه

محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة
واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم
حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل
اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة
اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان
يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب فان
قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل
ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته
من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه
كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو
ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا روي انه اول قتيل
قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على
ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم القاه في الحفرة قال يا ويلتا اعجزت وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه
وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو
كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه ليريه الله او ليريه الغراب
اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف
من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا لقومي للسوأة السوآء اي الفضيحة العظيمة وكنى بها عنها فاواري
بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف من النادمين
على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم
ندم التائبين من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله
واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله
اي من جنى ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتدأ الكتب ونشأ من اجل ذلك ويقال
فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل وقرئ من اجل ذلك بحذف
الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا
كسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد
في الارض وهو الشرك او قطع الطريق ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او
هدم او غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من

الكرامة على الله وثبوت الحرمة فإذا قتل واحدا هُين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق بين الواحد والجمع
في ذلك فإن قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا
في المحاماة على حرمتها لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك
الذي أراد إحياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك
وعن الحسن أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازي ذلك فكذلك إذا قتلت واحدا كلا إنه شيء سولته لك نفسك
والشيطان فكذلك إذا قتلت واحدا بعد ذلك بعدما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني في القتل لا
يبالون بعظمته يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الأرض فسادا
مفسدين أو لأن سعيهم في الأرض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الأرض فانتصب فسادا على المعنى
ويجوز أن يكون مفعولا له أي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم
يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين والمعنى أن يقتلوا أو يجمع بين القتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد
القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لأخذ المال ورجله لإخافة السبيل ومن أفرد الإخافة نفي من الأرض وقيل
هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان أو مسلما ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل أو يصلبوا مع القتل إن جمعوا
بين القتل والأخذ قال أبو حنيفة يصلب حيا ويطعن حتى يموت أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إن أخذوا المال أو ينفوا
من الأرض إن لم يزيدوا على الإخافة وعن جماعة منهم الإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من
غير تفصيل والنفي الحبس عند أبي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد إلى بلد ولا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده
وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة إلا الذين تابوا
استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء إن شاءوا عفوا
وإن شاءوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه أن الحرث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ
عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله من
فعل الطاعات وترك المعاصي وأنشد للبيد أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ألا كل ذي لب إلى الله واسل
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لأنفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر
من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر أن فإن قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو نحو قوله
فإني وقيار بها لغريب أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة كأنه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز أن تكون الواو في ومثله بمعنى
مع فيتوحد المرجوع إليه فإن قلت فبم ينصب المفعول معه قلت بما يستند إليه لو من الفعل لأن التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض
قرأ أبو واقد أن يخرجوا بضم الياء من أخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة أن نافع بن
الأزرق قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال
ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن
الأزرق ابن عم رسول الله وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الأمة وبحرها

بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا ويرفعه إلى عكرمة دليلان ناصان أن الحديث فرية ما فيها مرية
والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة
أي حكمهما ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا أيديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن
المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول تضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها
سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن زيدا فاضربه أحسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما
اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات
فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي
يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر
من قطع يدك في درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته وأصلح أمره بالتفصي
عن التبعات فإن الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه
وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل
يسقط حد الحربي إذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لأن في إقامته
الصلاح للمؤمن والحياة ولكم في القصاص حياة فإن قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لأنه قوبل بذلك تقدم
السرقة على التوبة قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في
إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه
الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه أسرع
شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا بأفواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما
قبله خبر سماعون أي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم
سماعون والضمير للفريقين أو للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الأحبار ويفتعلونه
من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم
يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة
أي قابلون من الأحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك وقيل سماعون إلى رسول الله
لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لأجل قوم آخرين
من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون
الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع إن
أوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا أنه الحق واعملوا به وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد بخلافه فاحذروا
وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال وروي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا
رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم

ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على
وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور
وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب
عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله عن اشيا كان يعرفها من اعلامه
فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند
باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه
شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ان يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع
ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا اكالون للسحت كل ما لا يحل كسبه
وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف
والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشى على
الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه
وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وعن علي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه
فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما صنع فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب اكالون
للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا
تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام
المسلمين فان شاءوا حكموا وان شاءوا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة
رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد
واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم
من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا
لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم
شق عليهم وكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه فامن الله سربه فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم
الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به فيها حكم الله
وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت
ما موضعه من الاعراب قلت اما ان ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها
كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن
التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فان قلت لم انثت التوراة
قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت على
يحكمونك فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على

سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعدا
من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا
منادٍ على ذلك والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود
بما استحفظوا من كتاب الله بما سالهم انبياؤهم حفظه من التوراة اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير
والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التوراة النبيون بين موسى
وعيسى وكان بينهما الف نبي للذين هادوا يحملونهم على احكام التوراة لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار
المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير
في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء
فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به
من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا
بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا
احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن
ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب
من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون في اليهود
والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل
لتركبن طريقتهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا في مصحف ابي وانزل الله على
بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان
النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس
مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج ولو قرئ ان
النفس بالنفس بالكسر لكان صحيحا او للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا
قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مقطوعة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن عباس
كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به
كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم
عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو
كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره
على الله وترغيب في العفو وقفينا مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة البا

فإن قلت فأين المفعول الأول في قفينا قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به
إياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين أسلموا وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة فإن صح عنه فلأنه
أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال
وهدى وموعظة يجوز أن ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كأنه قيل وللهدى والموعظة
آتيناه الإنجيل وللحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام فإن قلت فإن نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله
وليحكم قلت أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فأقدر وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله
آتيناه إياه وقرئ وليحكم على لفظ الأمر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة أبي وأن ليحكم بزيادة أن مع الأمر على أن أن
موصولة بالأمر كقولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل وقيل إن عيسى صلوات
الله عليه كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم
أهل الإنجيل بما أنزل الله يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وإن ساغ لقائل أن يقول معناه وليحكموا
بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة فإن قلت أي فرق بين التعريفين في قوله وأنزلنا إليك الكتاب وفي قوله لما
بين يديه من الكتاب قلت الأول تعريف العهد لأنه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز
أن يقال هو للعهد لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق وإنما أريد نوع معلوم منه وهو ما أنزل من
السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لأنه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم
أي هومن عليه بأن حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله
عز وجل أو الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه عليه كل أحد ولاشمأزوا رادين ومنكرين
ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كأنه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم لكل جعلنا منكم
أيها الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا
دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة
واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن أراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين
معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة
أم تتبعون الشبهة وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها إلى الله مرجعكم استئناف
في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم
ومفرطكم في العمل فإن قلت وأن احكم بينهم معطوف على ما قلت على الكتاب في قوله وأنزلنا إليك الكتاب كأنه قيل
وأنزلنا إليك أن احكم على أن أن وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال ويجوز أن يكون معطوفا على بالحق أي أنزلناه
بالحق وبأن احكم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أن يضلوك عنه ويستزلوك وذلك أن كعب بن أسيد وعبد الله
بن صوريا وشأس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت
أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك
فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله فنزلت فإن تولوا عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا

غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع
ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الإبهام لتعظيم التولي
واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حمامها أراد نفسه
وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا أي نفس فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى
البعضية فكذلك إذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد
العظيم والاعتداء في الكفر أفحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان أحدهما أن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به
أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا
نرضى بذلك فنزلت والثاني أن يكون تعييرا لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل
لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم
الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ يبغون
بالياء والتاء وقرأ السلمي أفحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وإيقاع يبغون خبرا وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه
عن الصلة في أهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في الناس رجلان رجل أهنت ورجل أكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب
زيد وقرأ قتادة أفحكم الجاهلية على أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به أفعى حزاز أو نظيره من حكام الجاهلية
فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام
في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن
حكما منه لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم
علل النهي بقوله بعضهم أولياء بعض أي إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم
ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فإنه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف
في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كاتبه
النصراني لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأمنوهم إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله وروي أنه قال له
أبو موسى لا قوام للبصرة إلا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب أنه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة
واستغن عنه بغيره إن الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم
مقتا لهم يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر
الزمان أي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه
قال لرسول الله إن لي موالي من يهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله
فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول
الله على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون
نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن
أن يتم له أمر وبالحري أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بإظهار

أسرار المنافقين في قلوبهم ويندموا على نفاقهم. وقيل أو أمر من عنده لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم
الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب. ويقول الذين آمنوا: قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع
على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت. وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام
كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا. فإن قلت
لمن يقولون هذا القول؟ قلت إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما منّ الله عليهم من التوفيق في الإخلاص
أهؤلاء الذين أقسموا لكم بأغلظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم
بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم. حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا
تكلفوها في رأي أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة
لهم بحبوط الأعمال وتعجبا من سوء حالهم. وقرئ من يرتدد ومن يرتد وهو في الإمام بدالين وهو من الكائنات التي أخبر
عنها في القرآن قبل كونها. وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج
ورئيسهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله فكتب رسول
الله إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيّته فقتله وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتل
فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول. وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول
الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. فحاربه أبو بكر رضي الله عنه
بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد
في جاهليتي وإسلامي. وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام
ثم أسلم وحسن إسلامه. وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة
القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري
أمّت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب. وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين
قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يد أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان
قوم جبلة بن الأيهم الذي نصّرته اللطمة وسيّرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه. فسوف يأتي الله بقوم قيل لما نزلت
أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا. وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من
كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية. وقيل هم الأنصار. وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس.
يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله تعالى لعباده
أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم
وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المتفعلة

المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها
الله بأبيات الغزل المعمولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور
فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فإن الهاء راجعة إلى الذات دون
النعوت والصفات ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فما لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة. فإن قلت أين
الراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط؟ قلت هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم أو ما
أشبه ذلك. أذلة جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عليه أن ذلولا
لا يجمع على أذلة. فإن قلت هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين؟ قلت فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف
كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون
لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا أشداء على الكفار رحماء بينهم. وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال. ولا يخافون لومة لائم
يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود
لعنت فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما
المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط. وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل
الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم
قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم. واللومة المرة من اللوم
وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللوام. ذلك إشارة إلى ما وصف به القوم من
المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة. يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم أن له لطفا. واسع كثير الفواضل
والألطاف. عليم بمن هو من أهلها. عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله إنما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا. ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة. فإن قلت قد ذكر جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم؟
قلت أصل الكلام إنما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله
والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع. وفي قراءة
عبد الله إنما مولاكم. فإن قلت الذين يقيمون ما محله؟ قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين يقيمون
أو النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل.
وهم راكعون الواو فيه للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا
صلوا وإذا زكوا. وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة وأنها نزلت في علي رضي
الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير
عمل تفسد بمثله صلاته. فإن قلت كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت جيء به على لفظ الجمع وإن
كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن
تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم في
الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها. فإن حزب الله من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فإنهم هم الغالبون ولكنهم بذلك

جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون
المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث كانا قد اظهرا الاسلام
ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم
اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من
الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب
والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرهم ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا
يابى موالاة اعداء الدين اتخذوها الضمير للصلاة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد
ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت واحترق
البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم
من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى
هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم
فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وتمردكم وخروجكم
عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون
على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا
الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان
مع ان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان
لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن
له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم
وقرأ نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بالفعل المحذوف الذي دل عليه هل تنقمون
اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم
انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك اشارة الى المنقوم
ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل
الرفع على هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثوبة
ومثالهما مشورة ومشورة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة
موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم
اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم
من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة
من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وعن ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعبد

الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ
في الحذر والفطنة قال أبني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد
الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار
الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت
كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك
ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله
ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي
الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطاغوت وقيل جعل منهم القردة
اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم
مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم
اولئك هم الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك
اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا
من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره
ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا به ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وليعلم
ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله
قالوا آمنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك
وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه
بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل
يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه
اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا
من المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه هي
اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه
قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط
ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه
يستعمل في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع
الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل
والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله: إذ أصبحت بيد الشمال زمامها. ويقال: بسط اليأس كفيه في صدري، فجعلت لليأس الذي هو من
المعاني لا من الأعيان كفان. ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية، ولم يتخلص
من يد الطاعن إذا عبثت به. فإن قلت: قد صح أن قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل، فما تصنع بقوله غلت أيديهم، ومن
حقه أن يطابق ما تقدمه، وإلا تنافر الكلام وزل عن سننه؟ قلت: يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد، ومن ثم
كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم، ونحوه بيت الأشتر: بقيت وفري وانحرفت عن العلى. ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل
الأيدي حقيقة، يغلون في الدنيا أسارى، وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم. والطباق من حيث اللفظ وملاحظة
أصل المجاز، كما تقول: سبني سب الله دابره، أي قطعه، لأن السب أصله القطع. فإن قلت: كيف جاز أن يدعو الله
عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد؟ قلت: المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم، فيزيدون بخلا إلى بخلهم ونكدا
إلى نكدهم، أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم.
فإن قلت: لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي في يد الله مغلولة مفردة؟ قلت: ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل
على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا، فبني
المجاز على ذلك. وقرئ: ولعنوا بسكون العين، وفي مصحف عبد الله: بل يداه بسطان، يقال: يده بسط بالمعروف، ونحوه
مشية سجح، وناقة سرح. ينفق كيف يشاء: تأكيد للوصف بالسخاء، ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة
والمصلحة. وروي أن الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا، فلما عصوا الله في محمد صلى الله
عليه وسلم وكذبوه كف الله ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص: يد الله مغلولة، ورضي بقوله
الآخرون فأشركوا فيه. وليزيدن: أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله.
وألقينا بينهم العداوة، فكلمهم أبدا مختلف، وقلوبهم شتى، لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد. كلما أوقدوا نارا: كلما
أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا، ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط، وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس.
وقيل: خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر، ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي، ثم أفسدوا فسلط
عليهم المجوس، ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين. وقيل: كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم. وعن قتادة: لا تلقى
اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس. ويسعون: ويجتهدون في الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله من
كتبهم. ولو أن أهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به، وقرنوا إيمانهم بالتقوى
التي هي الشريطة في الفوز بالإيمان، لكفرنا عنهم تلك السيئات، ولم نؤاخذهم بها، ولأدخلناهم مع المسلمين الجنة.
وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم، ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على
كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى، وأن الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعا
بالتقوى، كما قال الحسن: هذا العمود فأين الأطناب؟ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل: أقاموا أحكامهما وحدودهما
وما فيهما من نعت رسول الله. وما أنزل إليهم من سائر كتب الله، لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها، فكأنها أنزلت إليهم.
وقيل: هو القرآن. لوسع الله عليهم الرزق، وكانوا قد قحطوا. لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم: عبارة عن التوسعة.
وفيه ثلاثة أوجه: أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض، وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة، وأن

يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رءوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم.
منهم أمة مقتصدة: طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله. وقيل: هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية
وأربعون من النصارى. وساء ما يعملون: فيه معنى التعجب، كأنه قيل: وكثير منهم ما أسوأ عملهم. وقيل: هم كعب بن الأشرف
وأصحابه والروم. بلغ ما أنزل إليك: جميع ما أنزل إليك، وأي شيء أنزل إليك، غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف أن
ينالك مكروه. وإن لم تفعل: وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته. وقرئ: رسالاته. فلم تبلغ إذا ما كلفت من
أداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض، فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها
جميعا، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها، لإدلاء كل منها بما يدليه غيرها، وكونها لذلك في حكم شيء واحد، والشيء
الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ، مؤمنا به غير مؤمن. وعن ابن عباس رضي الله عنه: إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي. وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا، فأوحى الله إلي: إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك، وضمن
لي العصمة فقويت. فإن قلت: وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما
أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا، كان أمرا شنيعا لا خفاء بشناعته، فقيل:
إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كلمة واحدة فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها، كما عظم قتل النفس بقوله: فكأنما
قتل الناس جميعا. والثاني أن يراد: وإن لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب، فوضع السبب موضع المسبب،
ويعضده قوله عليه السلام: فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك. والله يعصمك: عدة من الله بالحفظ والكلاءة، والمعنى:
والله يضمن لك العصمة من أعدائك، فما عذرك في مراقبتهم؟ فإن قلت: أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت
رباعيته؟ قلت: المراد أنه يعصمه من القتل، وفيه أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم السلام.
وقيل: نزلت بعد يوم أحد. والناس: الكفار، بدليل قوله: إن الله لا يهدي القوم الكافرين. ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله
بك من الهلاك. وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت، فأخرج رأسه من قبة أدم وقال: انصرفوا أيها الناس فقد عصمني
الله من الناس. لستم على شيء: أي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه، كما تقول: هذا ليس بشيء، تريد تحقيره
وتصغير شأنه. وفي أمثالهم: أقل من لا شيء. فلا تأس: فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا
إليك، وفي المؤمنين غنى عنهم. والصابئون: رفع على الابتداء وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها
وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك. وأنشد سيبويه شاهدا له:
وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق. أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك. فإن قلت: هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على
محل إن واسمها؟ قلت: لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيدا وعمرو منطلقان. فإن قلت: لم لا يصح والنية به التأخير، فكأنك
قلت: إن زيدا منطلق وعمرو؟ قلت: لأني إذا رفعته رفعته عطفا على محل إن واسمها، والعامل في محلهما هو الابتداء، فيجب أن
يكون هو العامل في الخبر، لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمهما إن في عملها، فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير
بالابتداء وقد رفعت الخبر بإن لأعملت فيهما رافعين مختلفين. فإن قلت: فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو؟
قلت: هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره، ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها. فإن
قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان

غيا

والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبأوا عن
الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به
قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين وايا كم
لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال
لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت كيف قال للذين آمنوا ثم قال من آمن قلت فيه وجهان
ان يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه
فان قلت ما محل من آمن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي
خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت فاين الراجع الى اسم ان قلت هو محذوف
تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون
والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي
والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل بالتوحيد
وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع
محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فان قلت
اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول
ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم
ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا
والآخر مضارعا قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة
للتعجب منها وقرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت
ان وحذف ضمير الشان فان قلت كيف دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم
منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين
والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا
حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات
الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما تقول نزكته اذا
ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدأ
محذوف اي اولئك كثير منهم لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على
النصارى انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين
اي حرمه دخولها ومنعه منها كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله عز وجل اي انهم ظلموا وعدلوا عن
سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين
من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا
ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله من في قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي

الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك
له ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم
قلت في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة
اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم
اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان
يتناولها عشرون ويجوز ان تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية
افلا يتوبون الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من
اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من
جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ الله الابرص واحيا الموتى على يده فقد احيا العصا
وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة
اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي
فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم
بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام
وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة
وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة
على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه
ما بين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وان اعراضهم عنها اعجب منه ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع
ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة
الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه
شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على
كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي
يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح ان يسمع كل مسموع ويعلم كل
معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا
لان الغلو في الدين غلوان غلو حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن ابعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل
المتكلمون من اهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة
واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله عن سواء السبيل حين كذبوه
وحسدوه وبغوا عليه نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا
في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر

بعد ما أكل من المائدة عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنا أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما
فيهم امرأة ولا صبي **ذلك بما عصوا** أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سببا لمسخهم إلا لأجل المعصية والاعتداء
لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله **كانوا لا يتناهون** لا ينهى بعضهم بعضا **عن منكر فعلوه** ثم قال **لبئس ما كانوا يفعلون**
للتعجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكر
وقلة عبئهم به كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب فإن قلت
كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل أن الله عز وجل أمر بالتناهي فكان الإخلال به معصية
وهو اعتداء لأن في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فإن قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون
النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله كما
ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز أن يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه
بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه **ترى كثيرا منهم** هم
منافقوا أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم **أن سخط الله عليهم** هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه
قيل لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله **ولو كانوا يؤمنون** إيمانا خالصا غير نفاق
ما اتخذوهم أولياء يعني أن موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وأن إيمانهم ليس بإيمان **ولكن كثيرا منهم فاسقون**
متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم
يوالهم المسلمون وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم
وميلهم إلى الإسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين
أشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ولعمري إنهم لكذلك وأشد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين **بأن منهم
قسيسين ورهبانا** أي علماء وعبادا وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل
على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة
وإن كان في راهب والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن
وذلك نحو ما حكي عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يغرونه
عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب إليها فقرأها إلى قوله ذلك عيسى بن مريم
وقرأ سورة طه إلى قوله هل أتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون
رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا فإن قلت بم تعلق اللام في قوله **للذين آمنوا**
قلت بعداوة ومودة على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها وأن مودة النصارى التي
اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجودا وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة
مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالأشد والأقرب فإن قلت ما معنى قوله **تفيض من الدمع** قلت
معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو

من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من إقامة المسبب مقام السبب أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها
تفيض بأنفسها أي تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فإن قلت أي فرق بين من ومن في قوله **مما
عرفوا من الحق** قلت الأولى لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين
الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف إذا عرفوه كله
وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول **ربنا آمنا** المراد به إنشاء الإيمان والدخول
فيه **فاكتبنا مع الشاهدين** مع أمة محمد الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا
ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك **وما لنا لا نؤمن** إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في
إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك أو أرادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده
لأنهم كانوا مثلثين وذلك ليس بإيمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في **ونطمع**
واو الحال فإن قلت ما العامل في الحال الأولى والثانية قلت العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل كأنه قيل أي شيء
حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الأولى لأنك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن
كلاما ويجوز أن يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا على أنفسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا
الصالحين وأن يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين أو على وما لنا لا نجمع بينهما
بالدخول في الإسلام لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين من الحسن **فأثابهم الله بما قالوا** بما تكلموا به عن اعتقاد
وإخلاص من قولك هذا قول فلان أي اعتقاده وما يذهب إليه **طيبات ما أحل الله لكم** ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا
تحرموها لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في
بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله فقال لهم إني
لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم
وقال إن المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود أن رجلا قال له إني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر
عن يمينك وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج
المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن
عليه وقال يا فريقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول
لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال إنه جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ
وعنه إن الله أدب عباده فأحسن أدبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فشكروا وأطاعوا
ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه **ولا تعتدوا** ولا تعدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا
في تناول الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا
لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك **وكلوا مما رزقكم الله**
أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا **حلالا** حال

بما رزقكم الله واتقوا الله تأكيد للوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في
الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها أنها
سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه
كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة بما عقدتم الأيمان بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية وروي أن الحسن
سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد
عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم … ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف ذكر المؤاخذة
لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها
أن تكفر الخطيئة أي تسترها من أوسط ما تطعمون من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر
وهو عند أبي حنيفة نصف صاع من بر أو صاع من غيره … أو تغديتهم وتعشيتهم وعند الشافعي مد لكل
مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء … جمع أهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض
وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء … كما قالوا معدي كرب تشبيها بالياء
بالألف أو كسوتهم عطف على إطعام أو على من أوسط … وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وأسوة في إسوة والكسوة ثوب
يغطي العورة وعن ابن عباس … وعن مجاهد ثوب جامع وعن
الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب اليماني أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم
عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فإن قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره أو طعامهم كأسوتهم بمعنى
كمثل طعامهم إن لم يطعمهم الأوسط أو تحرير رقبة شرط الشافعي فيه الإيمان قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه
فعندهم يجوز تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى كفارة القتل فإن قلت ما معنى أو قلت التخيير وإيجاب إحدى الكفارات
الثلاث على الإطلاق بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب فمن لم يجد إحداها فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة تمسكا
بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم في القرآن متتابع إلا قضاء رمضان وتخيير في
كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة أيمانكم ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى
إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث
لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي … إذا لم يكن الحنث واحفظوا أيمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا
إذا لم يكن الحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها
بأن لا تنكثوها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته
أعلام شريعته وأحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه إنما الخمر والميسر الآية أكد تحريم الخمر والميسر
وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن
ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا
يأتي منه إلا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا
كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر

والقمار وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله فهل أنتم منتهون من أبلغ ما ينهى
به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا
ولم تزجروا فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن الخمر والميسر
أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام
أولا ثم أفردهما آخرا قلت لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر
الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه
بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر
ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلاة
خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خاشين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة
ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر أو في ترك طاعة الله والرسول فإن توليتم فاعلموا أنكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم
رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها
وآمنوا وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ثم اتقوا وأحسنوا
ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما
نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت
يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا
على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ومثاله
أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح فتقول ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم
وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل ليبلونكم نزلت في عام الحديبية ابتلاهم
بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه
فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فإن قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من
الصيد قلت قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تطيش عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح
والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو
أشد منه وقرأ إبراهيم يناله بالياء حرم محرمون جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد أن يقتله وهو ذاكر
لإحرامه أو عالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس
بصيد فإذا هو صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ فإن قلت
فمحظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لأن مورد الآية فيمن تعمد
فقد روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل إنك

فقتل الصيد وانه محرم مرات ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ودل عليه قوله **ليذوق وبال أمره** **ومن عاد فينتقم الله منه** وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيئاً أخذاً باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان **فجزاء مثل ما قتل** برفع جزاء ومثل جميعاً بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند أبي حنيفة قيمة الصيد يقوّم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاماً فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوماً أو تصدق به وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فإن لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى قول أبي حنيفة فإن قلت فما يصنع من فسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله **هدياً بالغ الكعبة** قلت قد خيّر من أوجب القيمة بين أن يشتري بها هدياً أو طعاماً أو يصوم كما خيّر الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بياناً للهدي المشترى بالقيمة في أحد وجوه التخيير لأن من قوّم الصيد واشترى بالقيمة هدياً فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على أن التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدي أو يكفر بالإطعام أو الصوم إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوّم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار فأما إذا عمد إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فإذا كان شيئاً لا نظير له قوّم حينئذ ثم يخير بين الإطعام والصوم ففيه نبوّ عما في الآية ألا ترى إلى قوله **أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما** كيف خير بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الإضافة وأصله فجزاء مثلَ ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه أن يجزي مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضربٍ زيداً ثم من ضربِ زيدٍ وقرأ السلمي على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاءً مثلَ ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاءً مثل ما قتل وقرأ الحسن **من النعم** بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه **يحكم به** بمثل ما قتل **ذوا عدل منكم** حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة وعن قبيصة أنه أصاب ظبياً وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره فأقبل عليه ضرباً بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل أراد الإمام **هدياً** حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لأن الصفة خصصته فقربته من المعرفة أو بدل عن مثل فيمن نصبه أو عن محله فيمن جره ويجوز أن ينتصب حالاً عن الضمير في به ووصف هدياً ببالغ الكعبة لأن إضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق به فحيث شئت عند أبي حنيفة وعند الشافعي في الحرم فإن قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل أو الواجب عليه كفارة أو يقدر فعليه أن يجزي جزاء أو كفارة فيعطفها على أن يجزي وقرئ أو كفارة طعامِ مساكين على الإضافة وهذه الإضافة مبينة كأنه قيل أو كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الأعرج أو كفارة طعام مسكين وإنما وحّد لأنه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ أو عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله

من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوهما الحَمل والحِمل **وذلك** إشارة إلى الطعام **وصياماً** تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلاً والخيار في ذلك إلى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف وعند محمد إلى الحكمين **ليذوق** متعلق بقوله فجزاء أي فعليه أن يجازي أو يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام **والوبال** المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فأخذناه أخذاً وبيلاً ثقيلاً والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ **عفا الله عما سلف** لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً **ومن عاد** إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه **فينتقم الله منه** فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر وأنه لم يذكر الكفارة **صيد البحر** مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل **وطعامه** وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة رحمه الله وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه **متاعاً لكم** مفعول له أي أحل لكم تمتيعاً لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لأن قوله متاعاً لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعني أحل لكم طعامه تمتيعاً لتنائكم يأكلونه طرياً ولسيارتكم يتزودونه قديداً كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر وقرئ وطعمه **وصيد البر** ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كطير الماء عند أبي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يأمر ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح له ما صيد لأجله فإن قلت ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر **ما دمتم حرماً** لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر أي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام **البيت الحرام** عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك **قياماً للناس** انتعاشاً لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا ولم يؤخروا **والشهر الحرام** الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأناً قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الأشهر الحرم **والهدي والقلائد** والمقلد منه خصوصاً وهو البدن لأن الثواب فيه أكثر

وبها الحج معد اطهر ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره
لتعلموا ان الله يعلم كل شي وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به ونهاكم عنه شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم
لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به والرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ
وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط البون من الخبيث والطيب بعيد عند اولى الالباب
كان فيما عندكم ولا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب ... في الكثرة من الفضل لا
توازي النقصان في الخبث وان الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب
وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله واثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية ان تكتب
بماء الذهب ... لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم لا يدهشكم من
دهائهم عدد فان خلتهم بذلك لهم نقص وقد نزلت في حجاج اليمامة ... المسلمون ان يوقعوا بهم فهوا عن
الايقاع بهم وان كانوا مشركين ... الجملة الشرطية والمعطوفة عليها صفة اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها
حين ينزل القران تبد لكم صفة لاشيا والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله عما لو عرفت لكم ساءكم علمها او افتاكم بها
ذلك عليكم لاسيما تعيكم ويشق عليكم فيندموا على السوال عنها وذلك نحو ما روي انه لما فرغ من الحكم او عكاشة بن محصن
قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مسألته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه
وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجب ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم
فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن
شي فاجتنبوه وان تسلوا عنها حين ينزل القران وان تسلوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول
بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسوءكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها
عفا الله عنها عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما تفرط منكم بعقوبته فان
قلت كيف قال لا تسالوا عن اشياء ثم قال قد سالها ولم يقل قد سال عنها قلت الضمير في سالها ليس براجع الى اشياء حتى
يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا تسالوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين ثم اصبحوا
بها اي بمرجوعها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما
كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى
واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى
فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم واذا نتجت من صلب
الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا
امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ولا يشعرون الحرام
الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم الواو في قوله او لو كان اباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة
الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما

يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون يذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام
فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا اهتديتم كما قال
عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتاسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم
ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض
الضلال الذين فصلت الاية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن
يوشك ان ياتي زمان تامرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يامر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه
ليس هذا زمان تاويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك
فقال للسائل سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما
رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع امر العوام وان من ورائكم
اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له
سفهت اباك ولاموه فنزلت وعليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع
عليكم انفسكم بالرفع وهو لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وينصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون
جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون
نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ارتفع اثنان على انه خبر المبتدا الذي هو شهادة بينكم
على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرئ الشعبي
شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان اذا حضر طرف للشهادة حين الوصية
بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها
وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض
يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم
اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز
شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله
واشهدوا ذوي عدل منكم وروي ان ابن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين خرج مع عدي بن زيد وتميم
بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه
وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه واخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت تحبسونهما تقفونهما
وتصبرونهما للحلف من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او
الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى الله عليه وسلم صلاة العصر
ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل صلاة
اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما

حلفوهما وقال ان دينهما الشاهدان وقد نسخ حلف الشاهدين وان ابن الوصيان فليس بمنسوخ حلفهما وعن علي عليه
رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة
القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هؤلاء عادتهم في صدقهم
واماناتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي
الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يطرح حرف القسم ولا يعوض همزة الاستفهام
فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادا لولى
فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما
فان قلت كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو
قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخرج في الدرس علم انها صلاة الفجر ويجوز ان تكون اللام للجنس وان تقصد بالتحليف على اثر
الصلاة ان تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر
فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران
يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما
والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان
وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق عليهم اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم
على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على
الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به من يرى
رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا
فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشرى فان قلت ما وجه
قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهم علي وابي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم
الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان
الحكم ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو تلك الحادثة او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان تكرر ايمان شهود آخرين
فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع اجابة وقبول يوم يجمع الله الرسل منصوب في قوله واتقوا الله
وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او بقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل
بغيرهم او بمضمر اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي
اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا
للوائد فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون
الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا الى ربهم في الانتقام منهم
وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم السلام

وقالوا ان يتكلف بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم
على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول انت
اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول
ذلك يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط
مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم
فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد
راوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك
الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او وصفا لاسم ان اذ قال
الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من
الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعضهم عزير ابن الله وما اظهر
على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس
بالكلام الذي يحيا به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس
في المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولية وقيل
روح القدس جبريل صلوات الله عليه ايد به لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين
الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولية وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد
الذي يستنبأ فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصهما بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة
وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها
الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه
ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون واذ تخرج الموتى تخرجهم من القبور وبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين
وامراة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان
يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات
واذ اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله عيسى في محل النصب
على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو
والدليل عليه قوله احار بن عمرو كاني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك
بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن
ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمن معظم لربه وكذلك قول
عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله لا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من
الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل
تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده

اذا اعطاه وزيادة كانها تميز من تقدم اليه **ونكون عليها من الشاهدين** نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل
او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما
ذكروا كدعوى ابراهيم لا لما رواه ... عليها نبوة الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذ لم
حالفوا وقرئ **ونعلم** بالبناء للمفعول ونعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب **اللهم** اصله يا الله فحذف حرف
النداء وعوض عنه الميم **وربنا** نداء ثان **تكون لنا عيدا** اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه
النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يسمى يوم العيد عيدا ومعناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله
تكن على جواب الامر ونظيره يرثني ويرث **لاولنا واخرنا** بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا ولمن
ياتي بعدنا وقيل ياكل منها احد الناس كما ياكل اولهم ... والاسماع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا
والتانيث بمعنى الامة والجماعة **عذابا** بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما
يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم
الله عليها وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى
الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة
قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال
الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي
كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا الشرط
ومن قوله **فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه** قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا
الى يوم القيامة لقوله واخرنا والصحيح انها نزلت **سبحانك** من ان يكون لك شريك **ما يكون لي** ما ينبغي لي
ان اقول ولا لا يحق لي ان اقوله **في نفسي** في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام
طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وتسمية فعلك في نفسك لقوله في نفسي **انك انت علام الغيوب** تقرير للجملتين معا
لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما تعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد **ان** في قوله **ان اعبدوا
الله** ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل
القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسطهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن
ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله **ربي
وربكم** لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا
امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا

ان اعبدوا بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله
مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف تصنع
قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره
بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا **وكنت عليهم شهيدا** رقيبا كالشاهد
على المشهود عليه امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه **فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم** تمنعهم من القول به بما نصبت
لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل **ان تعذبهم فانهم عبادك** الذين عرفتهم عاصين جاحدين
لاياتك مكذبين لانبيائك **وان تغفر لهم فانك انت العزيز** القوي القادر على الثواب والعقاب **الحكيم** الذي لا يثيب ولا يعاقب
الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام
على ان قال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة
لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن **هذا يوم ينفع**
بالرفع والاضافة وما بعده على انه ظرف لقال واما ان هذا مبتدأ والظرف خبره ومعناه هذا الذي ذكرنا من
كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع
بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس فان قلت ما معنى قوله ينفع **الصادقين صدقهم** ان اريد صدقهم في الاخرة
فليست الاخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام
بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم واخرتهم وعن قتادة متكلمان
تكلما يوم القيامة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه
واما عيسى فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت في السماوات والارض العقلاء وغيرهم
فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما تناول الاجناس كلها تناولا عاما الا ترى انك تقول اذا رايت شبحا من بعيد
ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني
يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست ايات **وهي مائة وخمس وستون اية**

بسم الله الرحمن الرحيم **جعل** يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا
كقوله **وجعل الظلمات والنور** والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق
بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى
مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار
وجعل لكم من انفسكم ازواجا اجعل الالهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها
ولان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو
النار فان قلت علام عطف قوله **ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** قلت اما على قوله **الحمد لله** على معنى ان الله حقيق بالحمد
على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السماوات والارض على معنى

خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. فإن قلت: فما معنى ثم؟ قلت: استبعاد أن يعدلوا به بعد
وضوح آيات قدرته، وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم. قضى أجلا
أجل الموت وأجل مسمى عنده أجل القيامة. وقيل: الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ.
وقيل: الأول النوم والثاني الموت. فإن قلت: المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره، فلم جاز تقديمه في قوله وأجل
مسمى عنده؟ قلت: لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة، كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك. فإن قلت: الكلام السائر أن يقال: عندي ثوب
جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك، فما أوجب التقديم؟ قلت: أوجبه أن المعنى: وأي أجل مسمى عنده، تعظيما لشأن الساعة،
فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم. في السماوات متعلق بمعنى اسم الله، كأنه قيل: وهو المعبود فيها، ومنه قوله وهو الذي
في السماء إله وفي الأرض إله، أو وهو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها، أو هو الذي يقال له الله فيها لا
يشرك به في هذا الاسم. ويجوز أن يكون الله في السماوات خبرا بعد خبر على معنى أنه الله، وأنه في السماوات والأرض بمعنى أنه عالم
بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما. فإن قلت: كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم؟ قلت: إن أردت المتوحد بالإلهية
كان تقريرا له، لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده، وكذلك إذا جعلت في السماوات خبرا بعد خبر، وإلا فهو
كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم، أو خبر ثالث. ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب. من في من
آية للاستغراق، وفي من آيات ربهم للتبعيض، يعني: وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار
إلا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر، لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب. فقد كذبوا مردود
على كلام محذوف، كأنه قيل: إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق لما جاءهم، يعني
القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه. فسوف يأتيهم أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو القرآن،
أي أخباره وأحواله، بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزءوا، وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء، وذلك عند إرسال العذاب عليهم
في الدنيا أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته. مكن له في الأرض جعل له مكانا فيها، ونحوه أرض له، وقوله إنا
مكنا له في الأرض، أولم نمكن لهم. وأما مكنته في الأرض فأثبته فيها، ومنه قوله ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه.
ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم. والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود
وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا. والسماء المظلة، لأن الماء ينزل منها إلى
السحاب، أو السحاب أو المطر. والمدرار: المغزار. فإن قلت: أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم؟ قلت: الدلالة
على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم، فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده، كقوله ولا يخاف
عقباها. كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بأيديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا، ولا
تبقى لهم علة لقالوا إن هذا إلا سحر مبين، تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره. لقضي الأمر لقضي أمر إهلاكهم. ثم لا ينظرون
بعد نزوله طرفة عين، إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته، وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن،
ثم لا يؤمنون، كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة، لم يكن بد من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة. وإما لأنه يزول
الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب إهلاكهم. وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكا في صورته
زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون. ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين: قضاء الأمر وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار

أشد من قضاء الأمر، لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة. ولو جعلناه ملكا
ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا، لأنهم كانوا يقولون لولا أنزل على محمد ملك، وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم
ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة. لجعلناه رجلا لأرسلناه في صورة رجل كما كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أعم الأحوال في صورة دحية، لأنهم لا
يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم. وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ، فإنهم يقولون إذا رأوا
الملك في صورة الإنسان: هذا إنسان وليس بملك. فإن قال لهم: الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق
بأني ملك لا بشر، كذبوه كما كذبوا محمدا، فإذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن، فهو لبس الله عليهم. ويجوز أن
يراد: وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة. وقرأ ابن محيصن
ولبسنا بلام واحدة، وقرأ الزهري وللبّسنا عليهم ما يلبّسون بالتشديد. ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عما كان يلقى
من قومه. فحاق بهم فأحاط بهم الشيء الذي كانوا به يستهزئون، وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به. فإن قلت: أي
فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا؟ قلت: جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا، فكأنه قيل: سيروا لأجل
النظر ولا تسيروا سير الغافلين. وأما قوله سيروا في الأرض ثم انظروا فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من
المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح. لمن ما في السماوات والأرض سؤال
تبكيت. قل لله تقرير لهم، أي هو الله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا منه إلى غيره. كتب على نفسه الرحمة
أي أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السماوات والأرض.
ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة فيجازيكم على إشراككم.
وقوله الذين خسروا أنفسهم نصب على الذم، أو رفع، أي أريد الذين خسروا أنفسهم، أو أنتم الذين خسروا أنفسهم. فإن
قلت: كيف جعل عدم إيمانهم مسببا عن خسرانهم والأمر على العكس؟ قلت: معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله
لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون. وله عطف على الله. ما سكن في الليل والنهار من السكنى، وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا أنفسهم. وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم، فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل
عليه الملوان. أولي أغير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو أتخذ، لأن الإنكار في اتخاذ غير الله
وليا لا في اتخاذ الولي، فكان أولى بالتقديم، ونحوه أفغير الله تأمروني أعبد، آلله أذن لكم. وقرئ فاطر السماوات
بالجر صفة لله، وبالرفع على المدح. وقرأ الزهري فطر. وعن ابن عباس: ما عرفت ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني
أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها. وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق، كقوله ما أريد
منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. والمعنى أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع. وقرئ ولا يطعم بفتح الياء. وروى ابن
المأمون عن يعقوب: وهو يطعم ولا يطعم، على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل، والضمير لغير الله. وقرأ الأشهب: وهو
يطعم ولا يطعم، على بنائهما للفاعل، وفسر بأن معناه: وهو يطعم ولا يستطعم. وحكى الأزهري: أطعمت بمعنى استطعمت. ونحوه
أفدت. ويجوز أن يكون المعنى: وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح، كقولك: هو يعطي ويمنع، ويبسط ويقدر،
ويغني ويفقر. أول من أسلم لأن النبي صلى الله عليه سابق أمته إلى الإسلام، كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، وكقول
موسى: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين. ولا تكونن من المشركين وقيل لي: لا تكونن من المشركين. ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت

عن الشرك من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه
تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء
للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك
ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من
يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وتنصره قراءة ابي من يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر من
مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على ادامته او ازالته وهو القاهر فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة كقوله وانا فوقهم قاهرون اي شيء اعم العام
لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله
عز وجل شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر
شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله
اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على
ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من
اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم او من الثقلين وكل من بلغه الى يوم القيامة وعن
سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما راى محمدا صلى الله عليه وسلم ائنكم لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد
شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في الكتابين
معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة
بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين
فهم لا يؤمنون به جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان
الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول
ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف
اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان
ويحشرهم ثم يقال لهم اينما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم
ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في
الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم
الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على
الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء
وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة
وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم ما كانوا يفترون اي يفترون
الالهية والشفاعة فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه
تكذ

لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم
واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطا في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا
على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه
ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره
بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون
على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن روي
انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله فقالوا للنضر يا ابا
قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر
في الاذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله
وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من
قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بكسر الواو حتى اذا جاءوك يجادلونك هي حتى التي تقع
بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاءوك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون
اذا جاءوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ
تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون
كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول
واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا
يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض
لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب ارادوا برسول الله سوءا فقال شعر
والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرايت امرا
شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار
عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدؤوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا
نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم
تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت
حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة

عار ان على وجه المكروه كما تقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا تمني في معنى
الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان
وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما
كانوا يخفون من قبل من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم
عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل
الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لـ
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا
اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم
لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا
على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال
أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو
بحق وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه
في موضع آخر حتى غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت
مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل
من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل
مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر
كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة
او للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله
يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي
ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا
بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى
اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالتاء والياء قد نعلم بمعنى ربما
الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ
بفتح الياء وضمها الذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا
جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق
بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق
وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد
لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني وفي هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون

الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق
الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم
كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن
شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله
ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر
قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت
تسلية لرسول الله وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك
ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة
المشركين ثم كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من
احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون
بها او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه
وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات
فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو
استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو
الاتيان بالآية كأنه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لعل ذلك يكون لك آية
يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان
يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن حد الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو
خلافه انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع
كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث
الموتى من القبور يوم القيامة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر
على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل
الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء لولا نزل عليه آية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر
الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول
الله لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل آية تضطرهم الى
الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على
ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها الا امم امثالكم مكتوبة ارزاقها وآجالها واعمالها
كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء لم نكتبه
ولم نثبت ما يجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض

بعض كما روي انه ما حد للجماء من القرنا. فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر؟ قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى. فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه؟ قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها. فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك؟ قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان. وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر. وقرا علقمة ما فرطنا بالتخفيف. فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا باياتنا؟ قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشا الله يضلله اي يخذله ويخليه وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه.

ارايتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارايت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول وجواب الشرط محذوف تقديره ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره. ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله. فان قلت ان علقت الاستخبار بقوله اغير الله تدعون فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين؟ قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه. بالباساء والضراء البؤس والضر وقيل الباساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم. فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم. فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت شافتهم والحمد لله رب العالمين ايذان

بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم. وقرئ فتحنا بالتشديد. ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم ياتيكم به اي بما اخذ وختم عليه يجري الضمير مجرى اسم الاشارة اي ياتيكم بذلك. يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها. لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا. وقرئ بغتة او جهرة. هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون. وقرئ هل يهلك بفتح الياء. الا مبشرين ومنذرين مرامين بهم من كذب وعصى ومن آمن واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة. واصلح ما يجب عليه اصلاحه مما كلف به. جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا. لا اقول لكم اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب اني ملك الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى يستبعدوا دعواي ويستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة. هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية او الملكية. افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه. فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب؟ قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول. وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي. الذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء. وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال. ثم ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفه ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطردهم ترضية لقريش فاثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر. ووصفهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته. روي ان رؤساء المشركين قالوا لرسول الله لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم رضوان الله عليهم اجمعين وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم. وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون قال فكتب

من ذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته وقال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات **ما عليك من حسابهم من شيء** كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه **وما من حسابك عليهم من شيء** قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين ... **فتطردهم** جواب النفي **فتكون من الظالمين** جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي **وكذلك فتنا** ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين **اهؤلاء من الله عليهم من بيننا** اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون **أليس الله بأعلم بالشاكرين** اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق **فقل سلام عليكم** اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبداهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله **كتب ربكم على نفسه الرحمة** من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة وقرئ **انه فانه** بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل انه **من عمل منكم** وبالفتح على الابدال من الرحمة **بجهالة** في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة **ولتستبين** بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ

حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل **نهيت** صرفت وزجرت بما ركب فيّ من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون **من دون الله** وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة **قل لا اتبع اهواءكم** اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل **قد ضللت اذا** اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال **وما انا من المهتدين** في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله **قل اني على بينة من ربي** ومعنى قوله على بينة من ربي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق **وكذبتم به** انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال **ما عندي ما تستعجلون به** يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء **ان الحكم الا لله** في تأخير عذابكم **يقضي الحق** اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه **وهو خير الفاصلين** اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره **لو ان عندي** اي في قدرتي وامكاني **ما تستعجلون به** من العذاب **لقضي الامر بيني وبينكم** لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا **والله اعلم بالظالمين** وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن **وكذبتم به** اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او القرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل **للغيب مفاتح** على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن **ولا حبة ولا رطب ولا يابس** عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله **الا في كتاب مبين** كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى **الا يعلمها** ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في الدار **وهو الذي يتوفاكم** بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف **ويعلم ما جرحتم بالنهار** ما كسبتم من الآثام فيه **ثم يبعثكم فيه** ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فتقول في امر كذا **ليقضى اجل مسمى** وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم **ثم اليه مرجعكم** وهو المرجع الى موقف الحساب **ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** في ليلكم ونهاركم **حفظة** ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لغط اللفظة قال ابو حاتم وهذا انها مما تكتب فان قلت الله غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم

والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة
كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد من السوء توفته رسلنا أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه وعن مجاهد جعلت الأرض
له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز أن يكون ماضيا
ومضارعا بمعنى تتوفاه وهم لا يفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والإفراط مجاوزة الحد أي
لا ينقصون مما أمروا به أو لا يزيدون فيه ثم ردوا إلى الله أي إلى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم
الحق العدل الذي لا يحكم إلا بالحق ألا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو أسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب
وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما يقال لليوم الشديد يوم
مظلم ويوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في
البحر بذنوبهم فإذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها لئن أنجيتنا على إرادة القول
منها من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وخفية ... قل هو القادر هو
الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم
نوح الطوفان أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم ومن تحت
أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات أو يلبسكم شيعا أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء
شتى كل فرقة منشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله أن لا يبعث على
أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء
أمتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزلت من فوقكم قال رسول الله أعوذ بوجهك فلما نزل أو من تحت أرجلكم أو
يلبسكم شيعا قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة والضمير في قوله وكذب به
راجع إلى العذاب وهو الحق أي لا بد أن ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل إلي أمركم أمنعكم من التكذيب
إجبارا إنما أنا منذر لكل نبإ لكل شيء ينبأ به يعني أنباءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به مستقر وقت استقرار
وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في أنديتهم
يفعلون ذلك فأعرض عنهم ولا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس أن تجالسهم حينئذ وإما ينسينك
الشيطان وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد أن تذكر النهي وقرئ
ينسينك بالتشديد ويجوز أن يراد وإن كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره العقول فلا
تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين
الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم
وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون
الضمير للذين يتقون أي يذكرونهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم
كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف فرخص لهم فإن قلت ما محل ذكرى قلت

يجوز أن يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيرا أو رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من
شيء كقولك ما في الدار من أحد ولكن زيد لأن قوله من حسابهم يأبى ذلك ذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا أي دينهم الذي كان يجب
أن يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك عبادة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللهو واتباع
هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها دينا لهم أو
اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا وقيل جعل الله لكل
قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا
ولعبا غير المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرع الله ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم
ولا تشغل قلبك بهم وذكر به أي بالقرآن أن تبسل نفس مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء
كسبها وأصل الإبسال المنع لأن المسلم إليه يمنع المسلم قال وإبسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل أي
حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه أو لأنه شديد البسور يقال بسر الرجل إذا اشتد عبوسه فإذا
زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وإن تعدل كل عدل وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأن الفادي يعدل المفدى
بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لأن العدل هاهنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ
وأما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى فصح إسناده إليه أولئك إشارة إلى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت
في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان قل أندعو أنعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر
على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على أعقابنا راجعين إلى الشرك بعد إذ أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام كالذي استهوته الشياطين
كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الأرض المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له أي
لهذا المستهوى أصحاب رفقة يدعونه إلى الهدى إلى أن يهدوه الطريق المستوي أو سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون
له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوي الإنسان
والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان من المس فشبه به الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان
والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم قل إن هدى الله وهو الإسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن
يبتغ غير الإسلام دينا فماذا بعد الحق إلا الضلال فإن قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من
الضمير في نرد على أعقابنا أي أننكص مشبهين من استهوته الشياطين فإن قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال
من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه فإن قلت ما محل وأمرنا قلت النصب عطفا على محل
قوله إن هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم فإن قلت ما معنى اللام في
لنسلم قلت هي تعليل للأمر بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم فإن قلت فإذا كان واردا في شأن أبي بكر فكيف
قيل للرسول قل أندعو قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضوان الله عليه فإن قلت
علام عطف قوله وأن أقيموا قلت على موضع لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن
نسلم ولأن أقيموا أي للإسلام ولإقامة الصلاة قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار
كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السماوات والأرض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من

الأشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة أي لا يكون شيء من السموات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب
ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول
لقوله الحق أي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله الحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر
يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح آزر اسم أبي إبراهيم وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية
تارح والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم وهو عطف
بيان لأبيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي
كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين أدعى بأسماء نبزا في قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائي
أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقرئ أأزرا تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد
همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الإنكار ثم قال تتخذ أصناما
آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الإنكار لأنه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه
وقوله وكذلك نري إبراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف
إبراهيم ونبصره ملكوت السموات والأرض يعني الربوبية والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا
نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون
الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال
ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئا منها لا يصح أن يكون إلها لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها
وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع
علمه بأنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته
فيبطله بالحجة لا أحب الآفلين لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال المتنقلين من مكان إلى مكان
المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على أن من اتخذ
القمر إلها وهو نظير الكواكب في الأفول فهو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا أكبر من باب استعمال
النصفة أيضا مع خصومه إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها إني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والأرض أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في
نفسه فحكاه الله والأول أظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم إني بريء مما تشركون فإن قلت لم احتج عليهم
بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال قلت الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب فإن
قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والإشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم
ما جاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن
شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازا عن علامة التأنيث
وقرئ ترى إبراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال أتحاجوني
في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني إلى التوحيد ولا أخاف ما تشركون به وقد

خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء إلا أن يشاء ربي شيئا إلا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم
في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت ذنبا أستوجب به إنزال
المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما أي
ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز
وكيف أخاف لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وأنتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو إشراككم بالله ما لم ينزل
ما أشركتم سلطانا أي حجة لأن الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون
على أنفسكم الأمن في موضع الخوف ولم يقل فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه إلى قوله فأي الفريقين
يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم
بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما جن
عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها أرشدناه إليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة
وقرئ بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح وداود عطف على نوحا أي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا
على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم
في حبوط أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك أولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد الجنس فإن يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة
أو بالنبوة هؤلاء يعني أهل مكة فقد وكلنا بها قوما هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وبدليل وصل قوله فإن يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل من آمن به وقيل
كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الأنصار أنها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا
للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين
وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد
بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت
لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثار الوقف لثبات
الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة
الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه
على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة والقائلون هم
اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على
رسول الله فألزموا ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء
جهلهم لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه
قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء وروي أن مالك بن الصيف من أحبار
اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين
فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء

فقال له قومه ويلك ما هذا الذي يلقاك قال أبوا أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون
قريش وقد ألزموا إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون اليهود بالمدينة يذكرون موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا
الكتاب لكنا أهدى منهم **وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم** الخطاب لليهود أي علمتم على لسان محمد مما أوحي إليه ما لم تعلموا
أنتم وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر
الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم **قل الله** أي أنزله الله فإنهم
لا يقدرون أن يناكروك **ثم ذرهم في خوضهم** في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد إلزام الحجة وتعالى المركان في
عمل لا يجدي عليه إلا أنه لاعب **يلعبون** حال من ذرهم أو من خوضهم أو يجوز أن يكون في خوضهم حالا من يلعبون
وأن يكون صلة له أو لذرهم **مبارك** كثير الفائدة والنفع **ولتنذر** عطف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل
أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب الإلهية ولتنذر وقرئ بالتاء والياء وسميت مكة **أم القرى** لأنها مكان أول
بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولأنها أعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين ممن يلي بعض
العقوبات رحلة فأم القرى ... **والذين يؤمنون بالآخرة** يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب
وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلاة لأنها عماد الدين ومن حافظ
عليها كانت لطفا في المحافظة على أخواتها **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا** فزعم أنه بعثه نبيا **أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه** شيء وهو
مسيلمة الحنفي الكذاب أو كذاب صنعاء الأسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي
سوارين من ذهب فكبرا علي فأوحي إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا
بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود **ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله** هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي مرة
كان يكتب لرسول الله فكان إذا أملى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك الله أحسن
الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن
كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث
والمستهزئون **ولو ترى** جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما **إذ الظالمون** يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فيكون
اللام للعهد ويجوز أن يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله **في غمرات الموت** شدائده وسكراته وأصل الغمرة
ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة **باسطوا أيديهم** يبسطون أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها
إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال
وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له
أخرج إلي ما لي عليك الساعة ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب
أخرجوا أنفسكم خلصوها من أيدينا أي لا تقدرون على الخلاص **اليوم تجزون** يجوز أن يريدوا وقت الإماتة وما
يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة
والهون الهوان لسوء وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه

عن آياته **تستكبرون** فلا تؤمنون بها **فرادى** منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم
وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء الله **كما خلقناكم أول مرة** على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة **وراء ظهوركم** لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا
ولا قدمتموه لأنفسكم **وفيكم شركاء** في استعبادكم لأنهم حين دعوتموهم آلهة وعبدتموها فقد جعلتموها لله شركاء فيهم
وفي استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى كسكرى فإن قلت كما خلقناكم في أي محل هو
قلت هو في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئا مثل خلقنا لكم **لقد تقطع بينكم** وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين
الشيئين يريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما تقول
قوتل خلفكم وأمامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم **فالق الحب والنوى** بالنبات والشجر وعن مجاهد
أراد الشقين اللذين في النواة والحنطة **يخرج الحي من الميت** أي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى
ومخرج [illegible] الأشياء الميتة من الحيوان والنامي فإن قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله
يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة
لقوله فالق الحب والنوى فإن النبات والشجر النامين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان ألا ترى إلى
قوله يحيي الأرض بعد موتها **ذلكم الله** ذلكم المحيي والمميت هو الله الذي تحق له الربوبية **فأنى تؤفكون** فكيف تصرفون
عنه وعن ... عبادته **فالق الإصباح** مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله أفنى رياحا
وبني رباح تناسخ الإمساء والإصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمعي مسي وصبح فإن قلت ما معنى فلق الصبح
والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد فالق ظلمة
الإصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر
عن بياض النهار وإسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي
وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه وقرئ فالق الإصباح **وجاعل الليل** بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الإصباح
وجعل الليل **سكنا** ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا إليه من زوج أو حبيب ومنه قيل
للنار سكن لأنه يستأنس بها ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه
ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه **والشمس والقمر** قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على
إضمار فعل دل عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر حسبانا أو يعطفان على محل الليل فإن قلت كيف يكون لليل
محل والإضافة حقيقية لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس قلت ما هو في معنى
المضي وإنما هو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الإصباح كما تقول الله قادر
عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر
مجعولان **حسبانا** أي محسوبان ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم
بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران
ذلك إشارة إلى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم **تقدير العزيز** الذي قهرهما وسخرهما **العليم** بتدبيرهما
قهر

ويهتدون بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة لهما او شبه مشتبهات الطرق
بالظلمات * من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول
والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او منكم مستقر ومنكم مستودع
فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم
بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا
به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر
كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان
رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا
لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا
على حب والقنوان جمع قنو وهو العذق نظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان
ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المأخذ او ملتفة قريب بعضها من بعض وان كانت
صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريبة من بعض وقيل ذكر القريبة
وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله
وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى
وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل
شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله
والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا
وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه
والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم
وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به
وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع والملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على
قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن
ويانعه وقرئ وثمره * ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصب الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا
كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام ان يتخذ لله
شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم
فقيل الجن وبالجر على الاضافة الى للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين
زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا
ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي

اختلاقهم الافك يعني وجعلوا الله خالقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها
اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة وخرقوا له وخلقوا له
واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له
بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد
للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس وحرفوا بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى
الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية
بديع السماوات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في
السماوات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع
وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على
قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبدع السماوات
والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام
لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس
فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم يصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة
كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد
الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة الله ربكم
لا اله الا هو خالق كل شيء اي لا غير الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت
له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل
يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذي
ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا
في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو
للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف فيلطف عن ان يدركه
الابصار الخبير فيكون لطيفا بها ويدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر
من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي
به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو
للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعليها فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى
وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف
تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى
تقادمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد
دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز

الاسمار لا من السهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات
وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة
راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك
ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين
شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها
في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر
الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فمن قرأ درست ودارست ودرسته فيرجع الى الكتاب المقدر **لا اله**
الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان تكون حالا **من ربك** وهي حال موكدة
كقوله وهو الحق مصدقا **ولا تسبوا** الالهة التي **يدعون من دون الله فيسبوا الله** وذلك انهم قالوا عند نزول
قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وكان المسلمون يسبون
آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الالهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي
عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها
طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك
النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال
الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال
الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الالهة وانما خيل
الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن **عدوا** ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه
يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير رضي الله عنه عدوا بفتح العين بمعنى اعداء
بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به **كذلك زينا لكل امة** مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار
عملهم اي خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم
او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا **فينبئهم** فيوبخهم عليه ويعاقبهم
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم **ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله** وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة
او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيئكم بها او آتيكم بها **وما يشعركم** وما يدريكم **انها** ان الآية
التي تقترحونها **اذا جاءت لا يؤمنون** يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين
كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم
لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله **كما لم يؤمنوا به اول مرة** وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب
ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام
وتقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم
ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح

وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت
عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها **ونقلب افئدتهم وابصارهم** عطف على لا يؤمنون داخل
في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم **وابصارهم** اي نطبع على قلوبهم وابصارهم
فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا
نذرهم في طغيانهم يعمهون اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى **يعمهوا** فيه وقرئ ويقلب ويذرهم
اي الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة** كما قالوا لولا
انزل علينا الملائكة **وكلمهم الموتى** كما قالوا فاتوا بآبائنا **وحشرنا عليهم كل شيء قبلا** كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا
قبلا كفلاء بصحة ما بشرناهم به وانذرناهم او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا **ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله** مشيئة اكراه
واضطرار **ولكن اكثرهم يجهلون** فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات
او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما
فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب **شياطين** على البدل من عدوا او على
انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن **يوحي بعضهم الى بعض** يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك
بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله
ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا **زخرف القول** ما زينوه من القول والوسوسة
والاغراء على المعاصي ويموهونه **غرورا** خدعا واخذا على غرة **ولو شاء ربك ما فعلوه** ما فعلوا ذلك اي ما عادوك او
ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم **ولتصغى** جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك
جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة اي العاقبة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه
اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين **افئدة** الكفار **وليرضوه** لانفسهم **وليقترفوا ما هم مقترفون**
من الآثام **افغير الله ابتغي حكما** على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا
من المبطل **وهو الذي انزل اليكم الكتاب** المعجز **مفصلا** مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء
ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له **فلا تكونن من الممترين** من باب
التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب **يعلمون انه منزل بالحق** ولا يريبك
جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون ولا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه
فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لامته **وتمت كلمات ربك** اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد
واوعد **صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته** لا احد يبدل شيئا من ذلك مما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ
كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن **وان تطع اكثر** الناس يضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم
ثم قال **ان يتبعون الا الظن** وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم **وان هم الا يخرصون** يقدرون انهم على
شيء او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ **من يضل** بضم الياء اي يضله الله **فكلوا** مسبب عن انكار

اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق
ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم
غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى بسم الله وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا
تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم
على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا
ليضلون وقرئ بفتح الياء وضمها اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة
ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه
الصديقة في السر وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق
فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تاوله هؤلاء بالميتة
وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين
ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله
في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من
التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما مثل الذي هداه الله
بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فاحياه الله
وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلالهم ومن بقي على الضلالة
بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي
قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها
انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار زين للكافرين اي زينه الشيطان او زينه الله عز وجل على قوله زينا
لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها
كذلك جعلنا في كل قرية اي من مجرميها اكابر ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر
لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم
واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله ووعد له بالنصرة عليهم
روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل
قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا
نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة
الله اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي
يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم وعذاب شديد في الدارين
من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح
صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله

وتخليه

وتخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا بمنعه الالطاف حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق
وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما
يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ
يصعد واصله يتصعد وقرا عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد يجعل
الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس
وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في
التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لقوم
يذكرون لهم دار السلام يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم
في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وهو وليهم مواليهم او محبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون
ويوم نحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا
يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس
اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من
الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس
بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم
على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن
بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث
وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم
وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات
التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم
من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم ويكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه
وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى
ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة
الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد
نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يولي بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم
القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم القيامة على جهة
التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلف
ومكلف ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال الآخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل

وسلم لكم لأنه لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل إن رسل
الرسل من الجن إليهم كقوله ولوا إلى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل بعث محمد يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى الجن والإنس قالوا شهدنا على أنفسنا حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله ألم يأتكم لأن الهمزة الداخلة
على نفي إتيان الرسل للإنكار فكان تقريراً لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا إقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم
محجوجون بها فإن قلت ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يتفاوت الأحوال والمواطن
في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في بعض أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على
أفواههم فإن قلت لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم قلت الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم
لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم
أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وإنما قال ذلك تحذيراً للسامعين من
مثل حالهم ذلك إشارة إلى ما تقدم من بعث الرسل إليهم وإنذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر
ذلك وأن لم يكن ربك مهلك القرى تعليل أي الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن
أن هي التي تنصب الأفعال ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم
ولك أن تجعله بدلاً من ذلك كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه
أو ظالماً على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول أحد وكتاب لكان ظلماً وهو متعال عن الظلم وعن
كل قبيح ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من جزاء أعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه مقاديره
وأحواله وما يستحق عليه من الأجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم
للمنافع الدائمة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين
من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام المكانة تكون مصدراً يقال مكن مكانة
إذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل
اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها يقال للرجل
إذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه إني عامل أي عامل على مكانتي
التي أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون أينا
تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الأمر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا
يأتي منه إلا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل خلافه فإن قلت ما موضع من
قلت الرفع إذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو النصب إذا كان بمعنى الذي عاقبة الدار العاقبة الحسنى
التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك فيه إنصاف في المقال وأدب حسن مع تضمن شدة
الوعيد والوثوق بأن المنذر محق وأن المنذر مبطل كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما
لآلهتهم فإذا رأوا ما جعلوه لله زاكياً نامياً يزيد في نفسه خيراً رجعوا فجعلوه لآلهتهم وإذا زكا ما جعلوه
للأصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غني وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها وقوله مما ذرأ فيه أن الله

كان

كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم
أي قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم
في القربة فلا يصل إلى الله أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو
يصل إلى شركائهم من إنفاق عليها وذبح نسائك عندها والأجر على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في إيثار
آلهتهم على الله وعملهم ما لم يشرع لهم وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله
والآلهة أو مثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام
زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن
أحدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زَيَّن على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل أولادهم وزُيِّن على
البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل لما قيل زين لهم قتل أولادهم
من زينه فقيل زينه شركاؤهم وأما قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء
على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً
مردوداً كما سمج ورد زج القلوص أبي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه
وجزالته والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء
لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء
وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل حتى زلوا عنه إلى
الشرك وقيل دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فإن قلت ما معنى اللام
قلت إن كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله
مشيئة قسر ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الإرداء
أو اللبس أو جميع ذلك إن جعلت الضمير جارياً مجرى اسم الإشارة وما يفترون وما يفترونه من الإفك أو وافتراءهم
حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم
الأسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بالضم وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا إذا عينوا شيئاً
من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء وأنعام
حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون
عليها أسماء الأصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام
حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناساً بهواهم ونسبوا
ذلك التجنيس إلى الله افتراء عليه أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مؤكد
لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور
لا يأكل منه الإناث وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث وأنث خالصة للحمل على المعنى لأن ما في معنى
الأجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك ويجوز أن يكون

التا للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه
قراة من قرا خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر موكد ولا يجوز ان يكون حالا مقدمة
لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرا ابن عباس خالصه على الاضافه وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة
وان يكن ما في بطونها ميتة وقرى وان تكن بالتاء على وان تكن الاجنة ميتة وقرا اهل مكة وان يكن
ميتة بالتاء والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى
فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل
والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا
يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم
وقرى قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها انشا جنات من الكروم معروشات
مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران
ما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير
معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه
مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرى اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يوكل والضمير
للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء كقوله
فادخلوها خالدين وقرى ثمره بضمتين فان قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه قلت
لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا
ادرك واينع واتوا حقه يوم حصاده الاية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به
على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق
هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على اداء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه
عن اول وقت يمكن فيه الاداء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة
ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا حمولة
وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه
وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها
دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل
والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين
من الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا
كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله
خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين ومن المعز
اثنين زوجين اثنين من الضان ومن المعز اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم

الزجاجة

الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرا ابي
ومن المعزى وقرى اثنان على الابتداء الهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين
الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا
من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل
اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او
مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله
يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ام كنتم شهداء بل اكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني
اشاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول الله فهم يقولون
الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية مشاهدين لانكم
لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن
قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع
الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم
وباباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتسديد للتحليل والاعتراضات
في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي فيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس
محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا
اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف
على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه
لفسق واهل صفة له موضحة بالمحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام
تعطف قوله اهل والام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما رجع اليه
المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك
لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه ذي ظفر ما له اصبع
من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم الله عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل
قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من
زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه
وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله
الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا او اشتمل على الامعاء
او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او
ابن سيرين ذلك جزيناهم ببغيهم وهو تحريم الطيبات عقاب بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة
لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الجاناهم الى الوعد واحللنا بهم العقاب

فإن كذبوك في ذلك فزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جوداً وكرماً فقل لهم ربكم ذو رحمة
واسعة لأهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول
الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا يعنون بكفرهم وتمردهم
أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب
المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم أي جاؤوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وعلا ركب في العقول وأنزل في
الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من
الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة
العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر
معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له
حجة إن تتبعون إلا الظن في قولكم هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين
من قبلهم بالتخفيف فلله الحجة البالغة يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة
عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله
يقتضي أن تعلقوا دين من خالفكم أيضاً بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع
ما أنتم عليه وما هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث
وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فإن قلت كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله
حرم هذا ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم
الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا
يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا
سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحداً منهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً
بالآيات موحداً لله فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل قلت
المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم
ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيف الشهداء لذلك وجيء بالذين
للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فإن شهدوا
فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناساً يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء
بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فلا تشهد معهم تعال من الخاص الذي صار عاماً وأصله أن يقوله
من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما منصوب بفعل التلاوة بمعنى
أتل الذي حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في ألا تشركوا مفسرة
ولا للنهي فإن قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلاً من ما حرم قلت وجب أن يكون لا

تشركوا

تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحساناً لأن التقدير
وأحسنوا بالوالدين إحساناً وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا
صراطي مستقيماً فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون
المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيماً قلت أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيماً
علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه
والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم فإن قلت إذا جعلت
أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهياً عنه محرماً كله كالشرك وما بعده
مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر قلت لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعاً فعل التحريم واشتركن
في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل
في القول ونكث عهد الله من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله
ظاهر الإثم وباطنه إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما
يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه بالقسط بالسوية
والعدل لا نكلف نفساً إلا وسعها إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة
الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه ولو
كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فاسعى أن يزيد في القول أو ينقص كقوله
ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ذلكم وأن هذا صراطي بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير
الشأن والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي وهذا صراط
ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات
فتفرق بكم فتفرقكم أيادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام وقرئ فتفرق بإدغام التاء
وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطاً ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله
خطوطاً ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيماً
فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل
بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة
فإن قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فإن قلت كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل
التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم
ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب
وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب
تماماً على الذي أحسن تماماً للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من كان محسناً صالحاً يريد جنس المحسنين
وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن

الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته
اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ يحيى بن يعمر على الذي احسنُ اي على الذي هو احسن بحذف المبتدا كقراءة من قرأ
مثلا ما بعوضةٌ بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او اتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على
احسن ما تكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على
احسنه ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين يريدون اهل التوراة واهل الانجيل وان كنا هي ان المخففة من
الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان
عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لجودة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة
حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرئ ان يقولوا
او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم على قراءة من قرا يقولوا على الغيبة احسن لما فيه
من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من
احاسن الحذوف ممن كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها
الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة الموت او العذاب او ياتي ربك او ياتي كل ايات ربك بدليل قوله او ياتي بعض ايات
ربك يريد ايات القيامة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك
وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر
الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا
بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى
ونارا تخرج من عدن لم تكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى
ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي ايات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ
نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الايات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق
كما ترى بين النفس الكافرة اذا امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت في وقته ولم تكسب خيرا ليعلم
قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما
ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان تاتيهم الملائكة بالياء والتاء وقرا ابن سيرين
لا ينفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه فرقوا
دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها
في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق
امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا ببعض
وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم
وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف عشر امثالها على اقامة صفة الجنس
المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشرٌ امثالُها برفعهما جميعا على الوصف وهذا

اقل

...من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل
...السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل الى صراط
...هداني صراطا مستقيما بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم
...والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابراهيم عطف بيان حنيفا حال من ابراهيم ونسكي
...وتقربي كله وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من
...الحج ومحياي ومماتي وما اتيته في حياتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة
...وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته اغير الله ابغي ربا
...جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من
...مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تامروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها
...عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه خاتم النبيين
...ائمته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم
...في الشرف والرزق ليبلوكم فيما اتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف
...الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام
...شكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو ات قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت
...علي الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه
...واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة
تم الربع الاول من الكتاب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
وعيون الاقاويل في وجوه التاويل والحمد لله اولا واخرا
والعون عند الله
وصلواته على سيدنا محمد واله وسلامه والفراغ منه في سنة ... وسبعين وستمائة
السابع عشر من رجب

بسم الله الرحمن الرحيم لمولانا السيد الامام عماد الاسلام [illegible]

سيد على الورى يوم [illegible] ومن كان مولانا على امامه [illegible]

[illegible] الرسول المصطفى [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible]

[illegible] ومقتبع [illegible] امامهو الذي [illegible] مصليا [illegible]

امامهم في يوم المباهلة الذي [illegible] للرسول [illegible] امامهم مولانا الرسول [illegible]

امامهم يوم الغدير بانه امام [illegible] ومولانا [illegible] الناكثين [illegible]

[illegible] يوم [illegible] واجر الوارث [illegible] ابطل [illegible]

[illegible] وكان ابنه ذو [illegible] [illegible]

[illegible] الهدى [illegible] [illegible]

[illegible] الامام [illegible] العاشر يوم [illegible] [illegible]

واخوته [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] المرتضى والناصر [illegible] احمد [illegible] [illegible]

[illegible] قاسم [illegible] الحسين [illegible] قاسم امام [illegible] [illegible]

[illegible] العالم العلم [illegible] الامام [illegible] المهدي [illegible]

[illegible] [illegible] الهدى الكريم [illegible] [illegible]

[illegible] بواحد [illegible] وهل [illegible] النسبة [illegible]

[illegible] عليهم [illegible] باقر [illegible]

[illegible] احل [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] اليوم [illegible]

[illegible] ولا اللو [illegible]

[illegible] اطعم الطعام ولم [illegible]

[illegible] عمره [illegible]

[illegible] [illegible] العماد [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] سلام [illegible] [illegible]

[illegible] عليه [illegible]